

التعريب



مَجَلَّةُ نَصَفِ سَنَوِيَّةٍ مُحَكَّمَةٌ تُصَدَّرُ عَنِ الْمَرْكَزِ الْعَرَبِيِّ لِلتَّعْرِيبِ وَالتَّرْجُمَةِ وَالتَّأْلِيفِ وَالنَّشْرِ بِدَمَشَقَ



المنظمة
العربيّة
للتربية
والثقافة
والعلوم

31

ذو القعدة 1427 - كانون الأول (ديسمبر) 2006 م

السنة السادسة عشرة
العدد الحادي والثلاثون

التعريب



التعريب

مجلة نصف سنوية

العدد الحادي والثلاثون

كانون الأول (ديسمبر) 2006

المدير المسؤول:

الأستاذ الدكتور عادل نوفل

مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق

رئيس التحرير:

الأستاذ الدكتور محمود السيد

هيئة التحرير:

الأستاذ الدكتور مفيد جوخدار

الأستاذ الدكتور عبد الكريم اليافي

الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبيد

الأستاذ الدكتور محمد إحسان النص

الأستاذ الدكتور محمد حلمي هليل

الأستاذ الدكتور محمد مكي الحسني

الأستاذ شحادة الخوري

الأستاذ الدكتور دفع الله عبد الله الترابي

مجالات اهتمام المجلة

تتركز اهتمامات المجلة على الإسهام في تحقيق أهداف المركز في مجال تعريب التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره، ومتابعة الجديد مما ينشر في ميادين المعرفة في العالم، للتعريف به وتعريب الجيد الملائم منه، وكذلك ترجمة روائع الفكر العربي في العلوم والآداب والفنون إلى اللغات الأجنبية العالمية. وفي هذه الأطر تفتح المجلة صفحاتها للدراسات والبحوث الجادة والأصيلة فكرياً وموضوعاً في أحد المجالات التالية:

- * تعريب التعليم العالي في الوطن العربي.
- * بحوث ودراسات معربة أو مترجمة.
- * التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره.
- * من أعلام الحضارة العربية والإسلامية.
- * عروض الجديد من الكتب والرسائل الجامعية.
- * الإعلام عن الأنشطة العربية والدولية في مجال أهداف المركز.

إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن رأي

أصحابها ولا تمثل بالضرورة رأي المنظمة أو المركز

يسمح باستعمال ما ورد في هذه المجلة من مواد بشرط الإشارة إلى مصدرها

التعريب: مجلة نصف سنوية محكمة تصدر عن المركز العربي للتعريب والترجمة

والتأليف والنشر بدمشق . المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

دمشق . ص.ب: 3752 . هاتف 3334876 البريد الالكتروني: acatap@net.sy،

صفحة الانترنت: www.acatap.org

ع/2006/12/15

السنة الأولى: 1991 . دمشق

في هذا العدد

الصفحة

- * افتتاحية العدد..... 7
- * دراسات في التعريب
- التعريب 11
أ. شحادة الخوري
 - حذف حرف العطف بين اللغة العربية واللغات الغربية 21
د. أحمد محمد جواد محسن
 - في الأصل والدخيل (دراسة لغوية تأصيلية) 29
د. ماهر عيسى حبيب
 - النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسات 79
أ. د. محمود أحمد السيد
 - الثقافة: المفهوم والتغيرات المعاصرة..... 95
د. سمير إبراهيم حسن
 - اللغة والاتصال والتداولية..... 135
أ. د. عبد الله أبو هيف

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

*** التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره**

- البحث العلمي في الدول العربية والحلقات المفقودة 165
أ.د. صالح بلعيد

*** بحوث مترجمة**

- علم الترجمة..... 191
أ.د. محيي الدين علي حميدي

*** من أعلام الحضارة العربية والإسلامية**

- مصطفى نظيف: المعجب بابن الهيثم..... 237
أ. د. أبو بكر خالد سعد الله

*** من أنشطة المركز خلال النصف الثاني من عام 2006 251**

*** قواعد النشر في المجلة 263**

*** إصدارات المركز من الكتب 267**

افتتاحية العدد

بقلم أ.د. عادل نوفل

مدير المركز

يتشرف المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر أن يضع بين أيدي قرائه الأعضاء العدد 31 من مجلة "التعريب"، التي آلت على نفسها أن تسهم في تعزيز رسالة أمتنا العربية الحضارية، وذلك بنشر البحوث والدراسات باللغة العربية بوصفها عنوان شخصيتنا ورمز كياننا القومي.

ولقد صار واضحاً أن النهضة الاجتماعية والاقتصادية والتنمية لأيّ أمةٍ من الأمم ترتبط بالثقافة السائدة بين مواطني هذه الأمة، وأن قوة الثقافة هي من قوة اللغة الأم، وقوة اللغة الأم هي من قوة الفكر والحضارة لهذه الأمة. وقد كانت ترجمة ذلك واضحة في عصر النهضة العربية الأولى، الذي تميّز بانتشار اللغة العربية في آفاق الدنيا، حيث انتشرت معها علوم العرب والمسلمين وتجاوزت بذلك اللغات السائدة في ذلك العصر. وهكذا فإن هذا الانتشار والتوسع قد أبرز على نحو واضح قوة الثقافة والفكر والحضارة العربية والإسلامية.

واليوم تُتهم لغتنا الأم بالقصور ويُعزى تخلفنا عن مقاربة العلوم الحديثة إليها، فيسعى أعداء العربية لترويج فكرة أن لغة أجنبية وحيدة تصلح لدخول عصر المعلومات، والإفادة من إمكانات الحواسيب ومعطيات التقدم العلمي. ولهذا فمن حق لغتنا علينا أن ننفي عنها التعريب وأن نعزز مكانتها وندفع عنها الانتهاكات المتواصلة، ونعيد إليها زهوها وهذا مما نسعى له بترويج ثقافة تعريب العلوم في الجامعات العربية، ونشر البحوث والدراسات في كل المجالات العلمية باللغة العربية.

ويشتمل هذا العدد من مجلة "التعريب"، على البحوث والدراسات في المحاور التقليدية، وعرضاً للتوصيات التي صدرت عن الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي التي عقدها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر باستضافة كريمة من اللجنة الوطنية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

للتربية والثقافة والعلوم العُمانية، وجامعة السلطان قابوس في المدة ما بين 4 إلى 6 نوفمبر 2006 وتدعو توصيات الندوة جميع الجهات، من حكومات ومجتمع مدني وأفراد ومنظمات قومية، إلى مزيد من الاعتزاز باللغة العربية والإعلاء من شأنها والمحافظة على سلامتها والعمل على مزيد تطويرها. كذلك إلى استعمالها استعمالاً شاملاً في التعليم بجميع أنواعه ومراحلها، ويشمل ذلك التعليم العالي بمختلف تخصصاته وفي مقدمتها التخصصات العلمية والطبية والهندسية. كل ذلك مع مواصلة الاهتمام باللغات الأجنبية.

وهنا نؤكد مرة أخرى استعداد المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق لترجمة الكتب والمراجع العلمية، التي تطلبها جامعات الوطن العربي، وتوفير احتياجاتها من الكتب والمراجع التي أصدرها المركز بغرض تعريب التعليم العالي.

والله ولي التوفيق

التعريب العدد الحادي والثلاثون - كانون الأول / ذو القعدة 2006

دراسات في التعريب

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التعريب

أ. شحادة الخوري*

أولاً: معنى التعريب

إن لفظة التعريب مصدر لفعل عَرَّبَ بالتضعيف. جاء في اللسان: تعريب الاسم الأعجمي أن تتقوه به العرب على مناهجها، ويقال: عَرَّبَته العرب وأعربته أيضاً. وأورد الجوهري في الصحاح الجملة نفسها فقال: تعريب الاسم الأعجمي أن تتقوه به العرب على مناهجها.

وجاء في الوسيط: (عَرَّبَ عنه لسانه: أَبَانَ وأفصح، وعَرَّبَ الكلام: أوضحه، وعَرَّبَ فلاناً: علمه العربية، وعَرَّبَ الاسم الأعجمي: نطق به على منهاج العرب...)

وجاء فيه أيضاً: (التعريب هو صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي إلى اللغة العربية).

وتستعمل كلمة تعريب اليوم للدلالة على معانٍ متعددة:

1. **تعريب اللفظ:** هو التقوه باللفظة الأعجمية على منهاج العرب.

وقد أجازت مجامع اللغة العربية التعريب إذا عجزت الطرائق الأخرى (الاشتقاق والمجاز والنحت) عن توليد المصطلح. وقال العلامة مصطفى الشهابي: (لا ضَيْرَ في التعريب كلما مَسَّت الحاجة إليه وجميع اللغات يقتبس بعضها من بعض). والمعرَّب دخيل على اللغة العربية ولكنه أخضع لمقاييسها وأوزانها.

* عضو مجمع اللغة العربية بدمشق.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

2. **تعريب النص:** هو نقل النص من إحدى اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، وهذا بمعنى الترجمة. ويقابل هذا الضَرْب من التعريب التعجيم الذي يعني نقل النص من اللغة العربية إلى لغة أجنبية.

وقيل إن تعريب النص يفيد معنى إعطائه صبغة عربية فيكون التعريب بهذا المعنى أجود من الترجمة. وقيل أيضاً إن الترجمة هي نقل المعرفة من لغة إلى لغة، فإذا كانت غايتها تنمية ثقافتنا العربية لتتجاوز مع الثقافات الأخرى إسهاماً في المثاقفة الإنسانية والحضارة العالمية، فهي تعريب.

3. **تعريب المجال:** هو جعل اللغة العربية لغة التعبير في مجال ما، مثل تعريب الإدارة أو التعليم العالي أو تعريب القضاء أو الاقتصاد أو الإعلام... أي جعل اللغة العربية لغة هذه المجالات دون أن يعني ذلك عدم تعلم اللغات الأجنبية.

وهذا التعريب من أهم القضايا التي تتصل بلغتنا العربية وثقافتنا القومية منذ بداية النهضة الحديثة في بلادنا قبل قرنين من الزمن.

4. **تعريب الفكر:** هو التعريب المتصل بفكر الإنسان العربي وشعوره وسلوكه الاجتماعي والثقافي والسياسي، كما ينطلق من موقع انتمائه إلى الأمة العربية، فيتجلى هذا الانتماء فكراً وشعوراً وسلوكاً. وأداة هذا التعريب هي التربية القومية التي قوامها الاعتزاز بالذات العربية والتمسك بالتراث، والثقة بالمستقبل والأخذ بالتوجه الإنساني بعيداً عن العنصرية.

ثانياً: الاقتباس والتعريب اللفظي (تعريب اللفظ)

أ. دواعي التعريب:

يقول العلامة مصطفى الشهابي: (إن استعمال العرب للألفاظ الأعجمية ودمجها في لسانهم شيء قديم سببه اتصالهم بالأمم الأخرى، وحاجتهم إلى أسماء تدل على مسميات لا وجود لها في الجزيرة العربية. ولا ضئير في التعريب كلما مسَّت الحاجة إليه، وتعدر العثور على كلمة قديمة عربية تقابل الكلمة الأعجمية، أو تعدر إيجاد كلمة عربية تفيد معناها).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

لقد حصل ذلك في الجاهلية، إذ اقتبس العرب ألفاظاً عديدة من غيرهم، وسَمَّوها دخيلة. ثم أُدخلت في المعجمات العربية التي صُنفت بعد الإسلام وعُدَّت من صحيح الكلم: وما كان منها على وزن عربي عُدَّ عربياً مثل: هُنْدَسَ وفَهْرَسَ.

ومن الكلمات الفارسية الكثيرة التي دخلت العربية في الجاهلية: الإبريق والسندس والدولاب والديباج والأجلنار والنرجس... ومن الهندية: الزنجبيل والفلفل والجاموس والمسك والكافور... ومن اليونانية القسطاس والفردوس والقنطار والقبان والترياق... ومن السريانية: الكنيسة والبيعة والمسيح والكنهوت والناقوس والشماس، والمرّ والفدان والناطور والبلوط... ومن العبرية: التوراة والأسباط والشيطان وجهنم... ومن الحبشية: النجاشي والمنبر والمصحف والتابوت...

وفي أيام الراشدين والأمويين وضع العرب مصطلحات عديدة استنبطوها من صلب اللغة العربية بوسائل الاشتقاق والمجاز والتضمين: كالحج والزكاة والحضانة والنفقة، ووضعوا لها تعريفات. ووضعوا كلمات: الصرف والنحو والجناس والطباق... أضف إلى ذلك أنهم اقتبسوا كلمات أعجمية احتاجوا إليها مثل دينار ودرهم وبريد وديوان...

وفي العصر العباسي عصر المأمون وبيت الحكمة، عصر النقل والإبداع، أدت حركة الترجمة إلى خلق مصطلحات علمية كثيرة دخلت العربية واندمجت فيها ودخل معظمها معجماتنا القديمة.

ومن هذه المصطلحات في الطب: الترياق والقولنج... وفي النبات: الخيار والبادنجان والبابونج والسوسن.

وفي عصور الانحطاط: استعملت ألفاظ عربية مستحدثة مثل: غِرَاسَة مصدر غَرَسَ وقسطل بمعنى أنبوب وباقعة لطاقة الزهر... فعُدَّت هذه الألفاظ مَوْلَدَة كما عُدُّوا كل ما عُرِّبَ بعد صدر الإسلام مَوْلَداً عامياً.

يقول العلامة مصطفى الشهابي: (وقد أجاز علماء العربية ما عُرِّبَ في الجاهلية وصدر

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الإسلام وخافوا من تفشي الكلمات الأجنبية فعُدُّوا كل ما عُرِّب بعد صدر الإسلام مولداً عامياً. ولكن هذا المولد مئات بل ألوف من الكلمات المبنوثة في كتب العلوم التي صُنفت أو نُقلت إلى العربية بعد صدر الإسلام. ونحن اليوم نستعمل كثيراً من الألفاظ المولدة، وإن لم تشتمل معجماتنا عليها أو على عدد كبير منها).

وفي هذا العصر، عصر نهضتنا الحديثة، اضطررنا إلى تعريب كثير من الألفاظ عن اللغات التي سبقتنا في مضمار العلوم والتقانات، وفي ابتكار وسائل وأدوات وآلات جديدة، وما نزال نحتاج إلى ذلك ما لم تسعفنا طرائق وضع المصطلحات الأخرى من اشتقاق ومجاز ونحت وترجمة لوضع أبدالٍ عن الألفاظ الأعجمية.

وخلاصة القول أن التعريب اللفظي الذي يدعوه بعض الباحثين: الاقتراض اللغوي، وسيلة تدعو للأخذ بها الحاجة إلى التعبير عن مسميات جديدة معنوية وحسية.

وجدير بالذكر أن هذه الوسيلة ليست خاصة بلغتنا أو مقتصرة عليها، بل تلجأ إليها جميع اللغات في العالم بفعل التبادل التجاري والثقافي بين الأمم؛ إذ ما من أمة عاشت أو تعيش في عزلة عن الأمم الأخرى. ومن المسلم به أن لغتنا العربية مثلما اقتبست عن غيرها من اللغات منذ الجاهلية حتى اليوم، على تفاوت بين مدة وأخرى، فقد اقتبست اللغات الأخرى منها ولا سيما في عصر ازدهار العلم والأدب في ديار العرب، أكثر مما اقتبست هي، حتى إن المفردات العربية التي دخلت بعض تلك اللغات تكوّن نسبة تصل إلى النصف أو أكثر.

ب. المعرب والدخيل:

لم يفرّق بعض القدماء بين المعرب والدخيل، فاستعملوا كلمة الدخيل لهما معاً لوحدة مصدرهما، وهو اللغات الأعجمية. فقال أحد علمائهم: (الدخيل هو كل كلمة أُدخلت في كلام العرب وليست منه) وبعضهم الآخر فرّق بينهما، فقد جاء في معجمات اللسان والصاح والقاموس والتاج: تعريب الاسم الأعجمي أن تتفوه به العرب على منهاجها.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وهكذا فإن الفارق واضح كل الوضوح: المعرب ما لفظه العرب على مناهجهم، والدخيل مالفظوه على ما هو في الأصل أي في اللغة المقتبس منها.

وقبل أن ندخل في شرح المنهاج المذكور، نشير إلى دراسة قام بها باحث لغوي لمعرفة نسبة كل من المعرب والدخيل في المجالات والمعجمات.

بعد دراسة العينات التي أخذها من ست مجالات متخصصة تصدر في أقطار عربية متعددة وجد أن 50% من الكلمات المقترضة (معربة) خضعت لخصائص اللغة العربية وقوانينها و50% (دخيلة) لم تخضع لخصائص اللغة العربية وقوانينها. ومقارنة بما وجد في بعض المعجمات تبين له أن النسبة اختلفت قليلاً 62% (معربة) و38% (دخيلة) وعزا ذلك إلى أن المعجميين أشد حرصاً على تعريب المقترض من كتاب المجالات، وهذا رأي سليم.

ج. جواز التعريب:

أجازت مجامع اللغة العربية التعريب، ونص أحد قرارات مجمع اللغة العربية بالقاهرة على ما يلي: (يُجيز المجمع أن تستعمل بعض الألفاظ الأعجمية - عند الضرورة - على طريقة العرب في تعريبهم).

وقد جاء في توصياته الخاصة بمنهج وضع المصطلحات العلمية العربية المتخصصة التي أقرها مجلس المجمع ومؤتمره في دورتيه لعامي 1994 و1995 مايلي:

الأخذ بالتعريب عند الحاجة، وبخاصة عندما يَنْصِبُ المصطلح الأجنبي على اسم علم، أو كان من أصل يوناني أو لاتيني شاع استعماله دولياً، ويحتفظ بصورة قريبة من صورته الأجنبية مع الملاءمة بينها وبين الصيغ العربية مثل: بيولوجية Biologie وإنزيم Enzyme وجيولوجية Geology ونيوترن Neutron وفسيولوجية Physiology وكاميرا Camera.

كذلك قرر اعتبار المصطلح المعرب لفظاً عربياً وإخضاعه لقواعد اللغة وإجازة الاشتقاق منه مثل: أكسيد Oxide الذي اشتق منه فعل ومصدر أكسَدَ أكْسَدَةً فهذا مؤكسد وذاك مؤكسد، ونقول

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

من بَسْتَرَة Pasteurization بَسْتَر اللبن فهو لبن مُبَسَّر .

وجاء في قرارات ندوة دمشق المنعقدة عام 1999 لإقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح تفصيل لهذا الموضوع:

القرار 11: يجوز التعريب عند الحاجة، لاسيما المصطلحات ذات الصبغة العالمية، وأسماء الأعلام المستعملة مصطلحات، والعناصر والمركبات الكيميائية.

القرار 15: عند تعريب الألفاظ الأجنبية يُراعى ما يلي:
آ. ترجيح ما يسهل نطقه بالعربية من الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.

ب. التغيير في شكل اللفظ لكي يصبح مستساغاً وموافقاً للصيغ العربية.
ج. يُعَدُّ المصطلح المعرب عربياً يخضع لقواعد اللغة، ويجوز فيه، عند الضرورة الاشتقاق والنحت.

د. تصحيح الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الاجنبية، واستعمالها باعتماد أصلها الفصيح.

هـ. ضبط الكلمات عامةً، والمعرَّب منها خاصةً بالشكل حرصاً على صحة نطقها.
أما الدخيل فلم تأتِ قرارات المجامع والمنهجيات على ذكره. فهو من حيث المبدأ غير مرغوب فيه.

د. منهاج التعريب:

فسَّر المحدثون عبارة "منهاج العرب في التفوه بالكلمة الأجنبية" بأنه الخضوع لمقاييس العربية وأبنيتها وحروفها، وهو شرط التعريب وتفرقه عن الإدخال.

فما هي هذه المقاييس والأبنية والحروف؟

إنها مجموعة الخصائص الصوتية والصرفية للكلمة العربية، ويمكن تسميتها: النظام الصوتي العربي.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وعناصر هذا النظام هي:

1. الحروف والأصوات العربية.
2. البنية الصوتية للكلمة العربية
3. الإيقاع الصرفي للكلمة العربية.

وتطبيق هذا النظام على الكلمة المعربة يعني الأمور التالية:

آ. **خلو الاسم المعرب من أي حرف أو صوت غير عربي:**

إن أخطر خرق لقوانين العربية ونظامها الصوتي هو إدخال أحرف أجنبية إلى الكلمة المقترضة مثل: كَ ، ف مقابل V,G (بنكرياس، فيروس، شيكاكو...) ونذكر ما يلي:

- لم يُدخل الأقدمون أحرفاً أو أصواتاً على اللغة العربية بل عمدوا إلى الإبدال. أبدلوا الحرف الفارسي الذي بين الباء والفاء فقالوا: الفرند والفندق، وأبدلوا الحرف الذي بين الكاف والجيم بالفارسية فقالوا الآجر والجوارب.
- إن إدخال الحروف الأجنبية خطر على الأبجدية العربية. فإذا أدخلنا من الإنكليزية سبعة أحرف أو أصوات، فماذا نفعل إزاء الروسية والصينية واليابانية؟
- إن التعريب اللفظي هو إخضاع اللفظ الأجنبي للساننا لا إخضاع لساننا للفظ الأجنبي. ونذكر أن الأوربيين إذا اقتبسوا من العربية لا يضيفون إلى حروفهم حروفاً عربية. فإذا فرنسوا كلمة قُبَّة قالوا: كَبَّة koubba ولا يبالون بالقاف.

ب. تنافر الأحرف والحركات:

- إن تنافر الأحرف قليل الوقوع ولكن تنافر الحركات حاصل في خمس حالات هي:
- وقوع الواو بعد حرف مضموم: أكأجُو، سينأُريو .
- الانتقال من الكسر إلى الضم في الاسم.
- اجتماع أربعة متحركات في الكلمة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

■ اجتماع الواو الساكنة مع الكسرة قبلها.

ج. زيادة الأحرف في الكلمة العربية:

إن أقل حروف الكلمة العربية ثلاثة (الفعل الثلاثي المجرد) وتزيد الأحرف في مصادر الفعل المزيد (سواءً أكان ثلاثي الأصل أو رباعيُّه إلى سبعة أحرف مثل: استدراج (دَرَج) واقشعرار مصدر فعل اقشعرَّ (قَشَعَر). ويمكن أن يصل الحد الأعلى إلى ثمانية في حال حساب ألف تنوين النصب: استدراجاً.

وإذا لحقت بالاسم السباعي أحرف مثل علامات التأنيث والنسبة والجمع والمصدر الصناعي يصبح الحد الأعلى أحد عشر حرفاً مثل: استقبالات، استعماريّات، ولكن هذه زوائد ولا تخلُ بعدد الحروف.

ولكن ثمة كلمات مقترضة تدخل العربية، وتزيد حروفها على ثمانية أحرف مثل سيتوبلازما وأنيزوتروبيه، ويصعب حذف بعض حروفها لأن الحذف يغير دلالتها، فهي ألفاظ دخيلة ولا تعد مُعرّبة ولا حل لها إلا باستعمالها كما هي، أو بإيجاد مقابل عربي لها، ونسبة هذه الحالة في الدخيل 12%.

د. التقاء الساكنين:

إن التقاء الساكنين مما يتّقل على النطق ولذا لا تجيزه العربية. ولكن هذا الشرط قابل للنظر والمعالجة، ذلك أن في العربية ألفاظاً تشتمل على لقاء ساكنين كما في لفظة شابٌّ (الألف والباء الأولى) والاسم الثلاثي الساكن الوسط في حالة الوقف مثل شِِعْرٌ وأَمْرٌ.

أضف إلى ذلك أن التخلص من التقاء الساكنين ممكن بفضل تغيير طفيف فنقول مثلاً هِرْدُوجين أو هايدروجين.

فإذا لجأ المعربون إلى التخلص منه كما سلف أو التغاضي عنه في بعض الأحيان، تنخفض نسبة الدخيل المقترض 20% في تقدير بعض الباحثين.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

هـ. الابتداء بساكن:

من قواعد اللغة العربية أن تبدأ الكلمة بحرف متحرك ولا تبدأ بحرف ساكن. ولحل هذا الإشكال اقترح بعض اللغويين المحدثين الإجازة للكلمات التي تُقترض من لغات تجيز الابتداء بساكن حلاً منها:

1. تحريك الحرف الأول الساكن بحركة سهلة كالفتحة غالباً مثل: بُرازيل بَرَازيل Brésil وفرنسا فَرَنسا France .

2. زيادة همزة في أول الكلمة: سبانيا إسبانيا Spain وسُكوتلاند إسكوتلندة Scotland

3. حذف الحرف الأول من الكلمة المعربة: بُسيكولوجية سيكولوجيا بحذف الباء Psychologie.

4. أن ينطق بالساكن كما هو فنقول: بُراون لا إبراون.

وفي رأيي أن الحل الأول هو المفضل يليه الحل الثاني، والحكم في ذلك للذوق السليم، وأما الحلان الآخران ففيهما مخالفة صريحة للقاعدة لا موجب لها.

وهكذا يتبين أن تعريب الألفاظ الأجنبية المقتبسة من اللغات الأجنبية لا تسوّغه إلا الضرورة والحاجة، ويحكمه ويضبطه النظام الصوتي، وتُعَدّ الكلمة العربية، آنذاك من العربية، وإلا فاللفظ المقتبس يظل غريباً عنها لمخالفته منهاج العرب في النطق ويُسمّى دخيلاً.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

المراجع:

1. كتاب "المصطلحات العلمية في اللغة العربية" للأمير مصطفى الشهابي، طبعة ثانية منقحة ومزودة، من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1965.
2. كتاب "اللغة العربية والصحة العلمية الحديثة" تأليف الدكتور كارم السيد غنيم عضو هيئة التدريس بكلية العلوم في جامعة الأزهر - مكتبة الساعي 1989.
3. كتاب "قضايا لغوية معاصرة" تأليف الدكتور ممدوح خسارة، طبع الدار الوطنية الجديدة للنشر والتوزيع ط1/ 2003.

حذف حرف العطف بين اللغة العربية واللغات الغربية

د. أحمد محمد جواد محسن*

أستاذ جامعي عراقي

مقدمة

من القضايا التي تحظى بإجماع عام لدى المهتمين بشأن الروابط بين اللغات، قضية هي أن لكل لغة منطقها البياني الخاص بها، يختلف أحياناً ويتشابه أحياناً أخرى، مع ما تتضمنه اللغات الأخرى. ينطبق ذلك على إدخال أية طرائق جديدة في الكتابة، كعلامات الترفيم وحذف حروف العطف عند توالي المعطوفات ما عدا المعطوف الأخير في الجملة، وهي موضوع هذه الدراسة. والذي دعانا للبحث في هذا، هو أن بعض المترجمين والكتّاب يستسخون الوافد الجديد، دون مراعاة لخصائص اللغة العربية وما تمتاز به من جمال وثراء وبلاغة، وقدرة على التعبير بوسائل مختلفة، وطرائق متنوعة عن المعنى الواحد، هذا أولاً. وثانياً دون الالتفات إلى ما يسببه هذا الوافد من اضطراب وغموض وإرباك. وثالثاً دون استشارة المختصين وخبراء اللغة العربية.

توالي حروف العطف في اللغة العربية

من المعروف أن اللغة العربية تستعين بحروف العطف، مهما تعددت المعطوفات لربط مكونات الكلام بعضها ببعض، حتى تستقيم العبارة وتؤدي المعنى المطلوب. يتجلى ذلك فيما جاء في القرآن الكريم والشعر العربي وكتابات النثر الأخرى. على سبيل المثال، تكرر حرف

* ماجستير في الرياضيات من جامعة دندي في بريطانيا، عضو في هيئة التدريس (سابقاً) في الجامعات الليبية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

العطف ((الواو)) بين المعطوفات في قوله تعالى تسع مرات: ((حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلُ لَغِيرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمَنْخَنَقَةُ وَالْمَوْقُودَةُ وَالْمُتَرْدِيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبْعُ إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ)) المائدة، الآية 3. وكذلك أُعيد حرف الواو أربع مرات في قول امرئ القيس:

فدمعهما سَحَّ وسكَبَ وديمةً ورشَّ وتوكاف وتنهملان⁽¹⁾

والشيء ذاته ينطبق على تعدد حرف العطف (أو) كما في قوله تعالى: ((ولا على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتم مفاتحه أو صديقكم)) النور، الآية 61.

كذلك في قول البحتري:

قف مشوقاً أو مسعداً أو حزيناً أو معيناً أو عاذراً أو عدولاً⁽²⁾

ومن النصوص النثرية نأخذ ما كتبه ابن خلدون، مستعملاً حرف العطف ((و)): "فلا يحتاج من الصنائع إلا البسيط، أو حائك أو جزار"⁽³⁾.

مما تقدم، نلاحظ أنه ليس هناك ثمة حالة ضعف في التعبير عن المعنى أو ملل من تكرار حروف العطف.

حذف حروف العطف في اللغات الغربية

إن اللغة الانكليزية، على سبيل المثال، لا تعيد حروف العطف بين المعطوفات المتوالية، وإنما تُحذف هذه الحروف بين المعطوفات التي تكوّن سلسلة من ثلاث كلمات أو أكثر، ولا يبقى إلا حرف عطف واحد قبل المعطوف الأخير، وتوضع فاصلة مكان كل حرف محذوف، كما في الشكل التالي الذي يمثل حالة أربعة معطوفات:

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

	,		,		,	and or but	
----------------------	---	----------------------	---	----------------------	---	------------------	----------------------

والمثالان الآتيان يوضحان القاعدة السابقة:

1. He doesn't enjoy skiing , ice-skating , or sledding.
2. Cecille speaks English , Spanish , French , and Creole.

ينبغي أن نلاحظ أنه ليس هناك فاصلة، إذا كان هناك معطوفان في الجملة الواحدة:

Chen speaks Mandarin and Taiwanese.⁽⁴⁾

يبدو أن أحد الأسباب التي تدعو الغربيين لحذف أو تقليل من تكرار حروف العطف، هو ميل اللغات الغربية ميلاً شديداً إلى الاختصار واستخدام الرموز دائماً. لأن طبيعة هذه اللغات وخصائصها تساعد على ذلك. وقياساً على ذلك فحرف العطف ((and)) يتكون من ثلاثة حروف، وتكراره يتطلب وقتاً أكثر للقراءة والكتابة، لذلك لابد من إلغاء هذا التكرار. والشيء ذاته ينطبق على الحرف ((or)). أما في اللغة العربية فإن حرف العطف ((و)) يتكون من حرف واحد ولا يتطلب عناءً كثيراً عند قراءته وكتابته.

وثمة سبب آخر للاختصار يتصل بجمالية التعبير، كما يقول إبراهيم أنيس:

وكثرة تكرار أداة الربط ((and)) في اللغة الإنكليزية تعد مظهراً من مظاهر ضعف الأسلوب، ولذا يتفادى منها الكاتب الماهر، ولا نكاد نراها إلا في بعض الرسائل التي تحررها عادة النساء⁽⁵⁾.

استخدام طريقة الحذف في اللغة العربية

الأمر المؤسف في هذا المضمار أن تتبع طائفة من المترجمين والكتاب، القاعدة الغربية في حذف حروف العطف دون مراعاة لخصائص اللغة العربية وبلاغتها وقوتها وجمالها، متجاهلين أيضاً ما يوصي به علماء اللغة العربية. على سبيل المثال، يقول إبراهيم أنيس في هذا المجال:

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فالوصل خاصية من خصائص اللغات السامية لا نكاد نراها في اللغات الأوروبية.

ويكفي أن يقوم المرء بترجمة قطعة من اللغة العربية إلى اللغة الإنكليزية ترجمة صحيحة، حتى يدرك أنه لابد من تجاهل واوات العطف الكثيرة في الكلام العربي. فإذا كانت الترجمة من الإنكليزية إلى العربية، وجد المترجم أنه من الضروري أن يمد ترجمته بعدد من واوات العطف يتطلبها الأسلوب العربي⁽⁶⁾.

إن هذا ينطبق على حرف العطف ((أو)) أيضاً، كما أشرنا إلى ذلك أنفاً. ولبيان تطبيق الطريقة الأجنبية السابقة على اللغة العربية، نذكر النصوص التالية:

- تقود الأجور المنخفضة والبطالة المستمرة والاستخدام القليل إلى دخل منخفض، فقدان ملكية الثروة، غياب المدخرات، غياب احتياطي الغذاء في البيت، والنقص الحاد في النقود⁽⁷⁾.

- وعي الباحث بحاجته إلى المعلومات، والتعرف عليها بشكل واضح، مثل نوعية الموضوع الذي يريده، المدة الزمنية لانجاز البحث، نوعية الوثائق، طريقة إبلاغه بالمعلومات واللغة التي يفضل أن يدرس بها أو يكتب بها⁽⁸⁾.

- وبمعنى آخر فإن تفسيرات الأطفال فيما يتعلق بالتنظيمات ومشروعيتها يتحقق عن طريق طقوس المدرسة، تلميحات السلطة، أو الأعمال الإرشادية والتوجيهية...⁽⁹⁾.

- ومن ثم حددت بالينسكو ويراون أربع استراتيجيات بسيطة، يمكنها معاً أن تطل الوظيف الأربع الضرورية للفهم، وهي: التلخيص، طرح الأسئلة، التوضيح، والتنبؤ⁽¹⁰⁾.

الاضطرابات الناجمة عن طريقة الحذف

نعتقد أن تطبيق طريقة حذف حروف العطف، تطبيقاً حرفياً لما هو متبع في اللغات الغربية، تخل بعملية القراءة. فالقارئ لا يعلم ما هي أداة الربط بين المعطوفات، إلا بعد أن يصل بصره إلى المعطوف الأخير. وعندما يحول عينه إلى نهاية الجملة، عليه الرجوع ثانية لأول الجملة، لإعادة قراءتها وفهم محتواها. هذا العمل يُفقد الجملة وحدتها واستمرارها ومعناها السريع، مما

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يريك القارئ.

ومن المعروف أن الكتابة تقتضي أن تكون سهلة العبارة بألفاظ معروفة، محددة المعنى لا التواء ولا تعقيدات فيها، لا يكتنفها الغموض، وألاً تتداخل الجمل بعضها مع بعض، ليضيف التداخل اضطراباً وتضليلاً وأعباءً على ذاكرة القارئ، فيبقى في حيرة وتساؤل.

لابد من الاعتراف هنا أن درجة فهم المادة المكتوبة يعتمد أيضاً على قدرة القارئ وإمكاناته ومعرفته بالموضوع المعين، لكن ذلك يستدعي أيضاً الابتعاد عن التركيبات المعقدة، الصعبة الفهم، التي تفسر في نواح مختلفة.

وكمثال على ذلك، نأخذ النصوص التالية، التي توضح الاختلاط بين حروف العطف، وحذفها واستخدام أدوات الترقيم.

- هو حالة الشك وفقدان اليقين، بعد أن سقطت الآلهة الجديدة، المادة، والعلم، والعقل، وفشلت في تفسير الكون أو تحقيق السعادة للإنسان⁽¹¹⁾.
- تناول الفصل الأول أهداف الإحصاء وطبيعة المتغيرات وأصنافها (متغيرات متصلة، غير متصلة أو مرتبة) دون مناقشة سلال المقياس⁽¹²⁾.
- الحاجات النوعية لكل وسط أمي (اجتماعية، اقتصادية أو مهنية - ثقافية)⁽¹³⁾.

الاستغناء عن حروف العطف في اللغة العربية

إن اللغة العربية لها صياغتها الخاصة بحذف حروف العطف. فالحروف هنا يُستغنى عنها جميعاً في الجملة، شرط أن يكون المعنى واضحاً، عند ذلك يُعبر عن العطف ليس بالألفاظ، ولكن بعلامات الترقيم، مثل الفاصلة والفاصلة المنقوطة والشرطة (-).

وقد جاء في المعجم الشامل: يجوز حذف الواو إذا أمن البس: زارني أحمد، حامد، سليم أي أحمد وحامد وسليم⁽¹⁴⁾. وذكر عباس حسن الأمثلة التالية عن جواز حذف الواو عند أمن اللبس: زرت أقاربي في الصعيد، وقابلت منهم: العم، العممة، الخال، الخالة، أبناءهم... أي: العم والعممة،

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والخال والخالة، وأبناءهم. ومثل: قرأت اليوم: الصحف اليومية - المجلات - الرسائل - المحاضرات... أي: الصحف اليومية، والمجلات، والرسائل، والمحاضرات... ومثل هذا في سرد الأعداد، نحو: من الأعداد عشرة - عشرون - ثلاثون - أربعون. وكذلك في قوله عليه السلام: تصدق رجل، من ديناره، من درهمه، من صاع بُزّه، من صاع ثمره. وما نقل من قول بعض العرب: أكلت خبزاً، لحماً، تمرّاً. وقول الشاعر:

كيف أصبحت كيف أمسيت مما يغرسُ الوُدَّ في فؤادِ الكريم⁽¹⁵⁾

أي كيف أصبحت وكيف أمسيت.

كما ذكر غازي براكس أمثلة أخرى عن حذف حرف العطف ((الواو)): كان العالم يكتب، يقرأ، يختبر، يراقب، يقارن، دونما راحة. أو نحو: كانت المعلمة جذابة، لطيفة، وديعة. وقد تكون الصفة مضافة نحو: كانت المعلمة جذابة الوجه، لطيفة الحديث، وديعة القلب⁽¹⁶⁾. كذلك نحو: قطعت سنوات التعليم، الأولى، الثانية، الثالثة، الرابعة⁽¹⁷⁾.

وفي القرآن الكريم هناك أمثلة على الاستغناء عن حرف العطف ((الواو)) كما في قوله تعالى: ((صُمُّكُمْ عُمِّيْ فَمَنْ لَا يَرْجِعُونَ)) البقرة، الآية 18. فقد تعددت الصفة للموصوف الواحد. كذلك في الشعر العربي، كما في قول صفي الدين الحلبي، حين يصف فرساً له:

طويلُ الثلاث قصيرُ الثلاث عريضُ الثلاث فسيحُ الثلاث⁽¹⁸⁾

ثم إن امرأ القيس فعل الشيء ذاته حين وصف فرسه ولكن بصياغة أخرى:

مكْرٌ مَقْرٌ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعاً كجلمود صخرٍ حطّه السيْلُ مِنْ عَلٍ⁽¹⁹⁾

لقد أوضح امرؤ القيس المقصود بإضافته كلمة ((معاً)) لتدل على اشتراك صفات الفرس بالمعنى

و كقول تائب شرّاً، يصف صورة الصعلوك من أمثله:

حَمَالُ أَلْوِيَةِ شَهَادِ أَنْدِيَةِ

قَوَالٌ مُحْكَمَةٌ جَوَابِ آفَاقٍ⁽²⁰⁾

وطريقة حذف حرف العطف ((الواو)) تنطبق على حذف حرف ((أو))، إذ يقول عباس حسن: يصح حذف ((أو)) عند أمن اللبس، نحو: وسائل السفر متنوعة، يتخير منها كل امرئ ما يناسبه، فسافر بالطيارة - القطار - الباخرة - السيارة. وقولهم: أعطِ الرجل درهماً، درهمين، ثلاثة...⁽²¹⁾. وكما في "وسائل السفر كثيرة: القطار، السيارة، الباخرة، السيارة". هنا حذفت (أو) لأنها مفهومة من معنى الكلام⁽²²⁾.

لذلك فإن منطق بيان اللغة العربية وبلاغتها تتبع طريقتين، إما استخدام حروف العطف بين كل المعطوفات، أو حذف حروف العطف جميعها إذا أمن اللبس، أو وفق قواعد معينة يعرفها المختصون باللغة العربية.

خاتمة

لسنا من المعارضين لإدخال طرائق جديدة تغني الكتابة في اللغة العربية. غير أن ذلك ينبغي أن يكون مفيداً، ميسراً على فهم الألفاظ والجمل والتراكيب، وأن تكون قادرة على أداء المعاني وعلى إثارة حماس القارئ وشد انتباهه إلى الموضوع، لا أن يُدخل الكاتب أو المترجم ما يزيد من غموض النص وإرباك القارئ، ومن ثم يُتعب ذهنه ويصره ويشتت فكره. هذا من جانب ومن جانب آخر نحن لم نشك يوماً من كثرة تكرار حروف العطف، لكي نحذفها. لذلك ينبغي الابتعاد عن هذه الطريقة، كما ينبغي للمؤسسات المختصة متابعة هذه القضية والفصل بها.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

المراجع

1. مظهر الحجي، من حُلّية المحاضرة لأبي علي الحائمي، السفر الثاني، دمشق، وزارة التربية، 2000، ص 504.
2. نديم مرعشلي، البحري، ط ٢، دمشق، دار طلاس، 1987، ص 173.
3. يوحنا قمير، ابن خلدون، ط ٢، بيروت، دار المشرق، 1986، ص 76.
4. Oshima, A. & A. Hogue, Writing Academic English, Third Edition, New York, Longman, 1999, P. 246.
5. إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة، ط ٤، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1972، ص 327.
6. المرجع السابق، ص 327.
7. ج. تيمونز روبيرترتس وأيمي هابت، من الحداثة إلى العولمة، ترجمة سمر الشيشكلي، عالم المعرفة، العدد 309، الكويت، 2004، ص 171.
8. تينو نور الدين، تقنيات البحث العلمي، مجلة اتحاد الجامعات العربية، العدد 27، عمان، 1992، ص 164.
9. جوسيه أ. كاستورينا، المعرفة الاجتماعية للأطفال، ترجمة بهجت عبد الفتاح عبده، مجلة مستقبلات، العدد 109، القاهرة، 1999، ص 140.
10. جون ت. بروبير، مدارس من أجل التفكير، ترجمة كهيل بوز، دمشق، وزارة التربية 2002، ص 307.
11. عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، عالم المعرفة، العدد 272، الكويت، 2001، ص 63.
12. دي. جي. ريز، الهام في الإحصاء، إعداد خميس بن حميدة، المجلة العربية للبحوث التربوية، مج 7، العدد 2، تونس، 1987، ص 137.
13. سعيد إسماعيل علي، الأمية في الوطن العربي، عمان، يونيد باس، 1991، ص 318.
14. محمد سعيد أسبر وبلال جنيدي، معجم الشامل، بيروت، دار العودة، 1981، ص 1006.
15. عباس حسن، النحو الوافي، ج ٣، ط ٤، القاهرة، دار المعارف بمصر، 1966، ص 565، ص 640.
16. غازي براكس، فن الكتابة الصحيحة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985، ص 295.
17. عباس حسن، مرجع سابق، ص 575.
18. عمر فاروق الطباع، ديوان صفي الدين الحلي، بيروت، دار الأرقم، 1997، ص 234.
19. شوقي ضيف، العصر الجاهلي، القاهرة، دار المعارف بمصر، ص 194.
20. المرجع السابق، ص 378.
21. عباس حسن، مرجع سابق، ص 611، ص 640.
22. محمد سعيد أسبر وبلال جنيدي، مرجع سابق، ص 214.

في الأصيل والدخيل (دراسة لغوية تأصيلية)

د. ماهر عيسى حبيب*

مدرس فقه اللغة العربية – جامعة تشرين

اتصل العرب بغيرهم من الأمم المجاورة، فاحتكت العربية بلغات كثيرة منذ العصر الجاهلي، وبلغ الاحتكاك ذروته في الفتوحات الإسلامية، وتبادلت التأثير والتأثر مع تلك اللغات وهذا ما أدى إلى تطورها وفق اتجاهات عدة، من هذا التطور نوع يعرف بالتداخل اللغوي، أو الاقتراض اللغوي من العربية وإليها، فالعربية ((ليست بدعاً من اللغات الإنسانية، فهي جميعاً تتبادل التأثير والتأثير، وهي جميعاً تُقرض غيرها وتقرض منه، متى تجاورت أو اتصل بعضها ببعض على أي وجه...)).¹ ولذلك يُعدُّ الاقتراض من اللغات المجاورة أحد سُبل نمو الثروة اللفظية للغة، لأنه يُضيف ألفاظاً لم تكن معروفة عند مُتكلّمي اللغة من قبل.

وعُنِيَ اللغويون العرب بِظاهرة الاقتراض منذ القديم، وشاعت في دراساتهم مُصطلحات مُتعددة كالـدخيل، والمُعرب، والمولد، والأعجمي، فَرَّقُوا بينها وفق اعتبارات عديدة، يرتبط بعضها بقواعد الاحتجاج وزمنه، ويرتبط بعضها الآخر بطرق العرب في التعريب،² إلا أنهم ادعوا أحياناً عروبة

* مدرس فقه اللغة العربية، متفرغ في جامعة تشرين، كلية الآداب الثانية بطرطوس، قسم اللغة العربية، سورية.

¹ دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ص 314-315.

² المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 153 وما بعدها، ولمزيد من التفصيل يُنظر: أثر الدخيل في العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو ص 43 وما بعدها، وفقه اللغة، د. علي عبد الواحد وافي ص 199.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

بعض الألفاظ وأجهدوا أنفسهم في إثبات ذلك لاعتبارات خارجة عن اللغة³، وهي أعجمية الأصل، وربما فعلوا العكس إذ نسبوا بعض الألفاظ إلى العجمة وهي عربية أصيلة، كلفظة (القميص) مثلاً، التي نجد أسباباً كثيرة تدعم فرضية عروبته، على حين جعلها أحد الباحثين دخيلة على العربية غير أصيلة فيها؛ فرأى أن القميص ((تسرّب إلى العربية في عصرين مختلفين وعن طريق شعبين قريبين فلفظ قميص، قديم في العربية وورد في القرآن الكريم، وكان قد دخلها عن طريق اتصال العرب بالرومان في بلاد الشام.. أما العصر الثاني الذي دخل فيه هذا اللفظ لُغتنا فهو العصر الحديث، وهذه المرة ليس عن طريق الشعب الروماني بل عن طريق الفرنسيين. ففي العربية كثيراً ما نقرأ أو نسمع لفظ chemisette (شميزيت) للدلالة على القطعة العليا من ثوب السيدة المكون من قطعتين، فهذا اللفظ ما هو إلاّ تصغير كلمة chemise شميز..)).⁴

فهل هذه اللفظة دخيلة أم عربية أصيلة ؟ هذا السؤال هو الهدف الرئيس الذي سيحاول هذا البحث الإجابة عنه، بتتبع كلمة قميص والكلمات المشتقة من الجذر اللغوي (ق، م، ص)، وتتبع المستعمل منها ما أمكن، ولكن قبل تتبع الألفاظ المشتقة من الجذر السابق لابد من الإشارة إلى شيوع كلمة القميص في معظم اللغات الأجنبية الحية المجاورة للعربية، أو التي احتكت بها إما بسبب المجاورة، وإما بسبب علاقات التجارة أو الاحتلال العسكري؛ فنجد في الإنكليزية لفظة shirt (شيرت) بمعنى قميص⁵؛ وجعلها معجم Chambers 21 ST Century من أصل أنجلو

³ من مثل ما فعله مُنكرو العرب أو الدخيل في القرآن الكريم، يُنظر: المدخل إلى فقه اللغة العربية ص 156 وما بعدها، ودراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، ص 316 وما بعدها.

⁴ الدخيل في اللغة العربية د. فؤاد حسن علي (فصل من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة، مج 12 ج1) مطبعة جامعة فؤاد الأول (1950) ص 87

⁵ the oxford English Dictionary, volume c , oxford university, press Walton street, oxford, at the clarendon press, first published 1933, reprinted 1961, 1970, 1978 p. 715. ويُنظر: المورد، (مُنبر

البلعكي إنكليزي - عربي، دار العلم للملايين بيروت (1999) ص 847

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

سكسوني⁶، كما نجد لفظتي: chemisette (تشميزيت) و chemise (تشميز) بِمَعْنَى قميص النساء التحتاني الفضفاض⁷، ودخلت الإنكليزية من الفرنسية من أصل لاتيني camisa shirt⁸، وفي الفرنسية لفظتان أيضاً: chemise (شوميز) بِمَعْنَى (قميص)، و chemisette بِمَعْنَى بلوزة، قميص نسائي من أصل لاتيني أيضاً camisa⁹، وفي الإيطالية camicia (كَميسيا) بِمَعْنَى قميص، ونجد في الإيطالية أيضاً كلمتي: camice (كميص) بِمَعْنَى قفطان طويل، قميص الأطباء والحرفيين وغيرهم، وكلمة: camicetta (كميستا) للدلالة على القميص النسائي النصفي¹⁰، والكلمة في الفارسية (شميز) بِمَعْنَى قميص ودخلتها من الفرنسية.¹¹ وهي في التركية العثمانية qamis (قميص) بالمعنى العربي نفسه¹²، وربما بتأثير باللغة الفرنسية نجد في العامية المغربية كلمة (قَميصون) للدلالة على قميص نوم المرأة.¹³ في حين نجده بالمعنى المجازي في العامية السورية إضافةً إلى معناه الأصلي؛ فالقميص فيها بِمَعْنَى: ((حويط (تصغير حائط) يلزق بالحائط لتقويته)).¹⁴ وعلاقة المُشابهة هنا بين المعنى الأصلي والمعنى المجازي قائمة من جهة كون الحائط الصغير يلتصق بالحائط فصار كأنه لابس.

وفي ذلك دلالة قوية على وجود أصل واحد للكلمة في لغة واحدة، ومنها انتقل إلى اللغات الأخرى؛ فهل تكون العربية هي الأصل الذي انتقلت منه اللفظة إلى اللغات الأخرى؟

⁶ Chambers 21 ST Century Dictionary. Editor in chief - Mairi Robinson - Chambers - , first published by Chambers 1999, reprinted 2000, p. 1294.

⁷ The oxford English dictionary p 319. ويُنظر: المورد ص 171

⁸ Chambers 21 ST Century Dictionary. P 239.

⁹ Grand Larousse de langue Française A- cippe – Librairie Larousse 1971. p 699

¹⁰ قاموس التليسي إيطالي – عربي خليفة محمد التليسي (الدار العربية للكتاب 1984) ص 130

¹¹ المُعجم الفارسي الكبير (فارسي – عربي، مكتبة مدبولي القاهرة 1992) 1757/2

¹² A Turkish and English lexicon Sir James W. Red house, librairie Du Liban, Beirut 1996. p 1473.

¹³ مُعجم شمال المغرب تطوان وما حولها عبد المُنعم سيد عبد العال (القاهرة 1968) ص 189

¹⁴ موسوعة العامية السورية ياسين عيد الرحيم (وزارة الثقافة دمشق 2003) ص 1263

ليس من المستغرب أن تكون الكلمة عَرَبِيَّةً الأصل ودخلت اللغات الأوربية وغيرها من اللغات المجاورة من العربية؛ إذ إنَّ وجودَ اللفظ في اللغات الأوربية ليس دليلاً على عجمته، ثُمَّ ما المانع من أن يكون اللفظ العربي هو الذي انتقل إليها؟! لا سيما أنَّ له استعمالات معنوية كثيرة وقديمة في العربية، كما سنرى في المعاجم اللغوية العربية، ثم في الاستعمال اللغوي السياقي، فضلاً على وزنه العربي، ونسيجه الصوتي العربي، الذي حافظ عليه اللفظ، إلى حدٍّ ما، في معظم المفردات المُقتَرَضَة إلى اللُّغات السابقة؛ إذ إنَّ لهذه الاستعمالات المعنوية الكثيرة للفظه قميص في العربية، ثم للمفردات الأخرى المُشتقة من الجذر اللغوي (ق، م، ص) دلالات على عَرَبِيَّة اللفظ، وليس على عجمته، فَمَن أجل أن يتطور لفظ ما من دلالاته الحسية إلى دلالاته المَعنوية، كما نلمح بالدليل المنطقي، لابد من أن يدرج ويشيع على ألسنة الناس فيستعمل مدة طويلة من الزمن، يدلُّ في أثنائها على معانٍ حسية قد تكون مُتعددة، ثم تتطور إلى دلالات معنوية، وبذلك فإننا نجد دلائل قوية على احتمال عروبة اللفظة؛ من أهمها: طول مدة الاستخدام دون تغيير في نسجه وصيغته من جهة، وكثرة استعمال اللفظ وبدلالات مُتعددة حسية ومعنوية، مع كثرة المفردات المُستعملة، والمُشتقة منه، ومن الجذر اللغوي نفسه، من جهة ثانية، إذ نلاحظ أنَّ الألفاظ المُشتركة مع لفظة القميص في الجذر اللغوي تنامت وازدادت عدداً في المعاجم اللغوية العربية المتأخرة، عنها في المعاجم القديمة، وأصبح أكثرها يدلُّ على معانٍ معنوية في حين كانت في معظمها ذات دلالات حسية في المعاجم القديمة، كما يظهر، إضافةً إلى ذلك كثرة الاشتقاق من كلمة القميص نفسها بدلالاتها الحسية، حيثُ اشتقَّ منها كثير من المفردات التي يدل بعضها على معانٍ معنوية، وفي ذلك دلالة كبيرة على قدم اللفظة في الاستعمال السياقي اللغوي، وكثرة شيوعها، ومُقارنة بسيطة بين مُعجمين لغويين عربيين في مادة (ق، م، ص) نفسها تُظهر ذلك؛ فإذا ما نظرنا إلى الألفاظ المُشتقة من الجذر اللغوي (ق م ص) ونقاليبها في أول معجم عربي لغوي؛ وهو كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) وجدناها:

(ق ص م)، (ق م ص) مستعملان فقط... (القِمَاصُ) أي ألاَّ يَسْتَقِرَّ في موضع. و(القَمَصُ) دُبَابٌ صِغَارٌ فوق الماء، الواحدة قَمَصَةٌ، والجَرَادُ أَوَّلُ ما يَخْرُجُ من بَيْضِهِ. والقَميصُ المعروف.

ولكنها في لسان العرب لابن منظور (ت 711 هـ) أكثر عدداً مما كانت عليه في العين حيث جاءَ بألفاظٍ من باب الاشتقاق من معنى القميص الحسي أي بمعنى: قطعة من الثياب: (قَمَصَ الثوبَ: قَطَعَ منه قميصاً؛ وَتَقَمَّصَ قَمِيصَهُ: لبسه، وإنه لَحَسَنَ الْقَمِيصَةَ. وَقَمَّصَتْهُ تَقْمِصاً أي أَلْبَسَتْهُ فَتَقَمَّصَ أي لَبَسَ... وَسَيَقَمَّصُكَ اللهُ قَمِيصاً) ومما جاءَ في هذه المادة في لسان العرب كذلك: وَقِمَاصٌ... وهو الْقِمِصَى.. حيثُ نرى لفظة قِمَاصٍ ترادفت مع كلمة ثانية فأصبحتا تدلان على المعنى نفسه. وفي حديث علي: أَنه قَضَى في القَارِصَةِ وَالْقَامِصَةِ... ويقال للفرس: إنه لِقَامِصٌ العُرْقُوبِ وَيَقَمَّصُ في أنهار الجنة أي يَتَقَلَّبُ وَيَنْعَمِسُ، ويقال للكذاب: إنه لَقَمُوصٌ الحَنْجَرَةِ.

ونجد تطوراً آخر في هذه المادة المُعْجِمِيَّة بين معجمي العين ولسان العرب؛ حيثُ نجد لفظة (قِمَاصٌ) بمعنى الثوب جاءت في معجم العين بكسر القاف فقط، على حين جاءت في لسان العرب بالحركات الثلاث فيقال للقلق: قد أخذهُ الْقِمَاصُ وَالْقِمَاصُ وَالْقِمَاصُ: الثوب، كما نجد تطوراً من جهة تصحيح نطق اللفظة مما يدل على كثرة تداولها على الألسنة. فيقال: هذه دابة فيها قِمَاصٌ، ولا تقل قِمَاصٌ، ثم نجد تطوراً دلالياً من معنى الثوب إلى معنى النفور والإعراض، وهو تطور من الحسي إلى المجرد؛ ففي حديث عمر: فَقَمَّصَ منها قَمِصاً أي نَفَرَ وأَعْرَضَ، كما نجدُ تطوراً من جهة النطق أي من جهة الإبدال الصوتي بين صوتي الميم والنون... ومنه حديث الآخر: قَمَّصَتْ بِأَرْجُلِهَا وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا. ثم نجد اتساعاً دلالياً من معنى الثوب إلى معنى الزلزلة ففي حديث أبي هريرة: لَتَقَمِّصَنَّ بِكُمْ الْأَرْضَ قِمَاصَ الْبَقَرِ، يعني الزلزلة.¹⁵

¹⁵ لسان العرب (ابن منظور الأفرقي المصري دار صادر بيروت ط1) 82/7 وما بعدها.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فنحن نلاحظ من تتبع ما جاء في لسان العرب، إضافة إلى كثرة مفردات المادة المعجمية، كثرة الظواهر اللغوية فيها من إبدال صوتي، وتغير في الصوائت، وترادف، وتوسع دلالي، وانتقال من المعنى الحسي إلى المعنى المعنوي المجرد، كل ذلك يدل على كثرة استعمال تلك المفردات، ودورانها على الألسنة مدة طويلة من الزمن، وهذا ما سمح بالتغيرات اللغوية التي أصابت المفردات في المباني وفي المعاني معاً، وهذا ما يقوي في أنفسنا عروبة ذلك اللفظ.

ومما يدعم هذا الرأي أننا نجد المستشرق دوزي يقول بعد تتبعه اللفظ في المؤلفات العربية وتفصيله في أنواع القميص وأشكاله ومما تكوّن في مختلف الأمصار العربية: ((...ونحن نعلم أن كلمة قميص قد تسلت إلى اللغات الرومانية...)).¹⁶ وهذا يدل على أنه ليس أصيلاً في الرومانية على نحو ما أشار الباحث السابق.

لفظة القميص بين المعنى المعجمي والمعنى السياقي:

سنحاول تتبع كلمة (قميص) أولاً ومعانيها لتدعيم فرضية عروبتها في سياقات استعمالها بدءاً من القرآن الكريم، فالمعاجم اللغوية العربية، فلاستعمال السياقي اللغوي الشعري والنثري للفظه مستعينين بإمكانات الحاسوب، وملاحظين كيفية تطورها اللغوي، منذ العصر الجاهلي، وحتى نهاية العصر العباسي.

فوردت الكلمة في القرآن الكريم بمعنى قطعة الثياب فقط في سورة يوسف خمس مرات مُضافةً إلى هاء الغائب (أي قميصه) ومرة واحدة مُضافة إلى ياء المتكلم (قميصي) وذلك في قوله تعالى: اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا (93 يوسف)، وأما الآيات التي وردت فيها كلمة قميصه فهي: وجاءوا على قميصه بدم كذب (يوسف 18) واستبقا الباب فقدت قميصه من دبر (25 يوسف) إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين (26 يوسف) وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (27 يوسف) فلما رأى قميصه قد

¹⁶ المُعْجَم المُفَصَّل بأسماء الملابس عند العرب (اللسان العربي مج. 10 ج. 3) ص 185

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

من دُبرٍ قال إنه من كيدكن (28 يوسف)،

((أجرى الله تعالى أمرَ يوسفَ من ابتدائه إلى انتهائه على ثلاثة أقمص: أولها قميصه المضرج بدمٍ كذبٍ، والثاني قميصه الذي قُدَّ من دُبرٍ، والثالث قميصه الذي أُلقي على وجه أبيه فارتدَّ بصيرا، ولكلٍ من هذه الأقمص مَوضعٌ من ضرب المثل وإجراء النادرة)).¹⁷

وأوردت المعاجم العربية القديمة معانيَ مختلفة للفظ (القميص)، فمما جاء في بعضها: ((.. والقميص الذي يُلبسُ مُذكر وقد يؤنث إذا غُني به الدرع وقد أنثه جرير حين أراد به الدرع:

تدعو هوازن والقميصُ مُفاضةً تحت النطاق تشدّ بالأزرار¹⁸

فإنه أرادَ قميصه درعَ مُفاضة.. وذكر الشيخ ابن الجزي وغيره أن القميص ثوب مَخِيط بُكْمَيْن غير مفرج يُلبسُ تحت الثياب أو لا يكونُ إلّا من قطن أو كتان.. وأما من الصوف فلا.. ولعله مأخوذٌ من الجلدة التي هي غلاف القلب وقيل مأخوذٌ من التقمص وهو التقلب ج. قُمَص.. وأقمصة وقمصان.. والقميص المشيمة.. وقال ابن الأعرابي القميص غلاف القلب وهو مَجاز..)). ووجد ابن فارس أنَّ ((القاف والميم والصاد أصلان: أحدهما يدلُّ على لُبس شيء والانشيام فيه، والآخر على تَرَو شيءٍ وحركة فالأول: القميص للإنسان، معروف يُقال: تَقَمَّصُهُ إذا لبَّسه، ثم يُستعارُ ذلك في كل شيء دخل فيه الإنسان، فيقال: تَقَمَّصَ الإمارة، وتَقَمَّصَ الولاية..)).¹⁹ ((وتَقَمَّصَ في النهر: تَقَلَّبَ وانغمس فيه... وقَمَّصَ الثوبَ تَقَمِصاً: قطع منه قميصاً... ويُقال للكذاب: إنه لَقَموصُ الحنجرة..)).²⁰ ((وقَمَّصَ البَحْرُ بالسفينة إذا حرَّكها

¹⁷ ثمار القلوب في المُضاف والمُنسوب الثعالبي (دار المعارف ذخائر العرب 57 د. ت) ص 47.

¹⁸ جاء هذا البيت في ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب (تح: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ط3، د. ت.

ذخائر العرب 43: 2/ 897:

تَدْعُو رَبِيعَةً وَالْقَمِيصُ مُفَاضَةٌ تَحْتَ النَّجَاجِ، تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ

¹⁹ مُعْجَمُ الْمُقَابِيصِ فِي اللُّغَةِ ابْنِ فَارِسٍ (حققه شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت ط2 1998) ص 862.

²⁰ التكملة والذيل والصلة _ الزبيدي مجمع اللغة العربية القاهرة ط1 ما بين سنتي 1986 - 1996 (بحسب الجزء)

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

بالموج... والقَمَصُ: دُبَابٌ صِغَارٌ يَطِيرُ فوقَ الماء، واحدته قَمَصَةٌ. والقَمَصُ: الجَرَادُ أَوَّلَ ما يَخْرُجُ من بَيْضِهِ²¹.

وسنتابع فيما يلي التطابق بين المعاني المُعْجِمية، والمعاني السياقية للمُفردة، لبيان تطابقهما، ومن ثم رصد التطور الدلالي الذي أصابها، فَرُصد استعمالاتها المَعْنَوِيَّة السياقية في الاستعمال اللغوي العربي على مستويي: الشعر والنثر على قدر الإمكان، مُستعِينين بإمكانات الحاسوب، ومحددِين زمن استعمال اللفظ بالمعنى المقصود، من ذكر تاريخ وفاة الشاعر/ القائل الذي ورد اللفظ في قوله، فمما جاءت اللفظة فيه بِمعنى **الدرع**، قول الشنفرى (ت 525 م):²²

وَمُسْتَبِيلٌ ضَافِي الْقَمِيصِ ضَمَمَتْهُ بِأَزْرَقَ لَا نِكْسٍ وَلَا مُتَعَوِّجٍ

وقول حسان بن ثابت (ت 674م):²³

وَقَدْ غَادَرَتْ تَحْتَ الْعَجَاجَةِ مُسْنَدًا أَبْيَأُ وَقَدْ بَلَّ الْقَمِيصَ نَجِيعُ

وقول المُتَنَبِّي (ت 965 م):²⁴

مَفْرَشِي صَهْوَةِ الْحَصَانِ وَلَكِ نُّ قَمِيصِي مَسْرُودَةٌ مِنْ حَدِيدٍ

51/4.

²¹ لسان العرب 82/7، ويُظَنَر: معجم العين (ق، م، ص).

²² ديوان الشنفرى (ويليه السليك بن السلكة وعمرو بن براق، إعداد وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت لبنان ط1 1993) ص 42.

²³ ديوان حسان بن ثابت (تح: د. سيد حنفي حسنين مُراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974، المكتبة العربية 136) ص 99.

²⁴ ديوان أبي الطيب المُتَنَبِّي بشرح أبي البقاء العكبري المُسمى التبيان في شرح الديوان (ضبطه وصححه ووضع فهارسه مُصطفى السقا إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة بيروت 1978/1) 319 (الدرع المسرودة: الدرع المنسوجة من الحديد).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يقول: إنني شجاع مكاني ظهر الفرس وثيابي الدروع. أي إنني أبداً على هذه الحالة تيقظاً وتأهباً.

وقول الشريف الرضي (ت 1015م):²⁵

ما زال يَخْطِرُ في غَمَامَةِ قَسْطِلٍ بين العوالي أو قميص سَنُورٍ

ونستنتج أن كلمة القميص بِمعنى الدرع الوارد في الأمثلة السابقة استُعملت في السياق اللغوي منذ العصر الجاهلي وحتى نهاية العصر العباسي تقريباً، وسبق أن ذكرنا إشارة المعاجم اللغوية العربية القديمة إليه، وأشارت كذلك إلى أن الكلمة بهذا المعنى مؤنثة،²⁶ مما يدل على أنه معنى مجازي لأن التأنيث فرغ في اللغة وليس أصلاً فيها، ولم تقتصر هذه العلاقة المجازية بين القميص والدرع على لغة المعاجم التي سبق عرضنا لها، بل نرى هذه العلاقة المجازية تتعكس في المقابلة على ألسنة الشعراء بين الدرع القوي، والقميص الخلق الضعيف؛ من مثل قول بكر بن النطّاح (ت 808م):²⁷

لباسي الحُسامُ أو إزارٌ مُعْصَفَرٌ ودرعٌ حَدِيدٌ أو قَمِيصٌ مُخَلَّقٌ

وقول الآخر:²⁸

قد رمت يوم نزالهم أن لا تحصنني الدروع
وبرزت ليس سوى القميص على الحشا شيء دفعوع

²⁵ ديوان الشريف الرضي (مؤسسة الأعلمي بيروت لبنان د، ت) 1/ 363 (فالقسطل ... الغبار الساطع، والسَنُورُ

جملة السلاح وخص بعضهم به الدروع و... لبوس من قد يلبس في الحرب كالدرع).

²⁶ ويُنظر حول ذلك البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث ص 5 حيثُ جاء: ((ودرع الحديد مؤنثة، ودرع المرأة: أي قميصها مذكر)).

²⁷ الحيوان، الجاحظ (تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط1) 197/3.

²⁸ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، (تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968) 4 / 277.

التعريب العدد الحادي والثلاثون - كانون الأول / ذو القعدة 2006

ومن المعاني المُعجمية كذلك التي ترددت على ألسنة الشعراء ولكن بنسبة أقل من المعاني الأخرى، معنى: **غشاء القلب**: فما جاء على هذا المعنى قول ذي الرمة (ت 734م):²⁹

وأبيض هَفَافِ القميصِ أَخَذَتْهُ فَجَنَّتْ بِهِ لِلْقَوْمِ مُعْتَصِباً ضَمراً

أراد بالأبيض قلباً عليه شحم أبيض و قميص القلب غشاؤه من الشحم وجعله هفافاً لرقته³⁰، وقد صرحت المعاجم اللغوية بمجازية هذا المعنى كذلك.

وأما المعنى الأكثر وروداً في الاستعمال اللغوي على نحو ما ظهر من الاستقراء الذي قام عليه هذا البحث؛ إنما هو المعنى الأول الذي عبرت عنه أغلب المعاجم اللغوية العربية بأنه الذي يُلبَسُ، أي هو **قطعة من الثياب**، وهو المعنى الأصلي الذي تطورت عنه المعاني السابقة فيما يبدو بسبب كثرة الاشتقاق منه وكثرة استعماله وشيوعه، فقد لبسته النساء، والرجال، والغلمان منذ العصر الجاهلي، وحتى العصر العباسي، كما نستشف من النصوص الشعرية، لا بل نستطيع الكشف عن جوانب حياتية كثيرة، وذلك باتباع النصوص التي وردت فيها كلمة القميص؛ مما يدل على كثرة تداول اللفظة بين مختلف الفئات العمرية، وشدة التصاقه بالحياة الاجتماعية المعيشة، وفي ذلك دلالة على قدم تلك الدلالة، أي على قدم استعمال الكلمة؛ إذ لا بد من أنها عاشت مدة طويلة جداً حتى انتشرت في العصر الجاهلي ذلك الانتشار، فلبس الرجال القميص منذ العصر الجاهلي كما نستنتج من قول عنتره بن شداد (ت 600م):³¹

صَحَكَتْ عُيْلُهُ إِذْ رَأَتْني عَارِيّاً خَلَقَ القميصِ وسَاعِدي مَخْدُوشُ

²⁹ ديوان شعر ذي الرمة، (راجعته وقدم له زهير فتح الله، دار صادر بيروت ط1 1995) ص 185.

³⁰ لسان العرب 348/9.

³¹ شرح ديوان عنتره بن شداد (تح: وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شبلي، قدم له إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة د. ت) ص 95.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ويقول مجنون ليلى (ت 688 م):³²

كَأَنَّ دُمُوعَ الْعَيْنِ يَوْمَ تَحْمَلُوا جُمَانٌ عَلَى جَنْبِ الْقَمِيصِ يَسِيلُ

وكانت النساءُ تلبسُ القميصَ كذلك في العصر العباسي كما نستنتجُ من قول أبي نواس (ت 814 م):³³

تُعَمَّسُ فِي الْعَبِيرِ قَمِي صَهَا حَتَّى شَكَا الْغَرْقَا

ومن قول خالد الكاتب (ت 876 م):³⁴

أَمَا تَرثِي لِمُكْتَنَبٍ يُحْبِكُ لَحْمَهُ وَدَمَهُ

يَغَارُ عَلَى قَمِيصِكَ ح يَنْ تَلْبَسُهُ وَيَتَهَمُهُ

كما لبسته الغلمان منذ العصر الجاهلي على نحو ما نستشفُّ من قول امرئ القيس (ت 545 م):³⁵

فَأُدْبِرَن كَالْجَذَعِ الْمَفْصَلِ بَيْنَهُ بِجِدِّ الْغُلَامِ ذِي الْقَمِيصِ الْمُطَوَّقِ

ونجدُ الشريف الرضي (ت 1015 م) في العصر العباسي يقول:³⁶

بِهِ كُلُّ هَقَافِ الْقَمِيصِ شَمَرْدَلٍ تَفَرَّجَ عَنْ وَجْهِ نَقِيِّ الْمَقَادِمِ

مما يدلُّ على أن الغلمان في العصر العباسي كانت تلبسه، وأن القوم عصرئذٍ كانوا يستملحون الرقيق منه.

³² ديوان مجنون ليلى (شرح د. يوسف فرحات دار الكتاب العربي بيروت ط1 1992) ص 152.

³³ ديوان أبي نواس، الحسن بن هانئ (تح: أحمد عبد المجيد الغزالي القاهرة 1953) ص 278.

³⁴ الأغاني (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970 – 1974) 20/282.

³⁵ شرح ديوان امرئ القيس، (حسن السندوبي، المكتبة الثقافية بيروت لبنان ط7 1982) ص 138.

³⁶ ديوان الشريف الرضي 2/ 856، (والشمردل الفتى القوي الجلد).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ثم يدخل القميص في الأزياء الرسمية؛ إذ هو مما يلبسه الخطيبُ أيضاً عند العرب ولكنه ليس ضرورياً مثل العمة المخصرة؛ يقول الجاحظُ (ت 255 هـ):³⁷ ((... وقد لا يلبس الخطيب الملحفة ولا الجبة ولا القميص ولا الرداء والذي لا بد منه العمة والمخصرة وربما قام فيهم وعليه إزاره قد خالف بين طرفيه، وربما قام فيهم وعليه عمامته وفي يده مخصرته وربما كان قضيباً وربما كانت العصا...)). كما دخل القميص في كسوة رجال الدين عند العرب القدماء ((فكان الكاهن لا يلبس المصبغ والعراف لا يدع تذييل قميصه وسحب رداءه، والحكم...)).³⁸

ويظهر من كلام للجاحظ في موضع آخر أن الصيدلاني كان يرتدي قميصاً، دون أن يُعرف أكان ذلك خاصاً بمهنته، أم لا. جاء في كتاب الحيوان في أثناء حديثه عن الأفاعي: ((... وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةً على طَرْفِ قميصِ الصيدلانيِّ، قال: فَتَقَشَّى ذلك القاطرُ حتَّى صار في قدر الدُّرهم العظيم...)).³⁹

وارتبط القميص بمظهر المرء وإذن بالدلالة على حالته المادية من الغنى أو الفقر؛ يقول أبو العلاء المعري (ت 1057 م):⁴⁰

وأحلفُ ما ضرَّ الكَريمَ ظُهورُهُ معَ الرهطِ يمشي في القميصِ الشبارقِ

فلا ينقص من مكانة المرء إن ظهر مرتدياً قميصاً مُقطَّعاً، لأن الفیصل في ذلك ليس المظهر الخارجي.

³⁷ البيان والتبيين (تح المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1 1968) 1/ 433

³⁸ المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي (ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط1، بيروت، من 1968 - 1973 بحسب الجزء) 6/ 226.

³⁹ الحيوان، الجاحظ 4/ 115 - 116.

⁴⁰ لزوم ما لا يلزم (المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج1، ط2، 1930) ص 139، (الشبارق: أي المُقطَّع الممزق).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وبذلك نجد صفتي الجدة والرقّة من أكثر الصفات التي لازمت كلمة القميص، فنقرأ في كتاب الأغاني: ((بلغني أن أبا ربحانة المدني كان جالسا في يوم شديد البرد وعليه قميص خلق رقيق))⁴¹ ؛ ويقول جرير (ت 728 م):⁴²

رَفَعَ المِطْيُ بِكُلِّ أبيضِ شاحِبٍ خَلَقَ القَمِيصَ تَخَالُهُ مُخْتالاً

ويقول يزيد بن الطثرية (ت 744 م):⁴³

ولَمَّا لِحِقْنَا بِالْحَمُولِ ودونها خَمِيصُ الحِشَا توهي القميصَ عَوَاتِقُهُ

ثم نرى القميص وقد أصبح سائراً لما بقي أجساد الشعراء بعدما أضناهم العشق، يقول بهاء الدين زهير (ت 1358 م):⁴⁴

لَمْ يَبْقَ مِنِّي فِي القَمِي صِ سَوَى رُسومِ بَالِيهِ

أو من مثل قول خالد الكاتب (ت 876 م):⁴⁵

قد حاز قلبي فصار يملكه فكيف أسلو وكيف أتركه؟
رطيب جسم كالماء تحسبه يخطر في القلب منه مسلكه
يكاد يجري من القميص من الند عمة لولا القميص يمسه

⁴¹ الأغاني 6 / 155.

⁴² ديوان جرير ص 51/1.

⁴³ شعر يزيد بن الطثرية (د. ناصر الرشيد، دار الوثبة، دمشق، د. ت) ص 91، وجاء البيت في الأغاني 8 / 182:

فَتَى لَا تَرَى قَدْ القَمِيصَ بخصره ولكنما توهي القميصَ كواهله

⁴⁴ ديوان البهاء زهير، (شرح وتحرر: محمد طاهر الجبلوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر د. ت ذخائر العرب 53) ص 244.

⁴⁵ الأغاني 20 / 281، النعمة هنا من النعومة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وليس القميصُ شيئاً خارجياً مفصلاً عن لابسِه، بل قد يُشاركه حالاتٍ حيويةٍ كثيرة، فقد يتبللُ قميصُ شاربِ الخمر بها، وعندئذٍ يُترك القميص ليشم ريحها وينتشي كما انتشى لابسِه، يقول الشاعر أبو العباس محمد بن يحيى العنبري (ربما كان معاصراً للثعالبي أي نحو القرن الخامس الهجري):⁴⁶

وإذا قميصك بللته مدامة وعرتك منه وساوس الخناس
فدع القميص يشم منه ريحها واغسل فؤادك من أذى الوسواس

وقد يمتلئ القميص عذاباً إذا ما جزع لابسِه من العذاب يقول جرير (ت 728 م):⁴⁷

جزعت من العذاب غريب تيم وملأت القميص مع الإزار
ولست مفارقاً قرني حتى يطول تصعدي بك وانحداري

ونرى القميص يرتبط بالتبدل والتغير في الحياة على ألسنة الشعراء، يقول بهاء الدين زهير (ت 1258م):⁴⁸

وأظنُّه طلبَ الجَدِيدِ وطالما عتقَ القميصُ على امرئٍ فتبدَّلا

وقد يتحدى القميصُ بلى الزمن نتيجة احتفاظه بطيب الرائحة يقول صفي الدين الحلي (ت 1349م):⁴⁹

يَفْنَى الزمانُ وفيهِ روثُ ذِكْرِهِم يَبْلَى القميصُ وفيهِ عَرَفُ المَنْدَلِ

وارتبط القميص باعتقاد العرب في السفر فكانوا إذا ضل الرجل منهم في الفلاة،

⁴⁶ يتيمة الدهر، الثعالبي (المطبعة الحسينية المصرية بالأزهر، مطبعة الصاوي، ط1، 1934) 4 / 387.

⁴⁷ طبقات فحول الشعراء (تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، د. ت) 2 / 432.

⁴⁸ ديوان البهاء زهير، ص 176.

⁴⁹ ديوان صفي الدين الحلي (دار صادر بيروت 1990) ص 25.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

((... كان يقلب قميصه ويصفق بيديه كأنه يومئ بهما إلى إنسان فيهتدي)).⁵⁰ وربما شقوه للفت الانتباه إلى أمر جلل، كما فعل "ضمضم بن عمرو" عندما أرسله أبو سفيان في غزوة بدر إلى مكة لإخبار قريش بنية المسلمين، فلما بلغها، وقف على بعيره ببطن الوادي، وقد جدع بعيره... وشق قميصه، ثم صرخ...⁵¹

لا بل نجد الخيانة في صنع القميص سبباً من أسباب عذاب يوم القيامة بكل هوله وعظمته؛ فيروى أن علياً بن أبي طالب، كرم الله وجهه، وقف على خياط فقال له: ((يا خياط تكلنك الثواكل صلب الخيط، ودقق الدروز، وقارب الغروز، فإني سمعتُ رسول الله يقول: يحشرُ الله الخياطَ الخائن وعليه قميصٌ ورداءٌ مما خاط وخان فيه واحذر...)).⁵²

ومن الثياب قميص يوسف (ع): فقد سبق أن ذكرنا أن الله تعالى أجرى قميص سيدنا يوسف عليه السلام، على ثلاثة أقمصه ((لكل منها موضع من ضرب المثل وإجراء النادرة)).⁵³ في الشعر العربي، من ذلك مثلاً قول ديك الجن (ت 849 م):⁵⁴

على لبانه بدم كذوب

شبيه قميص يوسف حين جاؤوا

وقول دعبل الخزاعي (ت 860 م):⁵⁵

وقمص دكرانهم تنقد من دبر

قميص أنثاهم ينقد من قبل

⁵⁰ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 807/6.

⁵¹ المصدر نفسه 291/7.

⁵² المستطرف في كل فن مستظرف، (إصدار دار كرم بدمشق، د، ت) 78 / 2.

⁵³ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب الثعالب (دار المعارف ذخائر العرب 57 د، ت) ص 47.

⁵⁴ ديوان ديك الجن الحمصي (تح: أنطوان محسن الفوال دار الكتاب العربي بيروت ط 1 1992) ص 43.

⁵⁵ شعر دعبل بن علي الخزاعي (ت 246 هـ)، (صنعه عبد الكريم الأشتري مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق د.

ت) ص 118.

وقول المُتنبّي (ت 965 م):⁵⁶

كَأَنَّ كُلَّ سُؤَالٍ فِي مَسَامِعِهِ قَمِيصُ يَوْسُفَ فِي أَجْفَانِ يَعْقُوبَ

أي إنه يفرح إذا سمع بسؤال السائل فَرَحَ يعقوب بقميص يوسف كرمًا وسخاءً. وللبديع الهمداني من فصل له: كذب القميص لا ذنب للذئب في تلك الأكاذيب.⁵⁷

فاستعمال المدلول (القميص) من قبل الرجال والنساء والغلمان، وارتباطه بجوانب الحياة الاجتماعية المختلفة منذ العصر الجاهلي يدلُّ على طول مدة استعمال الدال (اللفظة)، ويدلُّ من ثم على شدة قدمها؛ فكم احتاج أمر شيوعها وانتشارها إلى زمن طويل جداً، استعملت فيه استعمالاً حيويّاً شفهياً عاماً في الحديث اليومي العادي، قبل أن نجدها مثبتةً في النصوص الشعرية السابقة، ولذلك فهو يمتدُّ إلى ما قبل عهد الرومان في بلاد الشام، على ما يفرضه المنطق العقلي، بمدة طويلة، وهو العصر الأول الذي حدد لدخول اللفظ المزعوم إلى اللغة العربية، لا بل نجدُ كلمة (القميص) كما تُظهر النصوصُ التي تعودُ إلى العصر الجاهلي تغيير دلالة لفظة القميص، عن طريق الاستعمال المجازي، وفي ذلك دليل آخر على طول مدة الاستعمال السياقي للفظة وقدمه، وكثرة شيوعها على ألسنة مُتكلمي العربية.

دور المجاز في تغيير دلالة القميص:

يدلُّ قَدَم استعمال اللفظ بالدلالة المجازية منذ العصر الجاهلي على استعماله استعمالاً معنوياً حسياً طوال مدة سابقة سحيقة جداً يصعب تحديدها زمنياً، وفي ذلك دلالة كبيرة على تجذره في العقل الجمعي العربي، ومن ثم على أصله العربي؛ وأما المعاني المجازية التي تدل عليها لفظة القميص في العربية فمن أبرزها:

⁵⁶ ديوان أبي الطيب المُتنبّي 172/1.

⁵⁷ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب 46/1.

1. الهيئة أو المظهر الخارجي:

ونجد معنى القميص يتسع في سياق الاستعمال اللغوي - شعراً ونثراً - للدلالة على الهيئة الخارجية للشيء، أو للوعاء الذي يضمه، سواء أكان جزءاً منه أم مجرد وعاء يضمه؛ وذلك من قبيل المجاز، فنجد القميص عند ذي الرمة (ت 734م) يدلُّ على مظهر السيف؛ يقول يصف سيفاً:⁵⁸

وأبيض موشي القميص نصبتَه على خَصَرٍ مقلاتٍ سفيه جديها

يعني خفيف زمامها يريد أن جديها يضطرب لاضطراب رأسها.
وجاءت في قول أبي نواس (ت 814 م) التالي للدلالة على الريش، أي المظهر الخارجي للطائر؛ وهو قوله:⁵⁹

بِكُلِّ بازٍ واسعِ القميصِ آلفُ ما صِدْتُ مِنَ القَتِيسِ
وهامةٍ ومنسَرٍ حصيصِ ذي بُرنسٍ مُذهَّبٍ رصيصِ

والخمر من الأشياء التي أطلقت لفظة القميص للدلالة على مظهرها الخارجي المتمثل بلونها وبصفا مادتها؛ يقول صريع الغواني (ت 823م):⁶⁰

حَمراء صافيةِ القميصِ لَذِيذَةٌ في بُردِ كافورٍ ولَوْنِ خُلوقِ

استُعملت لفظة القميص للدلالة على مظهر الماء الخارجي ومראה كما في قول أبي سعيد ابن

⁵⁸ ديوان ذي الرمة 922/2 (تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط2، 1982)، ولسان العرب 13/ 499.

⁵⁹ ديوان أبي نواس ص 647 (وخصيص: أي بلا ريش أو شعر، والمنشَر: آلة القطع والنتف).

⁶⁰ شرح ديوان صريع الغواني (ت 208 هـ) مسلم بن الوليد الأنصاري، (تح: سامي الدهان ط3، دار المعارف بمصر د.ت. سلسلة ذخائر العرب 26) ص 329.

هاشم الخالدي (ت 981 م):⁶¹

والجو حلتته ممس
والماء عوديّ القمي
كة، ومطرفه معنبر
ص، وطيلسان الأرض أخضر

وتتسع دلالة لفظة القميص أكثر من الدلالة على الهيئة الخارجية للشيء، نَتَدَلَّ على **هيئة الحياة العامة**، وفي ذلك إغراق في الدلالة على المعنوية؛ يقول عُمر بن أَبِي ربيعة (ت 712م):⁶²

فَلَا وَأَبِيكَ مَا صَوَّتَ الْغَوَانِي
أَرَدْتُ بِرِحْلَتِي وَأَرِيدُ حَظًّا
وَلَا أَكَلِ الدَّجَاجِ وَلَا الْخَبِيصِ
قَمِيصٍ مَا يُفَارِقُنِي حَيَاتِي
وَلَا شُرْبِ الْتِي هِيَ كَالْفُصُوصِ
أَنْيَسُ فِي الْمَقَامِ وَفِي الشُّخُوصِ

2. الكناية في لفظ القميص:

حيثُ استعملت لفظة القميص في الكناية استعمالاً واسعاً من مثل قول دُرَيْد بن الصمة (ت 630م):⁶³

تَرَاهُ خَمِيصَ الْبَطْنِ وَالزَّادُ حَاضِرُ
وَفِي الْقَمِيصِ الْمَقْدَدِ أَيْ الْمَشَقِّقِ أَوْ الْمَمْزُقِ كِنَايَةً عَنْ عَفَةِ نَفْسِ الْمَمْدُوحِ.
عَتِيدٌ وَيَعْدُو فِي الْقَمِيصِ الْمَقْدَدِ

⁶¹ يتيمة الدهر، الثعالبي 2 / 181.

⁶² شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة (شرحه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط 2 1992) ص 209 (كالفصوص: أي فصّ الخاتم شبه به الخمرة، والخبيص: الحلواء المخبوصة).

⁶³ ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة د. ت، ذخائر العرب (59) ص 68، ويُنظر: ديوان الحماسة (دار القلم، بيروت، لبنان، د، ت) 339/1، ونفسه 354/2، (خميص البطن: أي ضامره، والعتيد: الحاضر المهيأ، والمقدد: المشقق الممزق).

وكقول الحادرة (ت 627 م) أيضاً:⁶⁴

وَمُنْشَقُّ أَعْطَافِ الْقَمِيصِ كَأَنَّهُ
فَتَى لَا يِنَالُ الزَّادَ إِلَّا مُعَذَّرًا
إِذَا لَاحَتِ الظُّلُمَاءُ نَارٌ تَوْقَدُ
كَأَعْلَى سِنَانِ الرُّمَحِ بَلْ هُوَ أَنْجَدُ

ومن ذلك أيضاً قول الفرزدق (ت 778م):⁶⁵

أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْتَ وَالِ
أَطْعَمْتَ الْعِرَاقَ وَرَافِدِيهِ
شَفِيقٌ لَسْتُ بِالْوَالِي الْحَرِيسِ
فَزَارِيًّا أَحَدًا يَدِ الْقَمِيصِ
وَلَمْ يَكُ قَبْلَهَا رَاعِي مَخَاضٍ
لِيَأْمَنَهُ عَلَى وَرِكِي قَمِيصِي

أَحَدٌ يَدِ الْقَمِيصِ أَيْ خَفِيفُ الْيَدِ فِي السَّرْقَةِ.

ومثال ذلك من خطب العرب أيضاً خطبة أبي جعفر المنصور حيث كنى بالقميص عن الخلافة وقال:⁶⁶ ((... ومن نازعنا هذا القميص أوطأنا أم رأسه خباء هذا الغمد...)) وقال في خطبة أخرى بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني، مكنياً عن الخلافة بعروة القميص قائلاً:⁶⁷ ((أيها الناس لا تخرجوا من أسس الطاعة إلى وحشة المعصية... إنه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبي هذا الغمد...)).

3. الاستعارة:

لقد استعير لفظ القميص للدلالة على الخلافة منذ عصر صدر الإسلام ففي الحديث أن

⁶⁴ ديوان شعر الحادرة (حققه د. ناصر الدين الأسد، دار صادر بيروت ط3 1991) ص 95.

⁶⁵ شرح ديوان الفرزدق، (عني بجمعه وطبعه عبد الله اسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي ط1، 1936) ص 487 - 488، وتُنظَر: رواية أخرى في الأغاني 21/ 311، ولسان العرب 3/ 483.

⁶⁶ جمهرة خطب العرب (حققه وقدم له د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت ط1 1987) 3/ 32.

⁶⁷ المصدر نفسه 3 / 31 ويُنظَر: مجمع الأمثال (تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د)، (ت 26/2).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الرسول الكريم قال لعثمان إن الله سيقمصك قميصا وإنك تلاص على خلعك فأياك وخلعه يقال قمصته قميصا إذا ألبسته إياه وأراد بالقميص الخلافة وهو من أحسن الاستعارات..⁶⁸ و((قد تصرفوا في استعارة القميص كما تصرفوا في استعارة الرداء ولم أسمع في استعارة الشمس للقميص أحسن من قول الحسن ابن وهب نثرا: شربت البارحة على وجه السماء وعقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما انتبه الصبح نمت فلم أستيقظ إلا بعد أن لبست قميص الشمس...)).⁶⁹ ومن الأمثلة على استعمال لفظة القميص في الاستعارة قول ابن المعتز (ت 909م):⁷⁰

فلو تَرانا في قميصِ الدُّجى حَسبتنا في جَسَدٍ واحدٍ

وقول الفرزدق (ت 778م) في وصف الصبح:⁷¹

حَرَفَ وَمُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ هوى به سَكُرُ النُّعاسِ فَخَرَّ غَيْرَ مُوسِدٍ

وقول أبي نواس (ت 814م):⁷²

فَقَدْ هَمَّ وَجْهُ الصُّبْحِ أَنْ يَضْحَكَ الدُّجَى وَهَمَّ قَمِيصُ اللَّيْلِ أَنْ يَتَمَرَّقَا

وقول أبي العلاء المعري (ت 1057م):⁷³

أَلْقَى الْكَبِيرُ قَمِيصَ الشَّرْحِ رَهْنَ بَلَى ثُمَّ اسْتَجَدَّ قَمِيصَ الشَّيْبِ مُجْتَابَا

فلاحظ من أمثلة المعاني المجازية لكلمة القميص أنها في معظمها تعود إلى عصر صدر

⁶⁸ النهاية في غريب الحديث والأثر، (المكتبة العلمية، بيروت، 1399هـ - 1979م) 4 / 108.

⁶⁹ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب 1 / 600.

⁷⁰ ديوان ابن المعتز (شرح وتقديم ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان 1969) ص 146، ويُنظر:

المُستطرف في كل فن مُستطرف 2 / 29، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب 1 / 600.

⁷¹ شرح ديوان الفرزدق ص 162.

⁷² ديوان أبي نواس ص 93.

⁷³ لزوم مالا يلزم 1 / 98، (و الشرح أول الشباب والشارح الشاب).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الإسلام والحقبة الأموية إلا شاهدين اثنين يعودان إلى العصر الجاهلي، وإذن بدأ اللفظ باكتساب المعاني المجازية منذ الجاهلية وصدر الإسلام، وهو لفظ على قدر كبير من الانتشار والاستعمال اليومي ويخصُّ شريحة كبيرة من المُستعملين، فكم عاش على الألسنة بدلالاته الحسية قبل العصر الجاهلي؟.

لا بل اتسعت دلالة اللفظة ضمن الدلالة العامة وهي قطعة الثياب، فأصبحت عامةً ضمن دلالاتها السابقة، فصارت تُطلق على هِيئات مُختلفة من القميص، سواء في الشكل العام، أم في الأنواع، أم في كيفية الاستعمال، وهذه الحالة لا تكون إلا في لفظ استقر في لا وعي الجماعة اللغوية التي تستعمل الكلمة. فهل نستطيع أن نستشف **هِيئات القميص وكيفية ارتدائه عند العرب؟**

هِيئات القميص وكيفية ارتدائه عند العرب:

سنحاول فيما يلي تصور هِيئات القميص وكيفية شكله عند العرب - على قدر الإمكان - من خلال استقراء بعض النصوص التي وردت فيها كلمة القميص مع ملاحظة أنها تعود إلى العصر العباسي؛ فقد جاء في كتاب الأغاني عن أبي العتاهية (ت 826 م): ((فإذا هو قد أخذ قوصرتين، وثقّب إحداهما، وأدخل رأسه ويديه فيها، وأقامها مقام القميص، وثقّب الأخرى وأخرج رجله منها، وأقامها مقام السراويل، فلما رأبته نسيت كل ما كان عندي من الغم عليه والوحشة لعشرته، وضحكت والله ضحكاً ما ضحكت مثله قط، فقال من أي شيء تضحك؟ فقلت: أسخن الله عينك هذا أي شيء هو من بلغك عنه أنه فعل مثل هذا من الأنبياء والزهاد والصحابة والمجانين...)).⁷⁴

ونستجُ من النص السابق على غرابته أن القميص كان يُطلق على ما يُلبسُ في القسم الأعلى من الجسم، في مُقابل السروال في القسم الأسفل منه، وبطلعنا النص التالي على أن القميص يُمكن أن يكون طويلاً قد يُجر ذيله، وبمعنى آخر قد يُغطي الرجلين، يقول حسين بن

⁷⁴ الأغاني 4 / 108 - 109، و (القوصرة... وعاء من قصب يرفع فيه التمر).

الضحاك (ت 864 م):⁷⁵

يا من رأى مثل شادن خنث
يسحب ذيل القميص صَغَرَه
يصول في خدره بِزُورَه
وواردات من هذب منْزَرَه

وجاء في موضع آخر من كتاب الأغاني لأبي حشيشة (ت نحو 865 م):⁷⁶

فتى فرق الحمد أمواله يجر
القميص ويرخي الإزارا

وفي ذلك دلالة على طول القميص الذي كان يُلبس في ذلك العصر. وقد نجد في نص آخر وصفاً لقميص بأذنين دون أن ترتسم هيئة تامة لذلك القميص، ودون أن نجد مثل هذا الوصف في نص آخر، في سياق حديث تعزية، فقد يكون الأمر من قبيل المعنى المجازي للدلالة على الكفن، حيث جاء: ((لو رأني مولاي وأنا في قميص بأذنين وقباء ضيق الردينين وعمامة كالقبة وخف تركي... لعلم كيف تجري الفرسان...)).⁷⁷

وقد يكونُ القميص واسع الكم وواسع اليد وواسع الردى⁷⁸، ويُمكننا نص آخر من استنتاج: أنهم كانوا يكتفون بارتداء قميص واحد على الجسد، أو أنهم ربما كانوا يرتدون القميص في الحياة اليومية دون تزريده؛ يقول أبو الفهم عبد السلام النصيبي (ربما كان معاصراً للشعالي أي نحو القرن الخامس الهجري):⁷⁹

لما تأملته يفتّر عن برد ولاح
أرسلت دمعي على الخدين منسكباً
لي في قميص غير مزور
وصحت واحربا من هتك مستور

⁷⁵ المصدر نفسه 191/7.

⁷⁶ المصدر نفسه 80/23.

⁷⁷ يتيمة الدهر، الشعالي 4/ 261.

⁷⁸ إصلاح المنطق (دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949) 1/ 424.

⁷⁹ تنمة يتيمة الدهر، (عني بنشره عباس إقبال، مطبعة فردين، طهران، 1353 هـ) 1/ 69.

ولكن ذلك كان مستقبلاً في الصلاة؛ كما يظهر من ((حديث ابن الأكوع قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رجل أصيد، أفأصلي في القميص الواحد؟ قال نعم وأزرره عليك ولو بشوكة هكذا جاء في رواية وهو الذي في رقبته علة لا يمكنه الالتفاف معها. والمشهور إني رجل أصيد من الاصطياد))⁸⁰

وثمة مثل معروف عند العرب يدلنا على أنه كان من عادة القوم ارتداء القميص أولاً - أي مباشرة على الجسد - ثم يرتدون فوقه الفرو؛ كما في المثل العربي ((التقى الثريان... يضرب في سرعة الاتفاق بين الرجلين والأميرين. قال ابن الأعرابي قيل لرجل لبس فلان فروا بلا قميص فقال التقى الثريان يريد شعر الفرو وشعر العانة)).⁸¹

أو كانوا يرتدون جبة فوق القميص بدل الفرو؛ كما نستدل من نص في ديوان الحماسة⁸²: ((... هو رجل يقال له عمرو بن كميل نظر إليه عمرو بن ذكوان وعليه جبة بلا قميص...)). أو ربما ارتدوا فوق القميص ثياباً من كتان كما في قول أبي نواس (ت 814 م) يصف غلاماً:⁸³

لابساً فوق القميص الـ جَوْنَ قُبْطِيّاً خَفِيفاً

وربما كانوا يرتدون قميصاً تحت القميص، كما يروي الجاحظ عن النظام قائلًا: ((وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النّظّام قال: جعنت حتّى أكلت الطين... وكان علي جُبّة وقميصان، فنزعتُ القميص الأسفل فبعته بدريهمات...)).⁸⁴ ويروي صاحب الأغاني: ((كان عبد بني

⁸⁰ النهاية في غريب الحديث والأثر 3/ 65.

⁸¹ مجمع الأمثال 2/ 184.

⁸² ديوان الحماسة 2/ 266.

⁸³ ديوان أبي نواس ص 369، (والجون الأسود اليمومي ... والأسود المشرب حمرة ... والأحمر الخالص والجون الأبيض، والقبطية: ثياب كتان بيض).

⁸⁴ الحيوان، الجاحظ 3/ 451.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الحساس (ت 660 م)) حلو الشعر، رقيق الحواشي وفي سواده يقول:⁸⁵

كسيت قميصاً ذا سواد وتحتة قميص من القويّ بيض بنائقه))

وهذا معروف عند العرب بالسند، وهو ضرب من ضروب اللبس عندهم؛ وهو أن يلبس قميص طويل تحت قميص أقصر منه.⁸⁶ وجاء في اللسان عن الليث: السند ضرب من الثياب قميص ثم فوقه قميص أقصر منه وكذلك قمص قصار من خرق مغيب بعضها تحت بعض وكل ما ظهر من ذلك يسمى سمطاً.⁸⁷

أو ربما لبسوا الرداء فوقه كما يفهم من قول ابن خفاجة (ت 1138م):⁸⁸

لَبِسَ الرِّدَاءَ مِنَ الثَّنَاءِ مُطَرَّزاً فوقَ القميصِ مِنَ الْحَيَاءِ مُعَصِّفراً

وسنلاحظ كذلك أنَّ اختلاف هِيئَاتِ القميص أدت أيضاً إلى استعمال اللفظة مُضافة إلى لفظة أخرى، قد تكون مُعربة أو دخيلة في بعض الأحيان، أو موصوفة بها للدلالة على نوع معين من القمصان، كما سنرى في الفقرة التالية:

ارتباط لفظة القميص بألفاظ أخرى في الاستعمال السياقي:

يُمْكِنُ لِلْفِظَةِ القميص أن تكونَ عنوانَ حقول دلالية مُتعددة في العربية؛ إذ نجد في المُعْجَم العربي مُفردات كثيرة ترتبط بِالْقَمِيصِ ارتباطاً وثيقاً، إما من جهة أنواعه المعروفة عند العرب، وإما من جهة الألفاظ المُتعلقة به أي أسماء أجزائه، ومكوناته. ولنبدأ بألفاظ أنواعه:

⁸⁵ الأغاني 22 / 304.

⁸⁶ المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 7 / 619.

⁸⁷ لسان العرب 3 / 221.

⁸⁸ ديوان ابن خفاجة ص 257.

أنواع القميص المعروفة عند العرب وكيفياته:

نستطيع أن نستشف من نصوص الشعر العربي كثيراً من أنواع الأقمصة التي كانت معروفة عند العرب القدماء، فقد كانت تُشتقُ تسمياتها إما من اسم القماش الذي كانت تُخاط منه، وإما من اسم مكان صنعها، أو اسم بلد مصدرها، وإما من اختلاف هيئاتها أشكالها؛ فمن أسماء الأنواع التي اُشْتُقَّت من اسم القماش:

1- الرازفي: كما في قول الطفيل الغنوي (ت 610م)⁸⁹:

تَظَلُّ رِياحُ الصَّيْفِ تَسْجُ بَيْنَهُ وبينَ قميصِ الرازفيِ المكفِّفِ

2- اللاذ: ⁹⁰ اسم نسيج فيقال للقميص الذي يُصنع من ذلك القماش قميص لاذ كما في قول محمد بن عباس البصري المعروف بصاحب الراقوية (ذكره الثعالبي في اليتيمة):⁹¹

أتاني في قميص اللاذ يسعى عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له لم استحلّيت هذا فقد أصبحت في زي عجيب

وكما في قول أبي هلال العسكري (ت 1005م):⁹²

وتلبس تحت ذاك عِطافٍ لاذٍ على أكتافِهِ ودَعَ الجِسادِ

3- الوشي: وهو نوع القماش الذي يخاط منه القميص فقد ورد في أحد النصوص النثرية عن العصر العباسي: ((وترك هشام بن عبد الملك بعد موته اثني عشر ألف قميص وشي وعشرة

⁸⁹ ديوان طفيل الغنوي شرح الأصمعي (تح: حسان فلاح أوغلي دار صادر بيروت ط 1 1995) ص 136، (القميص الرازفي: ثياب كتان بيض، كانت تُخاطُ القمصان منها).

⁹⁰ (اللاذ: ثياب حرير تتسج بالصين واحده لاذة) لسان العرب 3/ 508.

⁹¹ يتيمة الدهر، الثعالبي 1/ 380.

⁹² ديوان العسكري، (جمعه وحققه جورج قنازع، المطبعة التعاونية بدمشق 1979 مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق) ص 100.

- آلاف تكة حرير وحملت كسوته لما حج على سبعمائة جمل...)).⁹³
- 4- قميص كتان: وجاء لفظه في نصّ نثري من العصر الإسلامي حيثُ ((خرج علينا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في يوم عيد وعليه قميص كتان وعمامة على قلنسوة لاطئة فمثلنا بين يديه وسلمنا عليه...)).⁹⁴ وجاء كذلك في نصّ آخر عن العصر الإسلامي أيضاً وعن فارس عربي اسمه (أبو الوليد ابن فتحون)؛ حيثُ ((... لبس قميص كتان واستوى على سرج فرسه بلا سلاح وأخذ بيده سوطاً طويلاً...)).⁹⁵
- 5- قميص حرير: جاء في نص من العصر العباسي: ((وكان المتوكل يرمي به في المنجنيق إلى الماء وعليه قميص حرير...)).⁹⁶
- 6- قميص من كرابيس: وكانت القمصان تُصنع من القطن في العصر الإسلامي الأول. جاء في نصّ عن ذلك العصر: ((في حديث عمر وعليه قميص من كرابيس هي جمع كراباس وهو القطن...)).⁹⁷

ومن أسماء الأنواع التي اشتُقَّت من اسم المكان الذي تُصنع أو تجلب منه:

1- القوهي:⁹⁸ وورد هذا الاسم عند أبي الفرج الأصفهاني حيثُ جاء: ((رأيت النصيب بالطائف فجاءنا وجلس في مجلسنا وعليه قميص قوهي ورداء وحبرة...)).⁹⁹ وورد عنده في نصّ آخر

⁹³ المستطرف في كل فن مستظرف 2 / 62.

⁹⁴ جمهرة خطب العرب 2 / 211.

⁹⁵ المستطرف في كل فن مستظرف 1 / 293.

⁹⁶ الأغاني 23 / 201.

⁹⁷ النهاية في غريب الحديث والأثر 4 / 161.

⁹⁸ (القوهي ضرب من الثياب بيض فارسي، وورد عن الأزهري: الثياب القوهية معروفة منسوبة إلى قوهستان) لسان

العرب 13 / 532.

⁹⁹ الأغاني 1 / 363.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- حيثُ جاء: ((إذ أقبل طويس وعليه قميص قوهي وحبرة قد ارتدى...))¹⁰⁰.
- 2- الديبقي: ¹⁰¹ ووردت اللفظة في نص من العصر العباسي، حيثُ جاء: ((دخلت على المعتصم ذات يوم وعليه قميص ديبقي كأنما قد من جرم الزهرة...))¹⁰².
- 3- قميص قرقي: وكانت هذه التسمية دارجة منذ بداية العصر الإسلامي: ففي حديث عمر ((فأقبل شيخ عليه قميص قرقي هو منسوب إلى قرقوب فحذفوا الواو كما حذفوها من سابري في النسب إلى سابور وقيل هي ثياب كتان بيض...))¹⁰³.
- 4- الخميس: كما في قول أبي نواس (ت 814 م):¹⁰⁴

أَمَامَ خَمِيسٍ أَرْجَوَانٍ كَأَنَّهُ قَمِيصٌ مَحُوكٌ مِنْ قَتَا وَجِيَادٍ

فقبل الخميس: الجيش، وعلى هذا المعنى يكون استعمال القميص هنا من قبيل الاستعارة؛ وقيل: الخميس الثوب الذي طوله خمسة أذرع، وقيل أيضاً: الخميس ثوب منسوب إلى ملك كان باليمن أمر أن تعمل هذه الأردية فنسبت إليه...¹⁰⁵ فكان المعنى عندئذٍ أن القميص مصنوع من الخميس.

وبقيت الأنواع بحسب اختلاف هيئاتها وأشكالها؛ فمن ذلك:

- 1- الطيلسان: جاء في قول أبي نواس (ت 814 م) من العصر العباسي:¹⁰⁶

عَشِقْتُ لِشَقَوَتِي رَشَاءَ رَبِيبَا رَحِيمَ الدَّلِّ مَجْنُوحَ الْكَلَامِ

¹⁰⁰ المصدر نفسه 69 / 18.

¹⁰¹ (الديبقي ... ثياب مصر معروفة تنسب إلى دبيق) لسان العرب 95 / 10.

¹⁰² الأغاني 345 / 5.

¹⁰³ النهاية في غريب الحديث والأثر 4 / 47 - 48.

¹⁰⁴ ديوان أبي نواس، ص 472.

¹⁰⁵ لسان العرب 6 / 69 - 70.

¹⁰⁶ ديوان أبي نواس ص 707.

يَرَى لِبَسَ الْقَمِيصِ عَلَيْهِ عَيْباً وَلِبَسَ الطَّيْلَسَانَ مِنَ الْأَثَامِ
يَلْبَسُ دَرَزَ بَيْرُوناً قَصِيراً رَقِيقَ الْخَصْرِ مَخْرُوطَ الْكِمَامِ

فَالطَّيْلَسَانِ يَلْبَسُ عَلَى الْكَتِفِ دُونَ تَفْصِيلٍ أَوْ خِيَاطَةٍ مِثْلَ الشَّالِ. وَلَكِنْ نُلَاحِظُ أَنَّ أَبَا نَوَاسٍ فِي أَبْيَاتِهِ السَّابِقَةِ؛ يُقَدِّمُ - إِلَى حَدِّ مَا - أُسْلُوباً أَوْ كَيْفِيَّةً مُعَيَّنَةً مِنْ اسْتِعْمَالِ الْقَمِيصِ، وَكَيْفِيَّةَ ارْتِدَائِهِ، فَذَلِكَ الْغَلَامُ الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنْهُ لَا يَلْبَسُ الْقَمِيصَ لِأَنَّهُ عَيْبٌ، وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالطَّيْلَسَانِ، لِيَقْدِّمَ لَنَا نَوْعاً آخَرَ مِنَ الْقَمِيصِ هُوَ مَا أَسَمَاهُ دَرَزُ بَيْرُونِ.
2- الْخَيْعِلُ:¹⁰⁷ جَاءَ فِي قَوْلِ تَابُطٍ شِراً (ت 540م):¹⁰⁸

نَهَضْتُ إِلَيْهَا مِنْ جُثُومٍ كَأَنَّهَا عَجُوزٌ عَلَيْهَا هِدْمِلٌ ذَاتُ خَيْعِلٍ
كَمَا يَقُولُ الْبُحْتَرِيُّ (ت 898 م):¹⁰⁹

يَدْمِي فَرَاخَ كَأَنَّهُ فِي خَيْعِلٍ لِبَسَ الْقُنُوتَ مُزْعَفَرًا وَمُعْصَفَرًا
3- الْقِرْقَلُ:¹¹⁰ يَقُولُ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ (ت 784 م):¹¹¹

قَمَرُ اللَّيْلِ سَرَى فِي قِرْقَلٍ يَتَصَدَّى لِي فَأَهْلًا بِالْقَمَرِ
وَيَقُولُ أَبُو نَوَاسٍ (ت 814 م) كَذَلِكَ:¹¹²

¹⁰⁷ (الخيعل قميص لا كمي له قال الأزهرى وقد تقلب فيقال خيلع) لسان العرب 11/ 210، ويُنظر 8/ 79.

¹⁰⁸ ديوان تَابُطٍ شِراً (إعداد وتقديم طلال حرب الدار العالمية بيروت - لبنان 1993) ص 92.

¹⁰⁹ ديوان البحتري 4/ 1747.

¹¹⁰ (والقِرْقَلُ القميص الذي لا كم له وجمعه قِرْقَالٌ) أدب الكاتب (تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963) 1/ 155، و312.

¹¹¹ ديوان بشار بن برد (محمد الطاهر بن عاشور، راجعه محمد شوقي أمين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957) 3/ 290.

¹¹² ديوان أبي نواس 468.

ولو شئتُ قد دارت بذي قرقلٍ يدي من اللمس إلا من يدي حصان

4- قميص سكب إسكندراني: وجاء في نص من العصر الأموي وتحديدًا من زمن سليمان بن عبد الملك؛ جاء على لسان أحدهم في مجلسه: ((.. كنت جالسا عند دار أخيك سعيد ابن عبد الملك فإذا أنا بجارية قد خرجت من باب القصر كأنها غزال انفلت من شبكة صياد عليها قميص سكب إسكندراني يبين منه بياض بدننها وتدوير سرتها ونقش تكتها وفي رجلها نعلان...)).¹¹³

5- الصدر: ((الصدر ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشي الصدر والمنكبين تلبسه المرأة... والعرب تقول للقميص الصغير والدرع القصيرة الصدرة وقال الأصمعي: يُقال لما يلي الصدر من الدرع صدر. الجوهرى: الصدر بكسر الصاد قميص صغير يلي الجسد وفي المثل كل ذات صدر خالة أي من حق الرجل أن يغار على كل امرأة كما يغار على حرمه وفي حديث الخنساء دخلت على عائشة وعليها خمار ممزق وصدر...))¹¹⁴ فالصدر قميص تلبسه المرأة، كما جاء في ((حديث الخنساء أنها دخلت على عائشة رضي الله عنها وعليها خمار ممزق وصدر شعر الصدر القميص القصير. وقيل ثوب رأسه كالمقنعة وأسفله يغشى الصدر والمنكبين...))¹¹⁵. وجاءت الكلمة بهذا المعنى في قول بشار بن برد (ت 784 م) في قوله:¹¹⁶

تُبَاعُ وما لَواحِدَةٍ صِدَارُ كَأَنَّكَ قَدْ رَأَيْتَ نِسَاءَ كَلْبٍ

¹¹³ المستطرف في كل فن مستظرف 2/ 213.

¹¹⁴ لسان العرب 4/ 447، ويُنظر المثل في: كتاب جمهرة الأمثال 2/ 140.

¹¹⁵ النهاية في غريب الحديث والأثر 3/ 16.

¹¹⁶ ديوان بشار بن برد 3/ 257.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ووردت في قول أبي تمام (ت 896 م):¹¹⁷

لِلشَّغْرِ صَدْرٌ مَا عَلَيْهِ صِدَارٌ لَوْلَا جِلْدُ أَبِي سَعِيدٍ لَمْ يَزَلْ

وجاءت عند أبي العلاء المعري (ت 1057 م) كذلك حيث قال:¹¹⁸

بَلْقَيْسُ عَارِيَةٌ بِغَيْرِ صِدَارٍ وَالْمَلِكُ ثُبَّتَ لِلْقَدِيمِ وَأَبْرَزَتْ

6- السبيج أو السبيجة: اختلف في هيئته فجاء في بعض المصادر: السبيج، وهو قميص بلا كمين ولا جيب¹¹⁹، أو... له جيب ولا كمين له زاد التهذيب يلبسه الطيانون وقيل... مدرعة كُملها من غيرها، وقيل هي غلالة تبتذلها المرأة في بيتها كالبقير... والسبجة والسبيجة كساء أسود، السبيجة القميص، فارسي معرب ابن السكيت السبيج السبيجة البقير وأصلها بالفارسية شبي وهو القميص وفي حديث قبلة إنها حملت بنت أخيها وعليها سبيج من صوف.¹²⁰

الألفاظ المتعلقة بالقميص:

كان القميص عنوان حقل دلالي من جهة **الألفاظ المتعلقة به** وترتبط به ارتباطاً وثيقاً فهي في معظمها جزء منه، بعضها عربي وبعضها الآخر مُعرب؛ ومن تلك الألفاظ:

1- البنائق: جمع بنيقة: وهي طوق القميص الذي يضم النحر أو العرى، أو الطوق الذي فيه الأزرار: جاءت في قول طرفة بن العبد (ت 564م)¹²¹:

¹¹⁷ ديوان أبي تمام (بشرح الخطيب التبريزي تح: محمد عبده عزّام، المجلد الثاني، دار المعارف بمصر، د. ت) 2/ 198.

¹¹⁸ لزوم ما لا يلزم 5/ 416.

¹¹⁹ المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 8/ 719، ويُنظر أيضاً: 7/ 604.

¹²⁰ لسان العرب 2/ 294.

¹²¹ ديوان طرفة بن العبد، (تح: فوزي عطوي، دار صعب بيروت 1980) ص 35.

تلاقى وأحياناً تبين كأنها بنائقُ عُرِّ في قميصٍ مُقدِّدٍ

ويقول مجنون ليلي (ت 688 م):¹²²

يَضُمُّ عَلَيَّ اللَّيْلُ أَطْرَافَ حُبِّكُمْ كَمَا ضَمَّ أَطْرَافَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

ويقول ابن ميادة (ت 766م):¹²³

يَضُمُّ إِلَيَّ اللَّيْلُ أَطْفَالَ حُبِّهَا كَمَا ضَمَّ أَرْدَانَ الْقَمِيصِ الْبَنَائِقُ

2- نبيق القميص: ((نبيق القميص نيفقه فارسي أعربوه بالرباعي كما أعربوه بالثلاثي في

نيفق...))¹²⁴ ((ومما جاء مفتوحا والعامّة تكسره الكتان والطيلسان ونيفق القميص)).¹²⁵

3- الدخارص: ((الدخريص من القميص والدرع، واحد الدخاريص وهو ما يوصل به البدن

ليوسعه...))¹²⁶ وأورد السيوطي اللفظة في باب أمثلة من المعرب¹²⁷، وجاءت الكلمة في

شعر الأعشى (ت 629م)، حيث قال:¹²⁸

قَوَافِي أَمْثَالاً يُوسِّعُنْ جِلْدَهُ كَمَا زِدَتْ فِي عَرْضِ الْقَمِيصِ الدَّخَارِصَا

4- رعايل: ((والرعبولة: الخرقّة المتمزقة، والرعبلة: ما أخلق من الثوب، وثوب مرعبل أي

مُمزق...))¹²⁹ يقول الفرزدق (ت 778م):¹³⁰

¹²² ديوان مجنون ليلي ص 139.

¹²³ شعر ابن ميادة (جمعه وحققه حنا جميل حداد مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (1982) ص 274.

¹²⁴ لسان العرب 10/ 364.

¹²⁵ المزهري في علوم اللغة وأنواعها (دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1998) 1/ 250، ويُنتظر: أدب الكاتب 1/

300.

¹²⁶ لسان العرب 7/ 35.

¹²⁷ المزهري في علوم اللغة وأنواعها 1/ 223.

¹²⁸ شرح ديوان الأعشى الكبير (قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي بيروت ط1 1992)، ص 191.

¹²⁹ لسان العرب 11/ 289.

تَرَى كُلَّ مُنْشَقِّ الْقَمِيصِ كَأَنَّمَا عَلَيْهِ بِهِ سِلْحٌ تَطِيرُ رَعَابُهُ

5- الجيب: وهو معروف يقول أبو نواس (ت 814م):¹³¹

جَنَانُ أَضْنَى جَسَدِي حُبُّكُمْ فَلَيْسَ إِلَّا شَبَحَ قَائِمُ
وليس لي جيبٌ قَمِيصٍ ولا يَثْبُتُ فِي خِنْصَرِي الْخَاتَمُ
وللمجنون (ت 688 م) أيضاً:¹³²

فَقُلْتُ وَلَمْ أَمْلِكْ سَوَابِقَ عِبْرَةٍ سَرِيعٍ إِلَى جَيْبِ الْقَمِيصِ إِنْهَمَالُهَا

واشتق من اللفظ السابق فعل فجاء: قد جبت القميص إذا قورت جيبه¹³³، وجعلت له جيباً¹³⁴، ويقال اجتبت القميص والظلام أي دخلت فيهما، وكل شيء قطع وسطه فهو مجوب ومجوب وبه سمي جيب القميص¹³⁵.

6- الجريان: ((وجريان الدرع والقميص جيبه وقد يقال بالضم وهو بالفارسية كريبان وجريان القميص لبنته فارسي معرب وفي حديث قرّة المزني أتيت النبي فأدخلت يدي في جريانه الجريان بالضم هو جيب القميص...)).¹³⁶ وهو جريان القميص بضم الجيم والراء¹³⁷،

¹³⁰ شرح ديوان الفرزدق، ص 635.

¹³¹ ديوان أبي نواس ص 302.

¹³² ديوان مجنون ليلى ص 156، ويُنظر: المُستطرف في كل فن مُستطرف 248/2 حيث جاء البيت منسوباً إلى الأقرع بن معاذ، كما جاء في الأغاني 19/ 100 برواية أخرى منسوباً إلى مُزاحم بن عمرو بن الحارث:

فكم ثم كم من عبرة قد رددتها سريع على جيب القميص انهلالها

¹³³ إصلاح المنطق 1/ 254.

¹³⁴ أدب الكاتب 1/ 268.

¹³⁵ النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 310.

¹³⁶ لسان العرب 1/ 261، ويُنظر الحديث في النهاية في غريب الحديث والأثر 1/ 253.

¹³⁷ أدب الكاتب 1/ 306.

وجاءت اللفظة في قول الراعي النميري (ت 708م)¹³⁸:

وَعَلَى السَّمَائِلِ أَنْ يُهَاجَ بِنَا جُرْبَانُ كُلِّ مُهَنْدٍ عَضْب

وفي قول جرير (ت 728 م)¹³⁹:

إِذَا قِيلَ هَذَا الْبَيْنَ رَاجَعَتْ عِبْرَةٌ لَهَا بِجُرْبَانَ الْبَنِيْقَةُ وَاكْف

((... إنما أضاف الجربان إلى البنيقة وإن كان إياها في المعنى ليعلم أنهما بمعنى واحد وهذا من باب إضافة العام إلى الخاص...))¹⁴⁰.

والجربان اسم أطلقه الجاحظ على قميص بشار بن بُرد (ت 784 م)؛ وذلك حيث قال: ((وكان الجربان قميص بشار الاعمى وجبته لبنتان فكان إذا أراد نزع شيء منهما أطلق الأزرار فسقطت الثياب على الأرض ولم ينزع قميصه من جهة رأسه قط وقدويه العدوى الشحاجي لم يلبس قميصا قط وهو اليوم حي وهو شيخهم وسعيد بن العاص الجواد الخطيب لم ينزع قميصه قط فقدويه الشحاجي ضد سعيد بن العاص الاموي))¹⁴¹.

7- الذلال: ((ذلال القميص وذنانه لأسافله والواحد ذلذل ذنن...))¹⁴² يقول الشريف الرضي (ت 1015م)¹⁴³:

لَمَا رَأَى الْمَوْتَ أَوْ الذَّلَّ انْبَرَى إِلَى الرَّدَى مُشَمَّرَ الذَّلَالِ

¹³⁸ شعر الراعي النميري وأخباره (جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحاني مراجعة عز الدين التتوخي دمشق 1964

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق) ص 91

¹³⁹ يُنْظَرُ الْبَيْتُ فِي دِيْوَانِ جَرِيرٍ 684/2.

¹⁴⁰ لسان العرب 28 / 10 .

¹⁴¹ البيان والتبيين 1 / 443.

¹⁴² المزهر في علوم اللغة وأنواعها 1 / 441.

¹⁴³ ديوان الشريف الرضي 647/2.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ويقول ابن حيوس (ت 1081 م)¹⁴⁴:

ويلبسُ من سجاياهُ ثياباً على الجوزاءِ مُرخاةُ الذلائل

يقول سبط بن التعاويذي (ت 1187م)¹⁴⁵:

والبسني من النعماءِ درعا تُناذِرُها الأسنةُ والنصولُ

إذا قَلَصْتُ سراويلَ العطايا صَفْتُ منها الذلائلُ والفضولُ

8- أزرار: ((وأزررت القميص جعلت له أزرارا زررته شددت أزراره...))¹⁴⁶ يقول ابن المُعْتَز (ت 909م)¹⁴⁷:

تَعَاوَدَتِ الْأَسْقَامُ جِسْمِي فَلَمْ تَدَعِ لِعَوَادِهِ غَيْرَ الْقَمِيصِ الْمُرَّرِ

وربما وضع في زر القميص خرزة للدخول على السلطان من باب الرقية وتدعى بِـ
الْخَصْمَةِ¹⁴⁸.

9- العُرى: يقول عنتره بن شداد (ت 600م)¹⁴⁹:

زَارَ الْخِيَالُ خِيَالُ عِبَلَةٍ فِي الْكُرَى لِمُتَيِّمٍ نَشَوَانَ مَحْلُولِ الْعُرَى

10- الكُم: يقول أبو فراس الحمداني (ت 968م)¹⁵⁰:

¹⁴⁴ ديوان ابن حيوس (تح: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق 1951) 477/2.

¹⁴⁵ سبط بن التعاويذي (اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س. مرجليوت، مطبعة المقتطف بمصر 1903) ص 341.

¹⁴⁶ أدب الكاتب 1/ 273، ويُظَنَّر أدب الكاتب 1/ 309 باب ما جاء على فعلت بفتح العين والعامّة نقوله على فعلت بضمها ووزر القميص يزره.

¹⁴⁷ ديوان ابن المُعْتَز ص 197.

¹⁴⁸ المُفَصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام 7/ 750.

¹⁴⁹ شرح ديوان عنتره بن شداد ص 91.

¹⁵⁰ ديوان أبي فراس الحمداني (عُني بجمعه سامي الدهان بيروت 1944 المَعهد الإفرنسي بدمشق الجزء الثاني) 187/2.

وفي الكُم كَفَّ لا يراها عديلاً وفي الخدرِ وجّةً ليسَ يعرفه الخدرُ

11- اللبدة: ((يقال لبدت القميص ألبده ولبدته ويقال للخرقة التي يرقع بها صدر القميص اللبدة والتي يرقع بها قبه القبيلة وقيل الملبد الذي ثخن وسطه وصفق حتى صار يشبه اللبدة...))¹⁵¹.

12- الكفة: ((الكفة بكسر الكاف... وكفة القميص والرمل ما استطال بضم الكاف...))¹⁵².

13- المُقطّع: ((... قيل المقطع من الثياب كل ما يفصل ويخاط من قميص وغيره وما لا يقطع منها كالأزر والأردية...))¹⁵³.

ولعلّ أول ما يُلاحظه الناظر في أمثلة الألفاظ المتعلقة بالقميص في الفقرة السابقة هو امتدادها منذ العصر الجاهلي وحتى العباسي، مع ملاحظة أن أمثلة العصر العباسي كانت أكثر بكثير، كما يظهر أنّ بعضها مُعرب، ولكن الملاحظة الكُثرى ظهوراً عناية كتب اللحن والتنقيف اللغوي بها، وفي ذلك دلالة على طول مدة جريانها على ألسنة الناس.

ألفاظ مُستعملة تشترك مع القميص في الجذر اللغوي:

ثمة ألفاظ أخرى اشتقت من مادة (ق، م، ص) السابقة، أو من القميص الدال على قطعة من الثياب، إلا أن تلك الألفاظ لم تكثر في الاستعمال السياقي كما كانت الحال مع كلمة القميص، وفيما يلي أمثلة عن تلك الألفاظ؛ وهي:

تَقَمَّصَ

وجاءت في الاستعمال السياقي بمعنيين هما: التحرك والتقلب ولبس القميص، وهما معنيان جاءا في المعاجم اللغوية السابقة، فمن المعنى الأول قول السَّمُوعِل (ت 560م)¹⁵⁴:

¹⁵¹ النهاية في غريب الحديث والأثر 4 / 224.

¹⁵² أدب الكاتب 1 / 246.

¹⁵³ النهاية في غريب الحديث والأثر 4 / 81.

¹⁵⁴ ديوان عروة بن الورد السَّمُوعِل (دار صادر بيروت د.ت) ص 77.

جَاشَ مِنَ الْكَاهِنِينَ إِذَا بَرَزُوا أَمْوَجَ بَحْرِ تُقَمِّصُ الْحَدْبَا

تقمص أي تزلزل تحرك، والحدب: ما غلظ من الأرض. وقول المُتَقَبِّ العبدِي (جاهلي ت 587م)¹⁵⁵:

تَقَمِّصُ بِالْأَرْضِ الْفَضَاءَ وَيُدُّهَا وَجَأَوَّ فِيهَا كَوَكْبُ الْمَوْتِ فَخَمَّةٌ

وقول لبيد بن ربيعة العامري (مُخْضَرَم ت 661م)¹⁵⁶:

غُدَافِرَةٌ تَقَمِّصُ بِالرِّدَافِي تَخَوَّنَهَا نَزُولِي وَارْتَحَالِي

وقول سلامة بن جندل (ت 600م)¹⁵⁷:

مَتَى مَا يَخْضُهَا مَاهِرُ اللَّحْجِ يَغْرُقُ يُقَمِّصُ بِالْبُوصِيِّ فِيهِ غَوَارِبُ

وقول حاتم الطائي (ت 578 م)¹⁵⁸:

يُقَمِّصُ دَهْدَاقَ الْبَضِيعِ، كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الْقَطَا الْكُدْرِ، الدَّفَاقِ الْحَنَاجِرِ

وجاء هذا المعنى في الحديث الشريف: ففي حديث المرجوم إنه يتقمص في أنهار الجنة أي يتقلب وينغمس ويروى بالسين... وفي حديث أبي هريرة لتقمصن بكم الأرض قماص البقر يعني

¹⁵⁵ ديوان شعر المتقَّب العبدِي، (تح: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية، 1971م) ص 107، والجأواء: الكتيبة، والكوكب: معظم الشيء، فخمة: ضخمة، تقمص: سرى، الوئيد: الحركة.

¹⁵⁶ ديوان لبيد بن ربيعة العامري (دار صادر بيروت 1966) ص 105، (غُدَافِرَةٌ: الناقة الشديدة، والردافي: الرديف، وتقمص هنا بمعنى تقفز وتهز لا تستقر).

¹⁵⁷ ديوان سلامة بن جندل ص 181، البوصي: ضرب من السفن فارسي معرب، الغارب أعلى الموج وأعلى الظهر، ولجة البحر حيث لا يدرك قعره... ولُج البحر عُرْضُهُ قال: ولج البحر الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه... ولجة الماء بالضم معظمه وخص بعضهم به معظم البحر.

¹⁵⁸ ديوان حاتم الطائي (دار صادر، بيروت، 1963) ص 52.

الزلزلة¹⁵⁹. على حين نرى أن قول أبي نواس (ت 814م) التالي يحتمل المعنيين معاً وهو¹⁶⁰:

لَبِثْتُ فِي دِنَانِهَا أَلْفَ شَهْرٍ لَمْ تُقَمِّصْ وَلَمْ تُعَذِّبْ بِنَارِ

فَقُمِّصْ هنا إما من معنى: تَقَمِّصَ قَمِيصَه: أي لبسه أي تغير لونها وهيئتها، أو من يَتَقَمِّصُ بمعنى يَتَقَلَّبُ وَيُنْعَمَسُ، أو من معنى الزلزلة كما في حديث أبي هريرة: لَتَقَمِّصَنَّ بِكُمْ الْأَرْضَ قُمَاصَ الْبَقَرِ.

ومما جاء من المعنى الثاني ما قيل في علي بن أبي طالب، كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ، في مجلس معاوية من أنه¹⁶¹: ((... خير من آمن واتفق وأفضل من تقمص وارتدى وأبر من انتعل وسعى...)).

وتكتسب اللفظة معنى مجازياً أيضاً من باب الاستعارة، فوردت في نص نثري يعود إلى القرن السابع الهجري حيث قال ابن الأثير في كتابه المثل السائر: ((فمنه ما ذكرته في فصل من كتاب إلى ديوان الخلافة يتضمن ذكر الجهاد فقلت... وما ذاك إلا لأن العدو إذا طلب تقمص ثوب إذلاله وتتصل من صحة نصاله واعتصم بمعاقله...))¹⁶². وجاءت الكلمة بهذا المعنى عند القلقشندي في أثناء حديثه عن الجياد حيث جاء:¹⁶³ ((... فمن أشهب كأن الشهب له قنيصه أو الصباح ألبيه قميصه أو كأنما قلب من اللجين في قالب البياض وسقي سواد أحداقه أفداح الرياحة من غير حياض ومن أدهم ومن أدهم كأن النفس لمسه في مداده أو الطرف أمد طرفه بسواده أو كأنما تقمص إهاب الليل لما طلع عليه فجر غرته...)). كما ورد كذلك عند التلمساني

¹⁵⁹ النهاية في غريب الحديث والأثر 4 / 108.

¹⁶⁰ ديوان أبي نواس ص 183.

¹⁶¹ جمهرة خطب العرب 2 / 92.

¹⁶² المثل السائر 1 / 250.

¹⁶³ صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج4، 1914) 7 / 383.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

في نفح الطيب: ¹⁶⁴ ((... وهذا كفر صراح وقائله قد تقمص كفرا اللهم غفرا...)).

فُصِّصَ

جمع قَمِص، ويُلاحظُ أن هذا الجمع استعمل بالمعاني الأساسية والمجازية؛ وهذا ما يدل على طول مدة استعمال اللفظ بالمعنى المجازي، فمما جاء بِمعنى قطعة الثياب قول أبي نؤاس (ت 814م) ¹⁶⁵:

عَدَّ بَنِي حُبِّ غَلَامِيَّاتٍ دَوَاتِ أَصْدَاغٍ مُعَقَّرِيَّاتِ
مُقَوِّمَاتِ الْقَدِّ مَهْضُومَاتِ يَمَشِينَ فِي قَمَصٍ مُزْرَرَاتِ
وقول عمر بن أبي ربيعة (ت 712 م) ¹⁶⁶:

((أبت الروادف والثدي لقمصها مس البطون وأن تمس ظهورا

... والمعنى أن هذه الحبيبات امتنعت روادفها وثديها لما اكتسبته من الضخامة أن تمس الثياب بطنها وظهرها)).

ومن ذلك أيضاً ما جاء في كتاب الأغاني يؤكد كيفية ارتداء القمص بعضها فوق بعض، وقد سبق أن ذكرناها سابقاً: ¹⁶⁷ ((... وكان رجلا عظيم البطن بادنا لا يستطيع أن ينثني من بطنه سخيף العقل فطلع وعليه سبعة قمص كأنها درج بعضها أقصر من بعض ورداء...)).

ومما جاءت فيه بِمعنى الدرع قول أبي هلال العسكري (ت 1005م): ¹⁶⁸

¹⁶⁴ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 3 / 486.

¹⁶⁵ ديوان أبي نؤاس ص 167.

¹⁶⁶ ديوان الحماسة 2 / 93.

¹⁶⁷ الأغاني 19 / 147 - 146.

¹⁶⁸ ديوان العسكري ص 172.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وَقُمْصُ حَدِيدِ صَافِيَّاتٍ ذِيُولُهَا لَهَا حَدَقٌ خُزْرُ الْعِيُونِ صِغَارُ

ومما جاء بمعنى الهيئة الخارجية للشيء، وهو معنى مجازي كما سبق أن أشرنا، قوله: ¹⁶⁹

أَحْدَقَ لَيْمُونٍ بِأَتْرَجَةٍ كَأَنْجَمٍ تُحْدَقُ بِالْبَدْرِ
مَخْرُوطَةُ الْأَجْسَادِ فِي فَضَةٍ مُلَبَّسَاتٍ قُمْصَ التَّبْرِ
وقوله كذلك في وصف بلابل: ¹⁷⁰

مَرَرْتُ بِدُكْنِ الْقُمْصِ سَوْدِ الْعَمَائِمِ تُغْنِي عَلَى أَعْرَافٍ غَيْدِ نَوَاعِمِ

وقول سبط بن التعاويذي (ت 1187م) في وصف الأطيّار: ¹⁷¹

مُلَوَّنَاتِ الْقُمْصِ وَالْأَطْمَارِ مِنْ أَبْيَضٍ كَرَزِمِ الْقَصَّارِ

وما جاء من باب الاستعارة قول الشاعر: ¹⁷²

تَجَرِ ذِيُولَ اللَّهْوِ فِي قُمْصِ الْهَوَى تَلُوْحُ عَلَيْنَا لِلْغَرَامِ شَوَاهِدِ

قُمْصٌ

وهي من الكلمات المشتقة من الجذر (ق، م، ص) جاءت بصيغة الفعل: (قمص) أي قفز واضطرب كما في قول الشاعر: ¹⁷³

وَعَنْ شَفَقٍ تَغْرِي الصَّبَاحَ أَوْ الدَّجَى إِذَا أُوثِقَتْ مَا قَدْ تَحْرُكُ أَوْ قُمْصِ

¹⁶⁹ المصدر نفسه ص 133.

¹⁷⁰ المصدر نفسه ص 207.

¹⁷¹ ديوان سبط بن التعاويذي ص 228.

¹⁷² المستطرف في كل فن مستظرف 2 / 239.

¹⁷³ نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب 4 / 181.

القَمَص

وجاءت مصدراً للفعل السابق كما في قول الشريف الرضي (ت 1015م)¹⁷⁴:

أَلِي مَعْدٌ جِئْتُ مُرْتَقِيَا يَا عَيْرُ أَيْنَ رَمَى بِكَ الْقَمَصُ؟

والقمص صفة مُستقبحة في الخيل فأبغضُ الخيل:¹⁷⁵ ((... الذي إن ضربته قمص وإن دنوت منه شمس يدركه الطالب ويفوته الهارب...)).

قِمَاص:

هي أيضاً من الكلمات التي أشارت إليها المعاجم اللغوية العربية وجاءت في قول عُبَيْد بن الأبرص (ت 600م):¹⁷⁶

لِسَانِي بِالْقَرِيضِ وَبِالْقَوَافِي وَبِالْأَشْعَارِ أَمْهَرُ فِي الْغَوَاصِ
مِنْ الْحَوْتِ الَّذِي فِي لُجِّ بَحْرِ يُجِيدُ السَّبْحَ فِي اللَّجَجِ الْقِمَاصِ

وهذا من معنى قَمَصَ الْبَحْرُ بالسفينة إذا حَرَكَهَا بالموج.

وفي قول الشريف الرضي (ت 1015م):¹⁷⁷

بَكَيْتُكَ لِلسَّوَابِقِ مَوْضِعَاتٍ قِمَاصُ السَّرْبِ أَعْجَزُ أَنْ يُعَاجَا

وفي قوله كذلك:¹⁷⁸

مَا لِي وَمَا لِلْقَدَرِ الْمُعَاصِي كَالْعَيْرِ مَضْرُوباً عَلَى الْقِمَاصِ

من الحركة والاضطراب وعدم الاستقرار.

¹⁷⁴ ديوان الشريف الرضي 434/1.

¹⁷⁵ جمهرة خطب العرب 1/ 23.

¹⁷⁶ ديوان عبيد ابن الأبرص (دار بيروت للطباعة والنشر 1983) ص 85.

¹⁷⁷ ديوان الشريف الرضي 183/1.

¹⁷⁸ المصدر نفسه 432/1.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وجاءت اللفظة في الأمثال العربية فقيل: ((ما بالغير من قماص يروى بالضم والكسر والصحيح الفصح الكسر يضرب لمن لم يبق من جلده شيء)).¹⁷⁹

وهو مثل ((يضرب مثلاً للذليل لا يستقر في موضع تراه يقمص من مكانه من غير صبر ويقال للقلق قد أخذ القماص)).¹⁸⁰

ففي حين نرى المصدر السابق يفاضل بين الكسر والضم من جهة الفصاحة، نرى المثل نفسه في مصدر آخر يُروى بالضم والكسر معاً¹⁸¹. ولذلك نرى كتب اللحن والتثقيف اللغوي تُعنى بالمُفردة من جهة تصحيح النطق؛ فقد جاء في أدب الكاتب:¹⁸² ((ودابة فيه قِماص ولا يقال قُماص)).

قَمُوص

جاءت هذه الكلمة في سياق الاستعمال اللغوي للدلالة على الحركة أي مصدر سماعي (لقمص) بمعنى وثب، في حين جاءت في المعاجم اللغوية العربية بِمعنى الكاذب فقط، فالمعنى الثاني قد يكون مجازياً فمن المعنى الأول قول امرئ القيس (ت 545م):¹⁸³

تَظَاهَرَ فِيهَا النَّيُّ لَا هِيَ بَكَرَةٌ وَلَا ذَاتُ ضِغْنٍ فِي الرِّمَامِ قَمُوصُ

وقول الفرزدق (ت 778م):¹⁸⁴

سَتَحْمِلُهُ الدَّيْنَةُ عَنْ قَلِيلٍ عَلَى سَيْسَاءٍ ذَعْبَةٍ قَمُوصِ

¹⁷⁹ مجمع الأمثال 2 / 268.

¹⁸⁰ كتاب جمهرة الأمثال 2 / 237.

¹⁸¹ يُنْظَرُ: المستقصى في أمثال العرب، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987) 2 / 317.

¹⁸² أدب الكاتب 1 / 307، ويُنْظَرُ: إصلاح المنطق 1 / 175.

¹⁸³ شرح ديوان امرئ القيس ص 123.

¹⁸⁴ شرح ديوان الفرزدق ص 488.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فالقموص هنا أي كثيرة الحركة والوثب.

وجاءت قموص في سياق الاستعمال اللغوي بمعنى الكاذب كما في قول الشريف الرضي (ت 1015م):¹⁸⁵

ربّ مستغمرٍ آبائي وفي الناس ذلولٌ على الأذى وقموص

وقد تُضاف لفظة قموص بمعنى الكاذب إلى كلمة الحنجرة كما في قول الشاعر عبد الصمد بن المعذل (ت نحو 854 م)¹⁸⁶:

حتى تنيخ بكل كل متزاور وتمد بلعوها قموص الحنجر

وجاءت اللفظة بهذا المعنى في بعض كتب الأمثال العربية فقل: ¹⁸⁷ ((أكذب من المهلب بن أبي صفرة كان على كونه كذابا قموص الحنجرة يمزق فروة كل كاذب ويبالغ في ذمه وعيبه وكان لقب براح يكذب...)).

وقد تستخدم قموص في الكناية ((فأبو الأخطل كنية البغل وكذلك أبو قموص... أو كما يكنى به قموص)).¹⁸⁸

خاتمة ونتائج:

وختاماً نجد أن فرضية عروبة اللفظ ممكنة، إن لم تكن مؤكدة وذلك بسبب:

- 1- وزنه ونسيجه الصوتي الذي حافظ عليهما في الأصل اللاتيني الذي أشارت المعاجم الأجنبية إلى كونه الأصل؛ وهما يتفقان مع النسيج الصوتي والوزن العربيين.

¹⁸⁵ ديوان الشريف الرضي 435/1.

¹⁸⁶ الأغاني 254 / 13.

¹⁸⁷ المستقصى في أمثال العرب 291 / 1.

¹⁸⁸ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب 251 / 1، ويُنظر: المستطرف في كل فن مستظرف 2 / 139.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

2- عدم تغيير الصيغة الصوتية للفظة القميص في المادة المعجمية العربية (ق م ص) في مقابل بعض الصيغ الأخرى ضمن المادة المعجمية نفسها التي تغيرت على الألسنة كما أظهرت كتب اللحن والمعاجم نفسها؛ مما يدل على استقرار الصيغة الصوتية (قميص) في اللغة العربية وفي اللغات الأخرى المجاورة؛ حيث حُرِّفت في الفرنسية والإنكليزية قليلاً عن الأصل اللاتيني في حين بقيت كما هي تقريباً في الإيطالية، والفارسية والتركية العثمانية.

3- طول مدة الاستعمال بالدلالات الحسية والمعنوية، الذي دل عليه كثرة شيوخ اللفظ في السياق اللغوي العربي، والتصاقه بالحياة المجتمعية العربية في جوانب عديدة، وكثرة الاشتقاق منه، إضافة إلى التطور الدلالي الذي أصابه، من جهة الاتساع، إذ أصبح يدل على أنواع وهيئات كثيرة منه، وتُستعمل استعمالاً مختلفة، واستعمال الألفاظ المُشتقة منه في السياق اللغوي العربي بالدلالات الحسية والمعنوية معاً، إضافة إلى تطور المادة المُعجمية نفسها بين القرنين الثاني والثامن الهجريين.

4- قَدَم استعمال اللفظ بالدلالة المعنوية والمجازية منذ العصر الجاهلي، وهذا ما يُشير إلى حقبة سابقة سحيقة جداً في الزمن يصعب تحديدها استعمل فيها اللفظ استعمالاً مادياً.

5- ارتباط ألفاظ كثيرة دلاليّاً به، دون أن يؤدي ذلك إلى أي تغيير في نسجه الصوتي، أو انتقال في الدلالة إلى الكلمة المرتبطة به، مما يدل على ثبوته في العقل الجمعي للمجتمع العربي.

6- معظم الألفاظ المرتبطة به هي ألفاظ مُعربة، ترتبط بصناعة القميص في معظمها، وهذا لا يخرج عن طبيعة الألفاظ الدخيلة إلى العربية والدالة على الحرف والصناعات، وتناول كتب اللحن والتنقيف اللغوي لبعضها يُظهر عدم استقرارها نطقياً، مما يدل على حداثة تلك الألفاظ في مقابل لفظة القميص التي استقرت في اللغة العربية دون تغيير.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

المصادر والمراجع

- 1- أثر الدخيل على العربية الفصحى في عصر الاحتجاج، د. مسعود بوبو، وزارة الثقافة، دمشق، 1982.
- 2- أدب الكاتب، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية، مصر، ط4، 1963.
- 3- أساس البلاغة، الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار المعرفة بيروت لبنان (د. ت).
- 4- إصلاح المنطق، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، تح: أحمد محمد شاكر و عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1949.
- 5- الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، على السباعي، عبد الكريم العزباوي، محمود غنيم علي النجدي ناصف، عبد العزيز مطر، وآخرون، بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970 - 1974 (بحسب الجزء) (24 جزء).
- 6- البلغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، أبو البركات بن الأنباري، حققه وقدم له وعلق عليه د. رمضان عبد التواب، الجمهورية العربية المتحدة وزارة الثقافة، مطبعة دار الكتب 1970.
- 7- البيان والتبيين، الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)، تح المحامي فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط1 1968.
- 8- تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني)، دار الفكر (د. ت).
- 9- تنمة اليتيمة، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، غني بنشره عباس إقبال، مطبعة فردين، طهران، 1353 هـ.
- 10- التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة، الزبيدي (السيد محمد مرتضى الحسيني)، تحقيق مصطفى حجازي، ضاحي عبد الباقي، عبد الوهاب عوض الله، مجمع اللغة العربية القاهرة ط1 ما بين سنتي 1986 - 1996 (بحسب الجزء).
- 11- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف القاهرة (د. ت) سلسلة ذخائر العرب (57).
- 12- جمهرة اللغة، ابن دريد (أبو بكر محمد بن الحسن)، حققه وقدم له د. رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين بيروت ط1 1987.
- 13- جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، أحمد زكي صفوت، المكتبة العلمية، بيروت (د. ت).
- 14- الحيوان، للجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)، تح: عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- الحلبي، مصر، ط1، ج3 1938، ج4. 1940
- 15- الدخيل في اللغة العربية د. فؤاد حسن علي (فصل من مجلة كلية الآداب جامعة القاهرة)، (مج 12 ج1) مطبعة جامعة فؤاد الأول 1950.
- 16- دراسات في فقه اللغة، د. صبحي الصالح، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة البعث، 1989.
- 17- ديوان الأدب، الفارابي (إسحاق بن إبراهيم)، تحقيق د. أحمد مختار عمر، مراجعة د. إبراهيم أنيس، القاهرة، مجمع اللغة العربية، (مطابع وتواريخ طبع مختلفة).
- 18- ديوان الحماسة، اختارها أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، شرح العلامة التبريزي، دار القلم، بيروت، لبنان (د، ت).
- 19- ديوان ابن حيوس، تح: خليل مردم بك، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، 1951.
- 20- ديوان ابن خفاجة، تح: د. السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د. ت).
- 21- ديوان ابن المعتز، شرح وتقديم ميشيل نعمان، الشركة اللبنانية للكتاب، بيروت، لبنان. 1969
- 22- ديوان العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، جمعه وحققه جورج قنازع، المطبعة التعاونية بدمشق 1979 مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- 23- ديوان أبي تمام، بشرح الخطيب التبريزي، تح: محمد عبده عزّام، المجلد الثاني، دار المعارف بمصر، (د. ت).
- 24- ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى التبيان في شرح الديوان، ضبطه وصححه ووضع فهارسه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، دار المعرفة، بيروت، 1978.
- 25- ديوان أبي فراس الحمداني، عني بجمعه سامي الدهان، بيروت، 1944، المعهد الإفرنسي بدمشق، الجزء الثاني.
- 26- ديوان أبي نواس الحسن بن هانئ، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، القاهرة، 1953.
- 27- شرح ديوان الأعشى الكبير، قدم له حنا نصر الحتي، دار الكتاب العربي بيروت، ط1، 1992.
- 28- شرح ديوان امرئ القيس، حسن السندوبي، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، ط7، 1982.
- 29- ديوان البحري، دار المعارف، عني بتحقيقه حسن كامل الصيرفي، (نخائر العرب 34 ط2، د. ت).
- 30- ديوان بشار بن برد، محمد الطاهر بن عاشور، راجعه محمد شوقي أمين، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1957.
- 31- ديوان الجهاء زهير، شرح وتحقيق محمد طاهر الجبلاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، (نخائر العرب 53 د. ت).
- 32- ديوان تأبط شرأ، إعداد وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، لبنان، 1993.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- 33- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تح: د. نعمان محمد أمين طه، دار المعارف ط3، د. ت. ذخائر العرب 43.
- 34- ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، 1963.
- 35- ديوان شعر الحادرة، تح: د. ناصر الدين الأسد، دار صادر، بيروت، ط3، 1991.
- 36- ديوان حسان بن ثابت، تح: د. سيد حنفي حسنين مُراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1974، المكتبة العربية. 136.
- 37- ديوان دريد بن الصمة، تح: د. عمر عبد الرسول، دار المعارف، (ذخائر العرب 59) القاهرة، (د. ت.).
- 38- ديوان ديك الجن الحمصي، تحقيق أنطوان محسن الفوال، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.
- 39- ديوان شعر ذي الرمة، راجعه وقدم له زهير فتح الله، دار صادر، بيروت، ط1، 1995.
- 40- ديوان ذي الرمة، شرح أبي نصر أحمد بن حاتم الباهلي، رواية الإمام أبي العباس ثعلب، تح: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت، لبنان، ط2، 1982.
- 41- ديوان سبط بن التعاويذي، اعتنى بنسخه وتصحيحه د. س. مرجليوت، مطبعة المُقتطف بمصر، 1903.
- 42- ديوان سلامة بن جندل، صنعه محمد بن الحسن الأحول، تحقيق فخر الدين قبّابة، المكتبة العربية، حلب 1968.
- 43- ديوان الشريف الرضي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، لبنان، (د. ت.).
- 44- ديوان الشنفرى (وليّه السليّك بن السلّكة وعمرو بن براق)، إعداد وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، بيروت، لبنان، ط1، 1993.
- 45- شرح ديوان صريع الغواني (مسلم بن الوليد الأنصاري)، تح: سامي الدهان، ط3، دار المعارف بمصر، (سلسلة ذخائر العرب 26) (د. ت.).
- 46- ديوان صفي الدين الحلي، دار صادر، بيروت، 1990.
- 47- ديوان طرفة بن العبد، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب بيروت. 1980.
- 48- ديوان طُفيل الغنوي، شرح الأصمعي، تحقيق حسان فلاح أوغلي دار صادر بيروت ط1. 1995.
- 49- ديوان عبيد بن الأبرص، دار بيروت للطباعة والنشر، 1983.
- 50- ديونا عروة بن الورد والسموأل، دار صادر، بيروت (د. ت.).
- 51- شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرحه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1992.
- 52- شرح ديوان عنتر بن شداد، تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شبلي، قدم له إبراهيم الأبياري، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة (د. ت.).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- 53- شرح ديوان الفرزدق، عُني بجمعه وطبعه عبد الله إسماعيل الصاوي، مطبعة الصاوي، ط1، 1936.
- 54- ديوان لبيد بن ربيعة العامري، دار صادر، بيروت، 1966.
- 55- ديوان شعر المتنبي العبدى، تح: حسن كامل الصيرفي، جامعة الدول العربية - معهد المخطوطات العربية، 1971م.
- 56- ديوان مجنون ليلى، شرح د. يوسف فرحات، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1992.
- 57- شعر ابن ميادة، جمعه وحققه: حنا جميل حداد، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق. 1982.
- 58- شعر دعل بن علي الخزاعي (ت 246 هـ)، صنعه عبد الكريم الأشتري مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق (د. ت).
- 59- شعر الراعي النميري وأخباره، جمعه وقدم له وعلق عليه ناصر الحاني، مُراجعة عز الدين التتوخي، دمشق، 1964، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق.
- 60- شعر يزيد بن الطثرية، د.ناصر الرشيد، دار الوثبة، دمشق، (د. ت).
- 61- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، الفلشندي (أبي العباس أحمد بن علي)، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، ج4. 1914.
- 62- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د. ت).
- 63- فقه اللغة، د. علي عبد الواحد وفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، د. ت.
- 64- قاموس التليسي إيطالي - عربي، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 1984.
- 65- القاموس المحيط، الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، نسخة مصورة عن الطبعة الثالثة للمطبعة الأميرية سنة 1301، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978.
- 66- كتاب جمهرة الأمثال، أبو هلال العسكري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط2، 1988.
- 67- لزوم ما لا يلزم، أبو العلاء المعري، عُني بتصحيحه وتفسير غريبه أمين عبد العزيز، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ج1، ط2، 1930، ج2، 1923.
- 68- لسان العرب، ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري)، دار صادر، بيروت، ط1، 1956.
- 69- المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، جامعة حلب، 1991.
- 70- معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي (أبي عبد الرحمن)، تحقيق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- السامرائي، وزارة الثقافة والإعلام- الجمهورية العراقية - دار الرشيد 1981.
- 71- مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني النيسابوري، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، (د، ت).
- 72- مُجمل اللغة، ابن فارس اللغوي (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، دراسة وتحقيق زهير عبد المُحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1986.
- 73- مُختصر العين الزبيدي (أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله الزبيدي الأندلسي)، تحقيق نور حامد الشاذلي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
- 74- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 1998.
- 75- المستطرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبيشي، إصدار دار كرم بدمشق، (د، ت).
- 76- المستقصى في أمثال العرب، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 1987.
- 77- المُعجم الفارسي الكبير فارسي - عربي، إبراهيم الدسوقي شتا، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1992.
- 78- المُعجم المُفصّل بأسماء المَلايس عند العرب، دوزي (رينهارت)، ترجمة أكرم فاضل، (من مجلة اللسان العربي المجلدان الثامن/ ج3 1971، والعاشر/ ج3 1973).
- 79- مُعجم المقاييس في اللغة، ابن فارس اللغوي (أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا)، تح: شهاب الدين أبو عمرو، دار الفكر بيروت، ط2، 1998.
- 80- المُعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (القاهرة)، دار الدعوة استانبول- تركيا (د. ت).
- 81- مُعجم شَمال المغرب تطوان وما حولها، عبد المُنعم سيد عبد العال، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر القاهرة 1968.
- 82- المُفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (أبو القاسم الحسين بن محمد)، تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني، البابي الحلبي، 1961.
- 83- المُفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، ساعدت جامعة بغداد على نشره، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة بغداد، ط1، بيروت، من 1968 - 1973 (بحسب الجزء).
- 84- المورد، مُنير البعلبكي، إنكليزي - عربي، دار العلم للملايين، بيروت، 1999.
- 85- المنهل الوسيط، سهيل إدريس، فرنسي - عربي، دار الآداب، بيروت، ط8، 2001.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- 86- موسوعة العامية السورية، ياسين عيد الرحيم، وزارة الثقافة، دمشق، 2003.
- 87- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، أحمد بن محمد المقرئ التلمساني، تح: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968.
- 88- النهاية في غريب الحديث والأثر، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، تح: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، (5 أجزاء) المكتبة العلمية، بيروت، 1399 هـ - 1979 م.
- 89- ينشئة الدهر، الثعالبي (أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل)، المطبعة الحسينية المصرية بالأزهر، مطبعة الصاوي، ط1، 1934.

المراجع الأجنبية

- 88 - Chambers 21 ST Century Dictionary. Editor in chief - Mairi Robinson - Chambers - , first published by Chambers 1999, reprinted 2000, Grand Larousse de langue Française A- cippe - Librairie Larousse 1971.
- 89 - The oxford English dictionary, volume c , oxford university, press Walton stret, oxford, at the clarendon press, first published 1933, reprinted 1961, 1970, 1978.
- 90 -A Turkish and English lexicon Sir James W. Red house, librairie Du Liban, Beirut 1996. p 1473.

المصادر والمراجع المساعدة

- هي مصادر اعتمدنا عليها في تخريج الأعلام ولم يرد ذكرها في الحواشي والتعليقات لكثرة ورودها، وهي:
- 1- الأعلام للزركلي دار العلم للملايين ط5 أيار (مايو) 1980.
- 2- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د. ت).
- 3- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر)، تح: إحسان عباس، دار صادر - بيروت (تواريخ مختلفة بحسب الجزء آخرها 1994).

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

النهوض باللغة العربية بين التوصيات والممارسات

"قراءة في توصيات مجمع اللغة العربية بدمشق"

أ. د. محمود أحمد السيد

طالما عقدت مؤتمرات، وأقيمت ندوات على نطاق الساحة القومية لمعالجة قضايا اللغة العربية، بغية النهوض بها وتجاوز المشكلات التي تقف حائلاً دون تحقيق الأهداف المرسومة لها، مكانةً وسلامةً وصحةً واستخداماً وسيرورةً وانتشاراً.

وسأحاول في هذا البحث الموجز أن أقف على التوصيات التي نجمت عن المؤتمرات والندوات التي عقدها مجمع اللغة العربية بدمشق في السنوات العشر الماضية لبيان مآل هذه التوصيات، وتُعرف عددٌ من الأسباب الكامنة وراء عدم تنفيذها.

أولاً: أغراض مجمع اللغة العربية

حدد قانون مجمع اللغة العربية ذو الرقم 38 والتاريخ 2001/6/6 م أغراض مجمع اللغة العربية في المادة الثانية منه على النحو التالي:

- أ. المحافظة على سلامة اللغة العربية وجعلها وافية بمطالب الآداب والعلوم والفنون ملائمة لحاجات الحياة المتطورة.
- ب. وضع المصطلحات العلمية والفنية والأدبية والحضارية، ودراستها وفق منهجية محددة، والسعي في توحيدها ونشرها في الوطن العربي.
- ج. العناية بالدراسات العربية التي تتناول تاريخ الأمة العربية وحضارتها وصلتها بالحضارات الأخرى.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- د. العناية بإحياء تراث العرب في العلوم والفنون والآداب تحقيقاً ونشراً.
- هـ. النظر في أصول اللغة العربية، وضبط وابتكار أساليب ميسرة لتعليم نحوها وصرفها وتوحيد طرائق إملائها وكتابتها، والسعي في كل ما من شأنه خدمة اللغة العربية وتطويرها وانتشارها.
- و. السعي في الحؤول دون استفحال العامية في شتى المجالات.
- ز. النظر في كل ما يرد إلى المجمع من موضوعات تتصل بأغراضه.
- وحددت المادة الرابعة من القانون وسائل تحقيق أغراض المجمع كما يلي:
- أ. وضع معجمات لغوية عصرية ومعجمات للمصطلحات العلمية ذات تعريفات محددة.
- ب. إصدار الكتب والنشرات ونشر ما يراه مناسباً لأغراضه في مجلة المجمع، وما يلائم أعماله المعجمية والثقافية من نصوص ودراسات ومصطلحات.
- ج. عقد مؤتمر سنوي وندوات، وإلقاء محاضرات تتصل بأغراض المجمع، والاشتراك فيما يدعى إليه المجمع من ندوات ومؤتمرات مماثلة.
- د. توثيق الصلة باتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، والتعاون مع المجامع والهيئات اللغوية والعلمية الأخرى لخدمة أغراضه.
- هـ. الاستعانة بكل ما تتيحه التقانات الحديثة من وسائل لخدمة اللغة العربية.
- و. السعي لدى الجهات المسؤولة لاتخاذ كل ما ينبغي لتنفيذ ما ينتهي إليه المجمع من قرارات لسلامة اللغة، وتيسير تعميمها، وتوحيد المصطلحات فيها.
- ز. اتخاذ ما يراه من تدابير لخدمة أغراضه.
- وتجدر الإشارة إلى أن مجمع اللغة العربية بدمشق هو أقدم مجمع لغوي بين المجامع اللغوية في الوطن العربي، إذ إنه أُسس عام 1919 م وكان اسمه آنذاك "المجمع العلمي العربي"، وقد أسهم أي إسهام في تعريب دواوين الدولة بعد الخلاص من الحكم التركي والاستعمار الفرنسي من بعده، كما أسهم في وضع مقابلاتٍ للمصطلحات الأجنبية في العملية التعليمية إن في التعليم العام أو في التعليم الجامعي بعد ذلك، وأصبح اسمه ((مجمع اللغة العربية)) عام 1960 في عهد الوحدة بين سورية ومصر. وأنجز المجمع خلال مسيرته العلمية معاجم تخصصية في الميادين

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

العلمية، وحقق عدداً من المخطوطات وطبعها ونشرها، ووضع العديد من الدراسات والبحوث في ميادين المعرفة، وعقد عدداً من الندوات والمؤتمرات للبحث في قضايا اللغة العربية، والسعي لتجاوز العوائق التي تحول دون انتشارها سليمة على الألسنة والأقلام.

ثانياً: ندوات المجمع ومؤتمراته

عقد مجمع اللغة العربية بدمشق في السنوات العشر الماضية خمس ندوات وخمسة مؤتمرات، الندوات التي عقدها هي:

- 1- ندوة معالم الحاضر وآفاق المستقبل عام 1997
- 2- ندوة اللغة العربية والإعلام عام 1998
- 3- ندوة إقرار منهجية موحدة لوضع المصطلح العلمي العربي وتوحيده عام 1999
- 4- ندوة اللغة العربية والتعليم عام 2000
- 5- ندوة المعجم العربي عام 2001

وأما المؤتمرات فهي:

- 1- مؤتمر "تيسير النحو" عام 2002
- 2- مؤتمر " اللغة العربية في مواجهة المخاطر " 2003
- 3- مؤتمر قضايا المصطلح العلمي عام 2004
- 4- مؤتمر اللغة العربية والمجتمع عام 2005
- 5- مؤتمر "اللغة العربية في عصر المعلوماتية" عام 2006.

ثالثاً: توصيات ندوات المجمع ومؤتمراته

بلغ مجموع توصيات ندوات المجمع ومؤتمراته زهاء (250) توصية. وتناولت هذه التوصيات مختلف القضايا اللغوية، ولو صنفنا هذه التوصيات في ضوء مضمونها والجهات التي ينبغي لها أن تنفذها، لوجدنا أن من هذه التوصيات ما هو موجه إلى الحكومات العربية، ومنها ما هو موجه

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إلى وزارة التربية، ومنها ما هو موجه إلى وزارة التعليم العالي، ومنها ما هو موجه إلى وزارة الإعلام، ومنها ما هو موجه إلى مجمع اللغة العربية نفسه، ومنها ما هو موجه إلى وزارة الاقتصاد والتجارة.

وفيما يلي تبيان لأهم هذه التوصيات:

1- توصيات موجهة إلى الحكومات العربية:

- أ. مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها.
- ب. مطالبة الحكومات العربية باستخدام العربية الفصيحة في إعلامها.
- ج. السعي لإنشاء مؤسسة قومية للترجمة.
- د. السعي لتعميم قرار مجمع اللغة العربية واتحاد المجمع على وزارات الدول العربية ووزارة الإعلام في كل منها.
- هـ. إنشاء مجمع للغة العربية في كل قطر لم ينشأ فيه هذا المجمع.
- و. إنشاء بنك مركزي للمصطلحات ترتبط به بنوك المصطلحات العربية، مقره اتحاد المجمع اللغوية.
- ز. إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية.
- ح. تعميم استخدام العربية في مختلف المناشط: "لغة التعليم، لغة الإدارة القضاء، الاقتصاد، الإعلام".
- ط. تنشيط البحث العلمي المتعلق بقضايا تدريس العربية.
- ي. إنفاذ الخطة الشاملة للثقافة العربية والخطة القومية للترجمة والخطة القومية للتعريب.
- ك. تعزيز استعمال العربية في المهاجر والمنظمات الدولية، ودعوة ممثلي الدول العربية إلى استعمال اللغة العربية والالتزام بها في المحافل الدولية.
- ل. تعزيز المعلوماتية في ميدان اللغة العربية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- م. تشجيع مراكز الترجمة والتعريب على أداء مهامها.
- ن. إنشاء جمعيات للمترجمين.
- س. تأليف لجان متخصصة في الوزارات والمؤسسات الحكومية لتعمل كل لجنة على جمع المصطلحات وتدقيقها ورفعها إلى مجمع اللغة العربية للنظر فيها قبل تعميمها.
- ع. دعوة وزارات الإعلام العربية إلى استعمال اللغة السليمة في برنامج الإذاعة والتلفزة والمسرح والصحف والمجلات والنشرات والمطبوعات والإعلانات التجارية وغير التجارية التي تعرض في الشوارع أو تنشر في الصحف، أو تبث في وسائل الإعلام.

2- توصيات موجهة إلى وزارة التربية

- أ. إعداد المدرسين على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها.
- ب. استعمال العربية المبسطة في رياض الأطفال.
- ج. تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمال الفصحى والتزام المدرسين كافة بها.
- د. استعمال العربية الفصحى في المناحي التربوية والإعلامية.
- هـ. جعل مرحلة الرياض جزءاً من السلم التعليمي وتوفير مستلزمات نجاح الرياض.
- و. إعادة النظر في مناهج مرحلة التعليم الأساسي والمرحلة الثانوية.
- ز. إقامة دورات تدريبية للمعلمين.
- ح. إعادة النظر في أسلوب تدريس الأدب والنصوص في المرحلة الثانوية في ضوء التجارب والاتجاهات الحديثة.
- ط. الاهتمام بالمكتبات المدرسية.
- ي. تعميم دروس العربية بالحاسوب والشبكات في أسرع وقت ممكن.
- ك. إنتاج كتب إلكترونية مبسطة بالعربية.
- ل. إنشاء مركز لتطوير المناهج في وزارة التربية.
- م. إجراء بحوث تجريبية وميدانية للبرامج التعليمية و قياس فاعليتها.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

- ن. تطوير أساليب الامتحانات.
- س. ضبط الكتب المؤلفة بالشكل.
- ع. تجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.
- ف. الإكثار من حفظ النصوص في المراحل الأولى من التعليم، من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والأشعار والخطب البليغة.
- ق. إخضاع المتسابقين لانتقاء المدرسين والموظفين لاختبارات لغوية.
- ر. التركيز على النحو الوظيفي.
- ش. تبسيط كتب النحو العربي باعتماد الطرائق الاستقرائية.
- ت. الحرص على السلامة اللغوية للكتب والمراسلات بين الوزارات والمؤسسات ودور النشر والطباعة الأهلية والخاصة.

3- توصيات موجهة إلى وزارة التعليم العالي:

- أ. اختيار الطلبة الراغبين في الانتساب إلى الصحافة والمعاهد الإعلامية على أساس إتقان العربية.
- ب. إنشاء كلية للإعلام بأقسامه المختلفة من صحافة وإذاعة مسموعة ومرئية غايتها إعداد الأطر الإعلامية.
- ج. إعادة النظر في التعليم العالي والجامعي من حيث سياسة القبول.
- د. إعادة النظر في مناهج تدريس اللغة العربية وإقامة دورات تدريبية للمدرسين.
- هـ. إقامة معسكرات إنتاجية للجامعيين خاصة بالمناشط اللغوية.
- و. اعتماد كتاب منهجي جامعي في النحو يعمم على البلاد العربية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

4- توصيات موجهة إلى وزارة الإعلام:

- أ. استعمال العربية المبسطة في المسلسلات والمسرحيات المذاعة والمتلفزة.
- ب. عقد دورات تدريبية مستمرة للعاملين في الإعلام بغية تحسين أدائهم اللغوي.
- ج. رفض الإعلانات التي تسيء إلى العربية بما يشيع فيها من العامية والتسميات الأجنبية والمتضمنة أغلاطاً لغوية.
- د. وضع ضوابط لاختيار الإعلاميين ومنها إتقان العربية.
- هـ. وضع معاجم موسوعية للمشتغلين بالإعلام لضبط أسماء أعلام التراث العربي والأماكن والمواقع.
- و. التركيز على الجانب التطبيقي العملي في التكوين اللغوي للإعلاميين.
- ز. من شروط القبول للعمل في الصحف والمجلات إتقان اللغة العربية.
- ح. توفير المدققين اللغويين للصحف والمجلات ونشرات الأخبار والمسلسلات.
- ط. إنشاء هيئة لغوية فنية مختصة باللغات الأجنبية لدراسة المصطلحات الأجنبية في الميدان الإعلامي ووضع مصطلحات مناسبة بالتعاون مع المجمع.
- ي. إنشاء هيئة لغوية في الإعلام تصحح الأغلاط وتنبه عليها.
- ك. إصدار دليل لتصحيح الأغلاط وتوزيعها على العاملين في وسائل الإعلام.
- ل. تخصيص برنامج خاص للأطفال بالعربية السليمة، وتخصيص زوايا للأطفال في الإعلام المقروء تضبط بالشكل.
- م. الرقابة اللغوية لكل ما ينشر من كتب ودوريات.

5- توصية موجهة إلى وزارة الاقتصاد والتجارة:

- إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة باستعمال الألفاظ العربية في التسمية وعدم اللجوء إلى الأجنبية.

6- توصيات موجهة إلى مجمع اللغة العربية:

- أ. تأليف مرجع ميسر لقواعد النحو والصرف والإملاء بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.
- ب. وضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.
- ج. السعي لتوحيد المصطلحات ونشرها على أوسع نطاق بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.
- د. إصدار معجم اشتقاقي بالتعاون مع اتحاد المجامع اللغوية العربية.
- هـ. الاستفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها.
- و. إصدار معجم تاريخي.
- ز. تأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحدة لوضع المصطلحات.
- ح. توحيد المصطلحات العربية.
- ط. إصدار معجم شامل للمعاني.
- ي. إصدار معجم ألفاظ الحضارة والحياة العامة ثلاثي اللغات.
- ك. إصدار معجم مدرسي.
- ل. إصدار معجم للأطفال.
- م. السعي لإنجاز مشروع الذخيرة اللغوية.
- ن. الاستفادة من الوسائل المستخدمة في النقانة والمعلوماتية لإعداد المعجمات.
- س. تعزيز تحقيق التراث ونشره.
- ع. إنشاء مرادف مصطلحات.
- ف. الاستفادة من التراث العلمي العربي في وضع المصطلحات.
- ص. جمع القرارات والتوصيات والمنهجيات التي أصدرتها مجامع اللغة العربية وتوثيقها ونشرها.
- ق. تأليف معجمات ثلاثية اللغات للمصطلحات.
- ر. إصدار مجلات مجامع اللغة العربية على أقراص لتسهيل اقتنائها من المهتمين.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ملاحظات لا بد منها

من يلق نظرة متفحصة على هذه التوصيات يلاحظ ما يلي:

1- تكرار عدد من التوصيات مرات ومرات من ندوة إلى أخرى ومن مؤتمر إلى آخر، ولو كان ثمة تنفيذ للتوصية ما كررت مراراً، وإذا أردنا ترتيب أهم التوصيات المكررة ترتيباً تنازلياً ألفينا الجدول رقم (1).

الجدول رقم (1): أهم التوصيات المكررة في مؤتمرات المجمع وندواته

عدد مرات التكرار	التوصية
6	1- مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها
6	2- استعمال العربية المبسطة في المسلسلات والمسرحيات المذاعة والمُنْتَظَرة
6	3- إعداد المدرسين على استعمال أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها
5	4- تعميم استعمال العربية الفصحى في مختلف المناشط "لغة التعليم، لغة الإدارة، الاقتصاد، القضاء، الإعلام... إلخ"
5	5- استعمال العربية الفصحى في المناحي التربوية والإعلامية
4	6- السعي لتوحيد المصطلحات ونشرها على أوسع نطاق
4	7- إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية
4	8- تشجيع الطلاب في المراحل الثانوية والعالية على استعمال الفصحى والتزام المدرسين كافة بها
3	9- تشجيع مراكز الترجمة والتعريب على أداء مهامها
3	10- الإفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها
3	11- استخدام العربية المبسطة في رياض الأطفال
3	12- إلزام المحال التجارية والمطاعم ودور الملاهي والمؤسسات العامة والخاصة باستعمال الألفاظ العربية في التسمية وعدم اللجوء إلى الأجنبية
2	13- تعزيز استعمال العربية في المهاجر والمنظمات الدولية ودعوة ممثلي الدول العربية إلى الالتزام بها في المحافل الدولية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

2	14- تأليف كتاب مرشد يشرح المبادئ الأساسية للمنهجية الموحدة لوضع المصطلحات
2	15 إصدار معجم ألفاظ الحضارة والحياة العامة
2	16- تصميم دروس العربية بالحاسوب والشابكات في أسرع وقت ممكن
2	17- ضبط الكتب المؤلفة بالشكل

2- قلة الإحاطة بما يجري على الصعيدين القومي والمحلي من مناشط لغوية: يتبدى من خلال هذه التوصيات أن نفراً ممن يصوغون التوصيات لم يطلعوا على بعض من المناشط الثقافية التي تجري على نطاق الساحة القومية من جهة، وعلى الصعيد المحلي من جهة أخرى، فعلى سبيل المثال التوصية الرامية إلى إنشاء مؤسسة قومية للترجمة فات أصحابها أن هناك المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر ومقره دمشق منذ عام 1990، وهو مؤسسة قومية تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، إحدى المنظمات المتخصصة في جامعة الدول العربية، وكذلك الحال فيما يتعلق بالتوصية الرامية إلى إنشاء مكنز على نطاق الساحة القومية، ففي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم نفسها مكنز "فارابي" على نطاق الساحة القومية، وقد عم المشرفون عليه على الدول الأعضاء في مطلع التسعينيات لمدّه بكل البيانات التربوية والثقافية

أما فيما يتعلق بالمستوى المحلي فإن التوصية المطالبة بإصدار معجم مدرسي فات صائغوها أن هناك معجماً مدرسياً أصدرته وزارة التربية السورية منذ الثمانينيات وبذل فيه مجهود كبير حتى تم إخراجها، ولقي صدى طيباً على الصعيد التربوي، وسدّ مطلباً كان الميدان في أمس الحاجة إليه. وأما التوصية الرامية إلى إنشاء مركز لتطوير المناهج التربوية في وزارة التربية فإن في الوزارة مركزاً لتطوير المناهج ويؤدي عمله بصورة مرضية، كما أن وزارة التربية تقيم دورات لمدرسي اللغة العربية لتدريبهم على أساليب تعليم اللغة العربية وطرائق تدريسها، وتعيد النظر باستمرار في المناهج التربوية لتعديلها في ضوء الملاحظات المستمدة من الميدان من جهة، والمتغيرات العالمية من جهة أخرى، وقد أنجزت كتباً إلكترونية، وصممت دروساً في مختلف المواد بالحاسوب، وفي مجال تطوير أساليب الامتحانات أدخلت الاختبارات الموضوعية في

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

امتحانات الشهادة الثانوية منذ عام 2000/ 2001.

وما دامت ثمة إجراءات قد اتخذت من قِبَل، فليس ثمة داع لأن تذكر توصيات تتعلق بموضوعات قد تم تداركها من قبل، إذ لا بد أن يجري التركيز على الموضوعات التي لم يباشر بها بعد، ولم يتخذ أي إجراء بشأنها.

3- التلکؤ في التنفيذ: إن ثمة تلکؤاً في التنفيذ من الجهات التي وجهت إليها التوصيات، إذ من السهولة بمكان إنفاذ عدد كبير من التوصيات دون أي مشقة، وأتساءل ما الذي يمنع مجمع اللغة العربية من إنفاذ التوصيات الموجهة إليه عبر المؤتمرات والندوات التي يقيمها المجمع نفسه؟ ومن هذه التوصيات:

- جمع القرارات والتوصيات والمنهجيات التي أصدرتها المجامع العربية وتوثيقها ونشرها.
 - وضع كتاب يضم مختارات من كتب التراث.
 - إصدار مجلات مجامع اللغة العربية على أقراص لتسهيل اقتنائها من المهتمين.
 - الاستفادة من الحاسوب والتقنيات في جمع الألفاظ والمصطلحات وتخزينها.
- وما الذي يمنع وزارة التربية من:
- ضبط الكتب بالشكل حتى لا تتكرر التوصيات بشأن هذا الضبط.
 - تخصيص مدقق لغوي للمراسلات التي تجري بين الوزارة والمؤسسات ودور النشر والطباعة الأهلية والرسمية.

التركيز على النحو الوظيفي:

- إخضاع المتسابقين لاختبارات في اللغة العربية.
- تجنب استعمال المصطلحات النحوية في المراحل المبكرة من التعليم.
- تطوير أساليب الامتحانات.
- علماً بأن إنفاذ هذه التوصيات يمكن أن يتحقق بكل يسر وسهولة؟

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ولقد تصدرت توصية مطالبة الحكومات العربية بإنفاذ التعريب في الجامعات وغيرها قائمة التوصيات المكررة في المؤتمرات والندوات، وهذا ما يدعونا إلى التساؤل: لِمَ هذا التردد والإهمال والتسويق في تنفيذ خطط التعريب في جامعات الوطن العربي؟ أليس مؤسفاً ومخزياً في الوقت نفسه أن يظل هذا الموضوع مثاراً في أمتنا خلال قرن كامل، في حين حسمته أمم أخرى ليس لديها عراقلة لغتنا في مسيرة الحضارة البشرية، فهاهي ذي كوريا وفيتنام ورومانيا وبلغاريا وفنلنده واليونان تدرس بلغاتها الوطنية، وتبقى العربية ذات البعد الحضاري ولغة القرآن الكريم معزولة عن الاستعمال في أغلب جامعات الوطن العربي ومؤسساته العلمية؟

إن التسويق في إنفاذ التعريب في جامعات الوطن العربي لا يحسمه إلا قرار سياسي، ولنتخذ من التجربة السورية في التعريب مثلاً، إذ إن حركة التعريب في سورية بدأت منذ مطلع القرن الماضي، وشقت طريقها عبر قرن كامل في سورية بكل نجاح واقتدار في الوقت الذي نسمع فيه حالياً وبعد مرور قرن أصواتاً في بعض جامعات وطننا العربي تشكك في قدرة لغتنا على استيعاب علوم العصر وتقنياته، وتدعو إلى استعمال اللغات الأجنبية مكان العربية في ميادين الهندسة والطب والعلوم البحتة والتطبيقية، متجاهلة أن الأمم كبيرها وصغيرها لا تتخلى عن هويتها وعنوان شخصيتها ورمز كيائها القومي متمثلاً في لغتها القومية، اللغة التي أثبتت البحوث والدراسات أن استيعاب الدارسين بها يفوق استيعابهم حال تعلمهم باللغات الأخرى.

ولقد حددت مؤتمرات التعريب وندواته قبل ربع قرن أن تكون سنة 2000 م سنة التعليم باللغة العربية في جميع الجامعات والمعاهد، وها نحن أولاء في سنة 2006 م ما نزال نرى أن معظم الكليات العلمية في الجامعات العربية تدرّس، وبالأأسف، باللغات الأجنبية في منأى عن استعمال العربية.

ونعود مرة أخرى إلى التساؤل: لِمَ هذا التلكؤ في سياسة التعريب في جامعات الوطن العربي، في الوقت الذي نرى فيه النجاح الباهر للتعريب في الجامعات السورية منذ مطلع القرن العشرين حتى الوقت الحاضر؟

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إننا نرى أن نفرأ من أبناء الأمة ما يزلون يجادلون ويشككون في قدرة لغتنا العربية على مواكبة روح العصر، عصر العلم والتقانة. مع أن دساتير الدول العربية تنص على أن اللغة الرسمية للدولة إنما هي اللغة العربية، ما يزال عدد كبير من الدول العربية لا يتخذ القرار السياسي القاضي بتنفيذ التعريب في جامعاته، مع أن التعريب قضية قومية وتربوية ومجتمعية، وهو قضية إبداع وابتكار .

ويرجع عدم إصدار القرار السياسي في بعض من جانبه إلى ضعف في الإدارة وفتور في الانتماء، إذ إن الإحساس العالي بالانتماء في ظلال العولمة يجيء في مقدمة القيم، ومتى تحلل الإنسان من قيمه تخلص عن كثير من دعائم إنسانيته، والتحلل من الانتماء سلسلة متى بدأت تلاشت تأثيراتها، ومضاعفاتها، والنتيجة واحدة وهي أن يخسر الإنسان نفسه، وتخسر الأمة هويتها.

وثمة شريحة على نطاق الساحة القومية تدعو إلى التريث في التعريب، فهي لا تمنع ولا توافق على الإنفاذ مباشرة، وإنما تقف على الحياد متسمة بالغَيِّ المموه بالرشاد، وهذه الشريحة ينطبق عليها قول دانتي "إن أشد الأماكن حرارة في جهنم محجوز للذين يقفون على الحياد في أوقات الأزمات" وأي أزمة أفدح من طمس هوية الأمة والتعدي على ذاتيتها الثقافية؟! وكلنا يعلم أن الحصن الثقافي هو آخر حصون الأمة استعصاء على الأعداء، فإذا سقط لا قدر الله آلت أمور الأمة إلى ذوبان وامحاء.

إن عمق الانتماء إلى الأمة يذلل الصعاب، ذلك أن التريث في حسم موضوع كياننا لأمتنا يتعلق بهويتها وانتمائها وحضارتها أمر يستلزم الإيمان والإحساس العالي بالمسؤولية والإقدام، ورحم الله محمد عبد الكريم الخطابي الذي قال له بعض رفاقه عندما أعلن ثورته:

"فلننتظر حتى تكون لنا أسلحة"

فأجابهم "تحولوا إلى مجاهدين تأتكم الأسلحة، السلاح الأول هو أن تؤمنوا بضرورة القيام بالواجب".

4- غياب لجان المتابعة: إن ثمة غياباً للجان المتابعة، إذ من المفروض أن تكون هناك لجنة متابعة بعد كل مؤتمر لمتابعة تنفيذ توصياته، وألا يكتفى فقط بإرسال التوصيات إلى الجهة المعنية بتنفيذها، وأن يكون ثمة متابعة حثيثة بغية إنفاذها دون إحباط أو فتور من أعضاء اللجنة من جراء هذه المتابعة، ذلك لأن المحاولات المتعددة والإصرار المتتالي يمكن أن يؤدي ذلك كله إلى تحقيق الغاية، ألم يقل شاعرنا العربي:

أخْلُقْ بذِي الصبر أن يحظى بحاجته ومدمن القرع للأبواب أن يلجا

وليس غياب لجنة المتابعة مقتصراً على النطاق المحلي فقط، وإنما هنالك غياب للجان المتابعة على النطاق القومي، فالاستراتيجيات والخطط التي وضعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم لم يطبق معظمها على الصعيد القومي، وكم من جهود بذلت في إعداد هذه الاستراتيجيات والخطط! وكم من جهود بذلت في عقد مؤتمرات المجمع وندواته! ولكن ذلك كله لم يؤد إلى تحقيق الأهداف المرجوة والغايات المنشودة بسبب غياب المتابعة من جهة وعدم الإلزام من جهة أخرى.

5- جزئية النظرة في بعض التوصيات: ثمة توصية وردت تتضمن أن من شروط القبول في كليات الصحافة والآداب والعلوم الإنسانية إتقان أساسيات اللغة. وفي تقديري أن ذلك ينبغي أن يطبق في جميع الكليات الجامعية، وألا يقبل أي طالب في أي تخصص كان إلا إذا كان يتقن أساسيات لغته على الأقل، وهذا الإجراء يؤدي إلى العناية باللغة والاهتمام بها، وما دامت اللغة عنوان الشخصية ورمز الكيان القومي ووعاء المعرفة أياً كان ميدانها، كان إتقان أساسياتها أمراً لازماً، وألا يقتصر القول على طلبة كليات الصحافة والآداب والعلوم الإنسانية فقط وإنما يشمل جميع الطلبة. وينطبق الأمر على خريجي المعاهد والجامعات، إذ من المعيب أن يتخرج حامل الإجازة الجامعية أو المعهد في أي تخصص كان وهو لا يتقن أساسيات لغته.

وينبغي أن يتخذ الإجراء نفسه في التعيين في وظائف الدولة، إذ من شروط التعيين في المسابقات كافة إتقان اللغة العربية أيضاً، يضاف إلى ذلك أن من شروط الترقية في الوظائف

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

كافة إتقان أساسيات اللغة، ذلك لأن التجارب علمتنا أن الاهتمام بالأمر يكون أكثر قوة إذا كان يمس مصالحنا ويتعلق بأوضاعنا الشخصية، وأن التساهل في هذا الجانب يؤدي إلى اللامبالاة وعدم الاكتراث والاهتمام.

6- ضرورة المسؤولية الجماعية: غني عن البيان أن الارتقاء باللغة والنهوض بمستواها هو مسؤولية جماعية، إنه مسؤولية أبناء الأمة كافة، مسؤولية المجتمع والجامعة ومؤسسات التربية وأجهزة الإعلام والمنظمات الثقافية والاتحادات والنقابات، وخطباء المساجد والكنائس، مسؤولية وجهاء النخبة وبسطاء العامة، مسؤولية الناشر والشاعر والعامل والكاتب والقارئ والمدرس والطالب، ذلك لأن اللغة الأم هي التي ترعى كل ناطق بها، وكأنه طفلها الوحيد والأثير، تزدهر وتنمو إن تمرد عليها شعراؤها، ولا تضيق ذرعاً بصرامة علمائها، وتغفر للعامة تجاوزها، ولا تحرم النخبة من تميزها كما ذهب إلى ذلك الصديق الدكتور نبيل علي.

7- أهمية المتابعة والمساءلة: إذا كان الاهتمام باللغة والعناية بها مسؤولية جماعية كان تنفيذ التوصيات مسؤولية جماعية أيضاً انطلاقاً من الانتماء إلى هذه الأمة والاعتزاز بلغتها، ذلك لأن الوعي يكون دافعاً قوياً، إلا أن المتابعة مسألة ضرورية جداً لإنفاذ التوصيات ولا تقل المساءلة أهمية عن المتابعة. ومن هنا كان من الضرورة بمكان في مجال موضوعنا:

أ. الطلب إلى جامعة الدول العربية تعميم التوصيات المتعلقة بالحكومات العربية على الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية.

ب. الطلب إلى السيد نائب رئيس الجمهورية للشؤون الثقافية في سورية تعميم التوصيات المتعلقة بالوزارات الحكومية على هذه الوزارات.

ج. تكليف جهة معينة لمتابعة تنفيذ هذه التوصيات.

د. تحديد مدة معينة لإنفاذ التوصيات، ومن ثم تكون المساءلة.

هـ. إصدار قانون حماية اللغة العربية، والعمل على تنفيذ مواده، ومساءلة المقصرين في ضوء مضمون مواده وما تنص عليه.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

8- رفع وتيرة الوعي اللغوي: لما كان الوعي اللغوي عاملاً مساعداً أيما مساعدة على تجاوز العقبات، وتذليل الصعوبات، كان لا بد من مساهمة من فطر لديه هذا الوعي. ومن هنا كان لا بد من وجود تشريعات قانونية لحماية اللغة العربية من عبث المستخفين بها وتجاوزات المعتدين على حرمتها وقديستها، وهاهي ذي الدول المتقدمة تحرص كل الحرص على الاعتزاز بلغتها القومية، والحوؤول دون المساس ببنيتها ونظامها ودون مزاحمة أي لغة أجنبية لها في ميدان الحياة.

ومما لاشك فيه أن صدور قانون حماية اللغة العربية وتطبيق مواده وتعليماته التنفيذية يضع حداً لشريحة لا مبالية، هان عليها إحساسها القومي فاستهانت بلغتها القومية رمز كيانها القومي وعنوان شخصيتها العربية، وموحدة فكر أبناء الأمة في بوتقة اللقاء والتفاهم والتحاب والتواد والتضامن.

بيد أن اللجوء إلى تطبيق العقوبات الرادعة لا يكون إلا بعد استفاد كل السبل المشجعة الأخرى. وما من ريب في أن للوعي اللغوي دوراً مهماً وأساسياً في عملية النهوض اللغوي، إذ بقدر توفر هذا الوعي يكون ثمة تقدم وارتقاء، وبغيابه تزداد المشكلات، ويسود التسيب، وتعمُ الفوضى قضايانا اللغوية.

الثقافة

المفهوم والتغيرات المعاصرة

د. سمير إبراهيم حسن

أستاذ علم اجتماع المعرفة

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة دمشق

مقدمة:

"حق الثقافة" مطلب إنساني ذكر أول مرة حقاً أساسياً من حقوق الإنسان في "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" عام 1948 حيث ورد في المادة 27 (1): "لكل شخص حق المشاركة الحرة في حياة المجتمع الثقافية، وفي الاستمتاع بالفنون، والإسهام في التقدم العلمي وفي الفوائد التي تنجم عنه". فما الثقافة؟

ليست الثقافة مفهوماً بسيطاً، كما قد يبدو أول وهلة من كثرة استعمالنا لهذه الكلمة، فهي ليست من نوع المفاهيم الثابتة والواضحة كتلك التي يمكن أن نحصل عليها من الحاسوب، نضغط زرّاً فتأتينا الإجابة الجاهزة، بل هي مفهوم متعدد ومتشابه العناصر والدلالات. لذلك، وفي كل مرة نحاول التفكير في الثقافة وعلاقاتها، لابد من أن نعيد تحديد المقصود.

ولعل أفضل طريقة للبدء بالتعرف بالثقافة، هي استبعاد ما هو سائد عنها ونفي ما لا تقتصر عليه. فهي ليست كتلة من العلم، أو قمة من المعارف، أو تربية مرهفة، أو تأهيلاً كاملاً، أو اختصاصاً عالياً وحذقة للعلماء والأدباء، أو سمو الفكر، أو مجالاً مخصصاً للمتميزين، أو

التعبير عن الوعي أو الوجدان الطبقي أو الجماهيري.

إن الثقافة أكثر من مجموع كل ذلك، انها الوجه الثاني لكيونة البشر، فهي الناس في مقابل الطبيعة، وهي أهم ما يميز المجتمع الإنساني عن غيره من التجمعات الحيوانية¹، فعاتات الجماعة ومفاهيمها وقيمها تنتقل تراثاً اجتماعياً إلى الأجيال المتعاقبة، واللغة هي الأداة الرئيسية لنقل الثقافة والتواصل بين أفراد الجماعة، وإن كانت بعض مكونات الثقافة تنتقل أو تتشكل بوسائل أخرى غير اللغة، كما هي اليوم حال الصورة وإيحاءاتها في الإعلام والإعلان والفنون البصرية، أو كما هو الحال في أدوات وتقانة "تكنولوجيا" الاستعمال الفردي والجماعي والسلع الاستهلاكية المختلفة التي تحمل بذاتها شحنات ثقافية وقيمية.

وتبرز أهمية الثقافة من الدور الأساسي والحاسم الذي تؤديه في حياة الفرد والمجتمع والذي يمكن إجماله في النواحي التالية:

1. تُوفر الثقافة للفرد، صور السلوك والتفكير والمشاعر، التي ينبغي أن يكون عليها، ولاسيما في مراحلها الأولى، بحيث ينشأ على قيم وعادات تؤثر في حياته، بحسب طبيعة ثقافته التي عاش فيها.
2. تُوفر الثقافة للأفراد، تفسيرات جاهزة عن الطبيعة والكون، وأصل الإنسان ودوره الحياة.
3. توفر الثقافة للفرد المعاني والمعايير التي يستطيع أن يميز في ضوءها ما هو صحيح من الأمور، وما هو خاطيء.
4. تنمي الثقافة الضمير الحي عند الافراد، بحيث يصبح هذا الضمير فيما بعد الرقيب القوي على سلوكياتهم ومواقفهم، فهي تجاوز للذات، وحاجة للمشاركة وضرورة للذوق الخلق.
5. تنمي الثقافة المشتركة في الفرد، شعوراً بالانتماء والولاء، فتربطه بالآخرين في جماعته بشعور واحد، وتميزهم من الجماعات الاخرى.

¹ يمكن العودة إلى تفصيلات واسعة عند "مايكل كاريندس" في كتابه "لماذا ينفرد الإنسان بالثقافة؟" ترجمة شوقي جلال ، سلسلة عالم المعرفة، العدد 229 ، الكويت 1998.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

6. وأخيراً، تكسب الثقافة الفرد، الاتجاهات السليمة لسلوكه العام، في إطار السلوك المعترف به من قبل الجماعة.

ولكن الواقع أننا غالباً ما نتحدث عن الثقافة وكأنها بداة، على حين نحن في معظم الأحيان نعني أموراً مختلفة، وننظر من زوايا نظر مختلفة، ولعل من الصعب أن نضع جردة كاملة بكل الاستعمالات التي عرفها مفهوم الثقافة. ولقد كان الدارسون في بداية خمسينيات القرن الماضي قد أحصوا أكثر من مئة وستين تعريفاً مختلفاً للثقافة²، ولا شك أنها اليوم تربو على المئتي تعريف، أما ما تم اكتشافه من الثقافات في العالم فهو يزيد على ثلاثة آلاف ثقافة، تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة، كما ذكر أحد الدارسين في ستينيات القرن الماضي³. فما الثقافة حقاً، وما مكوناتها وعناصرها وتجلياتها؟

أ. ما الثقافة؟

لم يكتب أحد عن مفهوم الثقافة إلا أشار إلى تعقيد المفهوم وصعوبة الإحاطة الشاملة به من خلال تعريف واف، ونظراً لتعدد تعريفات الثقافة وتنوعها فإننا سنحاول تقسيمها من حيث التعميم إلى قسمين: الثقافة بالمعنى العام، والثقافة بالمعنى الخاص.

1. الثقافة بالمعنى العام:

وهي تلك التي نجدها في التعريفات اللغوية أو تلك التي تنتظر إلى الثقافة على أنها ظاهرة إنسانية اجتماعية شاملة ولا تتعلق بجماعة محددة، ففي اللغة العربية نجد ثقف بمعنى ظرف وصار حاذقاً، والثقاف ما تسوى به الرماح، وهذا المعنى لم يعد له قيمة منهجية في الدراسة العلمية للثقافة أو فهمها اليوم، إلا إذا أخذناه بمعنى التشبيه والاستعارة في اللغة. وتعني الثقافة

² جلال مدبولي: الاجتماع الثقافي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة 1979، ص 20، الكتاب قديم ولكنه يحتوي على عرض تقليدي ممتاز لمفهوم الثقافة.

³ 1960,P.176 Shapiro,H.L. Man Culture and society , Oxford University , N.Y,

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الحذاقة وفهم الكلام بسرعة والتمكن من الفنون والعلوم والآداب كما ورد في المنجد. ويعرفها مجمع اللغة العربية بأنها كل ما فيه استفادة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لمملكة النقد والحكم لدى الفرد والمجتمع.

في أوروبا لم تأخذ الكلمة معناها الحالي حتى وقت متأخر، وقد أشار عالم الاجتماع الكندي "غي روشاي" إلى أن الثقافة بالفرنسية كانت تعني الطقوس الدينية في القرون الوسطى ثم أصبحت تعبر عن فلاحه الأرض في القرن السابع عشر، وعبرت عن التكوين الفكري في القرن الثامن عشر، وفي ألمانيا أشارت الكلمة إلى التقدم الفكري، على حين عنت الحضارة الجانب المادي.

في الواقع أن مفهوم أو كلمة "مثقّف" نفسها لم تظهر في الأدبيات والفكر حتى أواخر القرن التاسع عشر، وكان ذلك في فرنسا بصدد قضية دريفوس الشهيرة حين صدرت مقالة للروائي الفرنسي إميل زولا⁴ تحت عنوان "إني أتهم" عام 1898 يدافع فيها عن الضابط اليهودي الفرنسي دريفوس⁵ المتهم بقضية تجسس تبين فيما بعد أنه بريء منها، وعندما وقّع نحو ألف من المفكرين وأساتذة الجامعات والثانويات عريضة في نفس الاتجاه سميت حينئذ "تعبئة عامة للمثقفين". ثم عرف فيما بعد في الأدبيات بـ "بيان المثقفين". عندئذ ظهرت كلمة المثقف ومفهومها أول مرة.

إن مفهوم الثقافة كما نتداوله اليوم في العلوم الاجتماعية هو مفهوم حديث لا يرقى لأبعد من القرن الثامن عشر، فمنشؤه ومرجعياته هو الفكر الغربي الحديث، ولذلك هناك من يعترض على

⁴ إميل زولا 1840-1902 روائي فرنسي اشتراكي النزعة قضى معظم حياته في الجزائر ويعتبر مؤسسا للمذهب الطبيعي في الأدب ومن أهم رواياته "الأناجيل الأربعة" و"جرمينال"

⁵ دريفوس هو ضابط يهودي خدم في الجيش الفرنسي عام 1890 وقد اتهم بقضية تجسس فأدين وحكم عليه بالنفي، ولما ظهرت وثائق تبين براءته فيما بعد ثارت مشاعر تعاطف معه تطالب بتبرئته بدأها إميل زولا عام 1898 بمقالته الأدبية الشهيرة "إني أتهم" أعقبها أكثر من ألف مفكر وأستاذ جامعة ومدرسة بالتوقيع على عريضة تطالب بتبرئة دريفوس سميت عندئذ "تعبئة عامة للمثقفين". وعرفت في ما بعد بـ "بيان المثقفين".

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إدراج المفهوم بمراجعته الغربية في نسيج اجتماعي مغاير كالمجتمع العربي الإسلامي.

ولكن الاستعمال الاصطلاحي لكلمة ثقافة في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا لا يقتصر على التهذيب أو تقدم المعرفة، كما لا يقتصر على الأدباء والمفكرين وما يطلق عليه اسم ((المتقنين)) باعتبارهم حاملتي الثقافة أو منتجيهما، كما في "بيان المتقنين" الشهير. وليست الثقافة مفهوماً فكرياً بحتاً محدودة (بالفكر) أو بما يتعلق بالمعرفة الراقية التي يحملها أو ينتجها أشخاص متميزون، بل الثقافة مفهوم عام جداً. إنها أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع بشري، من التجمعات البشرية الأولى وحتى أكثر المجتمعات المعاصرة تقدماً، فلكل شعب طريقته في الحياة وفي رؤية العالم وتلك هي ثقافته. فمفهوم الثقافة يشمل كل نتاج إنساني من وسائل الإنتاج البدائية إلى الأدب والفن والميثولوجيا والدين والأخلاق وجميع مظاهر الحياة الاجتماعية، من لباس وسكن وطعام وشراب وآداب المائدة وغير ذلك من المظاهر المادية، وكذلك طقوس ومظاهر التعبير والتواصل الإنساني.

في الواقع أن مفهوم الثقافة بالمعنى العام هذا يعتبر من أكثر المفاهيم الاجتماعية اتساعاً وشمولاً وبعداً عن التحديد؛ فقد امتد بعض التعاريف ليشمل كل شيء وكل أثر إنساني في الطبيعة، فهي كل ما تضيفه العبقورية البشرية إلى الطبيعة لتعديلها وإنائها واستخدامها، ونذكر في هذا الصدد كيف وضع عالم الأنثروبولوجيا الشهير "كلود ليفي شترواس" الثقافة في مقابل الطبيعة، مقابلاً "النبيء بالمطبوخ" باعتبار الثقافة حادثاً نوعياً بالنسبة إلى الحادث الطبيعي، حيث الطبيعة هي النظام بذاته، على حين الثقافة هي نتيجة هذا النظام والسيطرة عليه بالفكر البشري. بحيث يمكننا القول إن الثقافة هي الكل المركب من كل ما نفكر فيه، أو نقوم بعمله أو نمتلكه، بوصفنا أعضاء في مجتمع. ويرى جيمس سبرادلي في هذا الصدد أن ثقافة المجتمع، تتكون من كل ما يجب على الفرد أن يعرفه أو يعتقده، بحيث يعمل بطريقة يقبلها أعضاء المجتمع... إنها تنظيم الأشياء والسلوك والانفعالات في شخصية الإنسان، هي في الأساس، ما يوجد في عقول الناس من أشكال ومتخيلات لهذه الأشياء.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فنتضمن الثقافة برأي معظم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا (تابلور، سبنسر، كروبر) العناصر اللامادية كالمعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادات والأعراف والأفكار واللغة، وتهيئ هذه المكونات منظومة من الأجوبة على المسائل التي تطرحها الطبيعة والمجتمع على الإنسان وتكون رؤيته المميزة للعالم. ونجد عند عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي المعاصر (كيلفورد غيرتز) تشبيهاً طريفاً للثقافة بالجينات الوراثية (DNA) فثقافة المجتمع تزودنا بمسودة أو طبعة أولية يمكن بمقاييسها أن تتخذ العمليات الخارجية بالنسبة إليها شكلاً محدداً، فنظام القواعد في سلسلة من الجينات مثل نظام القواعد في ثقافة ما. بمعنى أن معرفتنا لثقافة ما تزودنا بتوقعات لسلوك أبناء هذه الثقافة وفي هذا الصدد يقول غيرتز: "... مهما تغيرت الحضارات في المستقبل - فإن العوامل الأساسية لشخصيتها، وبنية الإمكانيات التي ستتحرك ضمنها دائماً بمعنى ما: قد شكّلت في المرحلة المبدعة، عندما كانت في بداية تكونها"⁶. وبهذا المعنى رأى عالم الاجتماع الأمريكي الشهير (بارسونز) أن الثقافة هي الأساس المكون للسلوك والفعل الاجتماعي.

برغم كثرة التعريفات وتنوعها، وربما بسبب ذلك، ظل مفهوم الثقافة صعب التحديد، فالمؤتمر العام الثقافي لحكومات أوروبا الشرقية المنعقد بإشراف منظمة اليونسكو في هلسنكي في شهر حزيران من عام 1972، بالرغم من تركيز اهتمامه على الحفاظ على الهوية الثقافية للقارة الأوروبية، لم يستطع الاتفاق على تعريف للثقافة التي يجدر الحفاظ عليها. ولكن بعد ذلك بعشر سنوات في إعلان مكسيكو (6 آب 1982)، نجد المجتمعين يتفقون على تعريف عام ينص على أن الثقافة بمعناها الواسع يمكن النظر إليها على أنها: «جميع السمات الروحية والمادية والعاطفية، التي تميز مجتمعاً بعينه، أو فئة اجتماعية بعينها. وهي تشمل: الفنون والآداب وطرائق الحياة.. كما تشمل الحقوق الأساسية للإنسان، ونظم القيم والمعتقدات والتقاليد».

⁶ C. Geertz, Islam Observed (New Haven :Yale University Press, 1968). p.11

2. الثقافة بالمعنى الخاص:

هي عندما تكون محددة ومتعينة وذلك عندما نلحق الكلمة (ثقافة-الثقافة) بمجال أو مفهوم ما آخر، شخص أو جماعة أو المجتمع بأسره، أو عندما تتعلق برسالة مؤسسة كالجامعة أو الحزب أو الدولة، أو بأشكال اكتسابها، أو باعتبارها نتاجاً خاصاً ومميزاً (بكسر الياء) لكل من هذه المجالات. إن مفهوم الثقافة عندئذ يتبدل ويتعدد أكثر ولكنه يصبح أكثر وضوحاً وتحديداً.

ماذا نعني بالثقافة، مثلاً، عندما نقول "امرأة مثقفة - رجل مثقف" أو "الإشعاع الثقافي" أو "التحرر الثقافي" أو "التنمية الثقافية" أو "الوجه الثقافي للتنمية" أو "المشروع الثقافي" أو "السياسة الثقافية" أو "الصناعة الثقافية" أو "ثقافة الأمة" أو "التنشئة الثقافية" أو "تبعية ثقافية" أو "تخلف ثقافي" أو "غزو ثقافي" ... الخ؟

مثل هذا السؤال، وهذه العبارات، يحيلنا على مفهوم الثقافة بالمعنى المحدد، وذلك عندما نربط الثقافة بمفهوم آخر، فرداً أو جماعة أو مجتمعاً، أو صفة، أو آلية - عملية ما. ويجعلنا أكثر اقترباً من الثقافة بالمعنى الخاص.

1. فعندما ترتبط الثقافة بالفرد الشخص عندما نشير إلى شخص بأنه "مثقف" فإنها تعني سعة أفقه المعرفي واهتمامه وسعيه لتطوير مواهبه وأفكاره ومعارفه بدراسة الآداب والعلوم والفنون والسياسة ومدى تحصيله منها، وما هي اتجاهاتها في التصنيفات السائدة: دينية، علمانية، سلفية، حديثة... إلخ.

2. وإذا ربطنا الثقافة بصفة معينة، فإنها تعني المعارف الخاصة بتلك الصفة، إذ تشير إلى نوعيتها أو مضمونها. كأن ترتبط بالتركيز على مجال معرفي ما، فتكون "ثقافة" أدبية، أو موسيقية، أو فلسفية، أو علمية، أو سياسية.... إلخ.

3. وحين نضيف كلمة ثقافة إلى آلية ما كطريقة اكتسابها، تكون إما ثقافة كتب أو ثقافة إعلام جماهيري أو ثقافة إنترنت، أو تكون ثقافة تعليم منظم (مدرسي أو جامعي) أو ثقافة تجربة ذاتية... إلخ.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

4. أما عندما نربط الثقافة بعملية اجتماعية مركبة وموجهة ما، كالمشروع الثقافي أو التخطيط الثقافي أو التنمية الثقافية، فإنها تشير عندئذ إلى القيم والمفاهيم الاجتماعية المحددة المرغوبة، والمطلوب نشرها وترسيخها في المجتمع لدى أفرادها أو مؤسساته كالقيم الاشتراكية أو الليبرالية أو القومية أو الوطنية المحدودة... إلخ
5. وعندما نذكر الثقافة باعتبارها عاملاً من عوامل السيرورة الاجتماعية، كأن تكون مثلاً، عاملاً من عوامل العولمة، فإنها عند ذلك تعني "المعنى العلمي الاجتماعي المألوف: جملة المعتقدات، والقيم وأنماط الحياة لدى الناس العاديين في حياتهم اليومية"⁷
6. وقد تتصل الثقافة بموضوعات ومفاهيم فريدة ومحددة، كالعمل والديمقراطية والمواطنة والحوار، فتشير عندئذ إلى نوع من الإحاطة بهذه المفاهيم وطبيعتها ومكوناتها وعناصرها ومتطلباتها وشروطها وتاريخها، كأن نقول "ثقافة المواطنة"، "ثقافة الديمقراطية"، "ثقافة الحوار"، "ثقافة العولمة"... إلخ
7. وعندما ترتبط الثقافة بإصدار أحكام أو بتحديد قيمتها وأهميتها بالنسبة للإنسان الفرد العضو في المجتمع، فإنها حصيلته من المعارف والأفكار والاطلاعات والذوق التي تؤدي إلى:
- أ. توسيع أفق الفرد وجعله أكثر قدرة على التكيف الاجتماعي في المجتمع أو بيئة العمل أو المجتمعات التي يمكن أن ينتقل إليها.
- ب. تجعل المرء أكثر قدرة على فهم ما يدور حوله، وأكثر تمكناً من قدراته الذاتية العقلية والتحليلية.
- ج. الثقافة (بمعنى الاطلاع والمعرفة خارج المهنة أو التخصص الضيق) تجعل الفرد أكثر قدرة على الاستيعاب والإبداع، وأوسع آفاقاً في مجال المهنة أو التخصص الذي يعمل فيه، وأكثر قدرة على توظيف ما تعلمه وتلقاه في الواقع الحقيقي.
- د. تخفف التعصب والانغلاق وتجعل الشخص أكثر قدرة على التفاهم والحوار والتواصل

⁷ بيتر ال. بيرغر، صامويل بي. هنتغون: عولمات كثيرة- التنوع الثقافي في العالم المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض 2002. ص 15.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتعامل مع الآخر .

هـ. توسع خيارات الفرد وتجعل الإنسان أكثر حرية وأكثر قدرة على الاختيار وعلى المشاركة الاجتماعية بما يتيح له من معرفة وإطلاع.

و. الإنسان الأقل ثقافة، الأقل معرفة وإطلاعاً، أقل حرية، وأقل قدرة على التحرر من الانغلاق على الذات، وأقل قدرة على الاختيار والمشاركة الاجتماعية.

هكذا نجد أنه إلى جانب مفهوم عام وعناصر ومكونات عامة في الثقافة، فإن للثقافة خصائص متبدلة وطائفة بقدر ما تكون متعينة في الواقع ومتصلة بمجالات محددة شخصية أو معرفية، وبقدر ما هناك من تغيرات حاسمة ومن تطلعات وآمال جماعية أو فردية. ويعمق ذلك اليوم أن السياسة والقانون والعلوم والتقانة "التكنولوجيا"، وبفعل التعليم والإعلام، باتت تتدخل بقوة في مفهوم الثقافة التقليدي، فتعدله وتغيره على نحو يبدو متناقضاً، بحيث تظهر الثقافة اليوم ثقافةً مشتركة بقدر ما هي ثقافة متنوعة وشخصية.

أ. الثقافة والحضارة:

نجد في الأدبيات، في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، تمييزاً بين الثقافة والحضارة، حيث الثقافة تعني النتاج الروحي، أي مختلف صنوف الإبداع والفكر السياسي والفلسفي والاجتماعي والديني، والقيم والأخلاق، والتراكم الإبداعي في المجال الروحي من الأجناس الثقافية من أدب وفكر وفنون وتراث وموسيقا وكل أنواع الإبداع الثقافي الروحي الذي يشكل شخصية شعب ما، والحضارة تعني النتاج والآثار المادية لأمة من الأمم، كوسائل الإنتاج والتقانة "التكنولوجيا" والعمارة واللباس والزينة وغيرها، في حين رأى بعضهم أن مفهوم الحضارة أعم وأشمل من مفهوم الثقافة حيث يشيرون إلى أن في كل حضارة جانبين مادي ولا مادي، هكذا مثلاً كان معظم رواد النهضة والإصلاح العرب يتحدثون عن الأخذ بالنتائج المادية للحضارة الغربية دون الجوانب الروحية لها.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إن الاتجاه الأكثر انتشاراً بين المفكرين والعلماء المهتمين بمجال الثقافة هو التمييز بين الثقافة والحضارة بالانطلاق من أنه في سيرورة الحياة الاجتماعية للبشر هناك جانبان:

1. الجانب الروحي: ويشمل نتاجات الأدب والفكر والفن والفلكلور والتراث الشفهي والمكتوب والإنتاج الفني والنشر .

2. الجانب المادي: ويشمل الآثار المادية كالأبنية والأوابد التاريخية والمدن القديمة والمواقع الأثرية والتقانة ووسائل وأدوات الإنتاج... إلخ

وقد يكون التمييز في اللغة العربية أكثر وضوحاً واتفاقاً، فالثقافة تعني الحداثة والفطنة وفهم الكلام بسرعة، وهي التمكن من العلوم والفنون والآداب في "المنجد"، وهي كل ما فيه استنارة للذهن وتهذيب للذوق وتنمية لمملكة النقد والحكم لدى الفرد والمجتمع وفق "مجمع اللغة العربية". على حين في معنى الحضارة نجد مقابلة الحضري بالبدوي، والحضارة والتحضر تعني الإقامة في الحضر، والحواضر تعني المدن الكبرى.

ولعل الارتباط بين مفهوم الثقافة والعلوم والآداب والذهن والذوق والحكم، في اللغة العربية، لعله الأقرب إلى التمييز الحالي بين المظاهر الروحية والمظاهر المادية، حيث تعني الأولى الثقافة على حين تدل الثانية على الحضارة.

وعلى وضوح هذا التمييز في اللغة العربية، فإنه لم يكن فعالاً في التراث الفكري العلمي الحديث الذي انصب على دراسة الثقافة، هذه الدراسة التي قامت في الأساس على كاهل علماء الإناسة "الأنثروبولوجيين" الغربيين الذين تصدوا لدراسة ثقافات الشعوب، على حين لا نكاد نجد للأنثروبولوجيا حتى اليوم حضوراً عربياً بحثياً يعتد به في جامعاتنا أو في مجالات أو هيئات البحث العلمي لدينا، ولذلك نجد ندرة المساهمات العربية في الدراسة العلمية للثقافة. وعادة ما يشار إلى ابن خلدون باعتباره أهم المساهمين العرب في هذا المجال، من خلال تأويل ذكره "العمران" الذي يجعل الحضارة غاية له، والحضارة عنده صفة لنوع من الحياة يتميز "بصور التقنن في الترف واستجادة أحواله، والكلف بالصنائع التي تؤنق من أصنافه وسائر فنونه" ولا

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يتأتى ذلك إلا لساكن الحضر⁸.

بل، لعل "ابن خلدون" يكون أول من أشار إلى التحضر باعتباره (نمط حياة) هذه الإشارة التي تستخدم بكثرة في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا" وعلم الاجتماع الآن للدلالة على الثقافة في بعض التعريفات.

فعند "كلينبرغ" الثقافة أسلوب مميز للحياة تحدده البيئة الاجتماعية، وعند "فورد" هي نمط من الاستجابات لمشاكل التكيف مع البيئة الخارجية وأعضاء المجتمع⁹، وهي نمط معيشة عند "أوزيريس سيكوني"¹⁰، وهي أسلوب الحياة السائد في أي مجتمع في "الموسوعة العربية الميسرة"¹¹.

نعم، ولكن كان لتحديد منهجي أكثر دقة للثقافة أن ينتظر حتى مرحلة متأخرة نسبياً، تمخضت عنه الأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع، وعلم الاجتماع المعرفي والثقافي، وتجلّى ذلك في الاتجاه السائد للتمييز بين المظاهر المادية والمظاهر الروحية، بين الناتج المادي والناتج الروحي للإنسان، حيث يفيد الأول "الحضارة" على حين يعني الثاني "الثقافة".

فعند: تايلور "تتضمن الثقافة العناصر اللامادية، كالمعرفة والعقيدة والفن والأخلاق والقانون والعادة، و"سبنسر" ثم "كروبر" يشيران إليها باعتبارها "ما فوق العضوية" كالعادات والعرف واللغة والأفكار والعقائد. وهما بذلك يشيران إلى خاصية هامة في الثقافة، من جهة إمكان دراستها موضوعياً، حيث ما فوق العضوية تعني أن الثقافة ومكوناتها موجودة خارج أي عضو أو فرد معين في المجتمع، ومستقلة في وجودها عن وجود الأفراد. فهم يكتسبونها بعد وجودهم في الحياة، وهي لا تنتهي بانتهائهم، بل تستمر بالانتقال من جيل إلى آخر على طريق الأسرة

⁸ ابن خلدون، المقدمة: ص 272، 274.

⁹ جلال مدبولي، مصدر سابق، ص 20-21

¹⁰ أوزيريس سيكوني، التنمية الاقتصادية والتخلف الثقافي، دمشق، مطبعة وزارة الثقافة 1978.

¹¹ محمد شفيق غريال، الموسوعة العربية الميسرة، القاهرة، دار القلم، د.ت.ن.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتربية والتنشئة الاجتماعية والتعليم ووسائل الاتصال المختلفة، مع بعض الإضافات والتعديلات التي تفرضها التغيرات الاجتماعية التاريخية.

في الفكر العربي الحديث نجد المؤتمر الثقافي العربي الثاني، المنعقد في الإسكندرية عام 1950 برعاية جامعة الدول العربية، يعرف الثقافة بتضمينها العناصر اللامادية فحسب، فهي معارف الأمة وآدابها وعاداتها وتقاليدها وأفكارها الروحية والفنية. وهكذا فهي تشير إلى المحتوى الفكري والفني للحضارة، كالمعارف والمعتقدات والأخلاق والقانون والتقاليد والدين والأساطير والفنون التي تؤلف منظومة متميزة تطبع حياة الجماعة.

ولعل أوضح تمييز بين مفهومي الثقافة والحضارة هو ذلك الذي قدمه الفيلسوف وعالم الاجتماع الألماني المعاصر هربرت ماركوز¹²:

الثقافة	الحضارة
عمل فكري	عمل مادي
يوم راحة	يوم عمل
وقت فراغ	عمل
ميدان الحرية	ميدان الضرورة
فكر	طبيعة
تفكير غير عملياتي	تفكير عملياتي

ولكن إذا كانت الثقافة ظاهرة روحية، تقوم أساساً على تحقيق ذاتية الروح والنفس والعاطفة، أو تعود إلى مستوى عال من استقلال الإنسان وتكامله، فإن ميدان الحضارة يشمل ميادين الحاجة والعمل والسلوك، التي يغدو الإنسان والثقافة في إطارها تابعين ومتعلقين بالضرورة

¹² هربرت ماركوز: "ملاحظات حول تحديد جديد للثقافة"، ترجمة بسام بركة، الفكر العربي المعاصر، العدد 29، كانون الثاني 1984.

بطبيعة الحاجات والضرورات المادية الحياتية.

ولذلك فإنه من المتعذر في الواقع فصل الثقافة عن الحضارة، فإذا كانت الثقافة هي الصورة المعنوية للتقدم، فإن الحضارة بمعنى المدنية، هي الارتقاء المادي الذي تصنعه الثقافة والذي ينعكس فيها بدوره، وفي الوقت نفسه يتعلق ارتقاؤه بمستوى تقدمها.

وتلك هي العلاقة الجدلية بين الحضارة والثقافة أو بين الثقافة والحضارة، فتكون الثقافة الأفراد الذين يبنون الحضارة والذين تتغير ثقافتهم وشخصياتهم بتغيرها وأثناء بنائها وتطورها. بحيث يمكن القول إن الحضارة والثقافة ينتميان إلى حقل معرفي واحد.

وهنا يجدر الانتباه إلى أن المعنى السائد للثقافة الذي يحصرها بالفكر أو المعرفة المتطورة أو الآداب والفنون والعلوم الجديدة هو معنى محدود، فذلك جزء من ثقافة المجتمع، وهو ما يسمى **"الثقافة العالمية"** وهي مفهوم يتصل بالمتقنين والمفكرين والكتاب ويشير إلى الثقافة التي يحملونها، والمفهوم يشير إلى الإلمام بمبادئ العلوم والآداب، أو الإنتاج فيها، والمعرفة العامة بالفنون وتذوقها، أو الإنتاج فيها أيضاً. وهو يعني نتاجات المفكرين في مختلف مجالات الفكر والآداب والفنون التي تتضمن موقفاً من المجتمع وعلاقاته، ويشمل ذلك المراجعات والدراسات النقدية والفلسفية والأكاديمية والإيديولوجية للثقافة السائدة والتنظير للثقافة والمجتمع، وتحديد أدوار المتقنين ووظائفهم الاجتماعية والسياسية.

إن الاستعمال العلمي لكلمة الثقافة في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، لا يقتصر على التهذيب وتقدم المعرفة والعلم وتلك الرؤى التي تنسب إلى المتقنين والنخبة "المتقنة". فمنذ البدايات الأولى للجنس البشري والثقافة أهم ما يميز المجتمع الانساني عن التجمعات الحيوانية، فعادات الجماعة وأفكارها واتجاهاتها تستمد من التاريخ وتنقل تراثاً اجتماعياً إلى الأجيال المتعاقبة، واللغة هي العامل الرئيسي لنقل الثقافة، وإن كان بعض أنماط السلوك والاتجاهات تكتسب بوسائل أخرى غير اللغة، وفي هذا الصدد تستعمل أحياناً عبارة **"الثقافة المادية"** وهي ما أشرنا سابقاً إلى ما تمثله من أشياء، كالألات وأدوات الإنتاج والأسلحة والملابس والآثار والأشغال الفنية. أما درجة

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تعقد التنظيم الثقافي وأدواته ومجالاته وتنوعها ومستوى التقدم الفكري والعلمي والأدبي فتساعد على التمييز بين مستوى تحضر المجتمعات، دون أن تعني بساطة مجتمع ما أو بدائيته أنه بلا ثقافة أو أن ليس له حضارة. فلسكان أستراليا الأصليين ثقافتهم كما للمستوطنين والمهاجرين الأوربيين الذين عمروها على غرار الثقافة الأوربية الأم، وكذلك الأمر بشأن الهنود الحمر والمهاجرين المتمدنين.

إن هذا الفهم الأنثروبولوجي الجديد للثقافة لم يأت بسهولة، فقد اقتضى تطوراً طويلاً في نضال الأنثروبولوجيين التقدميين في الأنثروبولوجيا نفسها، لاسيما مع ما يُعرف بـ "تحرير" العلوم الاجتماعية، مع أنثروبولوجيا كلود ليفي . شتراوس وعلم نفس الشعوب البدائية عند ليفي . برول. هذا الفهم الذي يحترم ثقافات الشعوب على أساس من تفهمها وتفسيرها من خلال ظروفها التاريخية، وتقدير ما أبدعته من تقنيات وحلول لمواجهة هذه الظروف، حتى لو كانت تقنيات وحلولاً أولية قياساً بحضارتنا الحديثة.

إن هذه الطريقة في فهم الثقافة غاية في الأهمية لما تتمتع به من موضوعية وعدم تحيز ومن نزعة إنسانية وديمقراطية، خاصة حين نقارنها بالخطاب الثقافي العنصري الذي اقترن بالغزو الغربي للأقوام الأصلية إثر ((اكتشاف)) أمريكا. ذلك الخطاب الغربي الذي كرّر تقديم ابن البلد أو ((الهندي الأحمر)) حسب التسمية الشائعة، في صورة ((الهمجي)) و((البدائي)) و((الأمي)) المحتاج إلى من يربيه ويعلمه، ومن ثم إلى حضارة الغربيين ومدنيتهم وثقافتهم.

غير أن توفير هذه الحضارة والمدنية والثقافة اقتضى القيام بإجراءين: إخضاع ابن البلد وترويضه وتهجينه بالحسنى نادراً وبالإكراه غالباً، واقتلاع حضارته ومدنيته وثقافته من الجذور، قبل محوها تماماً من الوجود. وهكذا فإن تمثيل الخطاب الغربي للأقوام الأصلية في صورة الهمج هو الذي وفر الشرعية السياسية لغزوهم واستعمارهم، وهو الذي أعطى لعمليات الإبادة الجماعية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وتدمير الثقافات الأصلية تلك التسمية الخبيثة العجيبة: المهمة التمدينية¹³.

من كل ما سبق نجد أن مفهوم الثقافة معقد ومتعدد الدلالات ولا يوجد تعريف نهائي وعام لما هو مجال الثقافة بالتحديد، إذ إن ذلك يتوقف على نظرية التطور الاجتماعي والأهداف التي يرنو إليها المفكر ولو ضمناً. ولذلك كان عالم الاجتماع الفرنسي المعاصر "إدغار موران" يقول: "الثقافة بداهة خاطئة، كلمة تبدو وكأنها كلمة ثابتة، حازمة، والحال أنها كلمة فخ، خاوية، منومة، ملغمة، حائلة... الواقع أن مفهوم الثقافة ليس أقل غموضاً وتشككاً وتعددًا، في علوم الإنسان منه في علوم التعبير اليومي".

والواقع أن تعريف الثقافة وتحديد دور المثقف ووظيفته في المجتمع كان دائماً رهناً باهتمام الباحث ونوع تخصصه، والنظرية التي ينتمي إليها أو ينطلق منها*. إضافة إلى كل ذلك فإن الثقافة إنما تتصل بكل علاقة إنسانية لذلك فهي تتدرج في كل المستويات الاجتماعية.

ولكن برغم التداخلات والتشعبات في تعريف الثقافة وفهمها وعلاقاتها فإننا نجد أن هناك عناصر عامة تتفاعل في ثقافة كل مجتمع، كالتقانة "التكنولوجيا"، واللغة، - ليس لغة الكلام فحسب، بل أيضاً لغة الإشارات والرموز والدلائل ووسائل الاتصال الأخرى - والتركيب الاجتماعي الذي يشمل العادات والتقاليد والتنظيمات المختلفة، والتركيب المعنوي، والعلم، والدين، والأسطورة، والتركيب الجمالي في الفنون والآداب والرؤية العامة للكون.

وبالطبع فإن هذه العناصر ليست مترافقة أو منضدة بشكل ثابت وحيد في كل مجتمع بل

هي:

¹³ صبحي حديدي: تيارات معاصرة في الدراسات الثقافية والنظرية النقدية.

<http://thakafa11.8k.com/1716/index.html>

* بصدد الأدوار الثقافية نجد مقارنة طريفة ومفيدة بين المثقف والداعية لدى عبد الله المطيري: "المثقف والداعية"،

جريدة الوطن، الرياض 1 يونيو 2005

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

1. متغيرة ومتبادلة التراتب والتأثير فيما بينها، كتغير قيمة أحد المكونات وأولويته بالنسبة لباقي المكونات.
2. تغير كل عنصر أو مكون من مكونات المنظومة الثقافية يؤثر في العناصر الأخرى في المنظومة، كأثر التقدم التقني "التكنولوجي" في المكونات الأخرى للثقافة.
3. تختلف قوة كل مكون وحجمه وتأثيره وسيادته من مجتمع لآخر، ومن زمن لآخر في المجتمع الواحد. كاختلاف مكانة الدين أو العلم أو التقاليد بين مجتمعات مختلفة، في مراحل مختلفة من تطوره.
4. إذا كان مصطلح الثقافة يشير عموماً إلى المستويات المعيارية في السلوك، فإن هذه المعايير التي تحدد السلوك ليست هي نفسها في الثقافات المختلفة، كما أنها ليست ذاتها في ثقافات معينة خلال مراحل زمنية مختلفة. ولذلك فإن الثقافة بوصفها منظومة من القيم والمعايير والروى هي كما رأتها أنثروبولوجيا كلود ليفي . شتراوس وعلم نفس الشعوب البدائية عند ليفي . برول من المفاهيم والظواهر الاجتماعية النسبية.

ب. الثقافة والتقدم العلمي التقني "التكنولوجي":

أياً كان مفهوم الثقافة، عاماً شاملاً أم خاصاً محدداً، فإن الثقافة في أشكالها ومضامينها تتأثر بالتطور العلمي التقني "التكنولوجي" وما يؤديان إليه من معارف وروى جديدة مختلفة. ولا شك أن للانتشار السريع والواسع للمعارف والأفكار والمعلومات بفضل تقدم علم وتقانة "تكنولوجيا" الاتصال آثاراً وعواقب أكيدة في منظومات القيم والسلوك والثقافة بوجه عام، وما ارتفاع وتيرة الشكوى من المخاطر القائمة على الهوية والخصوصيات الثقافية والحضارية سوى دليل على أن التغيير قائم ومستمر بالفعل.

في الماضي كانت وتيرة الاكتشافات والتقدم العلمي والتقني "التكنولوجي" من البطء بحيث لم يشعر الناس بتغير هويتهم وثقافتهم ورؤيتهم للعالم، أما اليوم فهناك صراعات ومجاهدات حقيقية للمحافظة على الحد الأدنى من مميزات الهوية الثقافية، وذلك يَحْدُثُ بفعل التقدم العلمي

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتكنولوجي المذهل لأواخر القرن العشرين، فالتطور العلمي والتقني "التكنولوجي" اليوم سريع بحيث أصبح الناس يحسون بقوة بالتغيرات الهائلة التي دخلت على نوع الحياة وعلى الحياة السياسية والاقتصادية في مجملها، ويعيدون التفكير بالقيم والتقاليد الماضية. ويتضح تماماً اليوم، أن التقنية "التكنولوجيا" تمتلك بذاتها قدرات أكبر على تغيير البشر والمجتمعات مقارنة بنظريات وفلسفات تغيير العالم السابقة. لقد غير التقدم التقني "التكنولوجي"، أكثر من أي شيء آخر، الحياة اليومية للإنسان، في المدرسة، وفي المهنة، وفي المنزل، وفي أوقات الفراغ، وفي جميع الأدوات المستخدمة في الحياة اليومية للإنسان المتحضر، فالحياة الحالية لا تشبه في شيء ما كانت عليه قبل عشر سنين فقط.

إن آفاق التقدم العلمي والتقني "التكنولوجي" تعد بالمزيد وهي في الواقع غير محدودة، بل هي سريعة بحيث أصبح الناس يلهثون وراءها. لقد كانت الأحلام والخيالات العلمية في الماضي تستغرق عشرات، بل مئات السنين حتى تتحقق، أما اليوم فإننا لا نكاد نفيق من الحلم إلا ونجد الواقع قد تجاوزه.

لم يكن الناس، حتى العارفين منهم، يشعرون بقوة هذه التغيرات على ثقافتهم، بل لم يكونوا يدركون الآفاق الواسعة للتقدم العلمي. ففي عام (1895) علق اللورد "كِلْفن" رئيس الجمعية الملكية البريطانية على تجارب الطيران بقوله: "آلات أثقل وزناً من الهواء وتطير؟! إنه لأمر مستحيل". وفي عام (1895) صدر عن اتحاد رجال الصناعة الأمريكيين الرأي التالي: "للتلفون عيوب وأوجه قصور مهمة، مما يجعل النظرة إليه كأداة اتصال غير جدية. إنه أداة يحكم تكوينها نفسه بعدم جديتها".

وفي عام (1899) صرح تشارلز دويل مفوض المكتب الأمريكي لبراءات الاختراع أنه قد آن الأوان لإغلاق المكتب و"كل ما يمكن أن يخترع، قد تم اختراعه فعلاً". وبعد نجاح تجربة الطيران أوائل القرن العشرين علق المارشال "فوش" أستاذ الاستراتيجية في الكلية الحربية الفرنسية العليا بقوله: "الطائرات لعب مسلية ولكن لا قيمة عسكرية لها". في عام 1920 رد أصدقاء "ديفيد

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

سارنوف" على تحريضه الدائم على أهمية الاستثمار في الراديو: "الصندوق الموسيقية اللاسلكية (الراديو) لا جدوى اقتصادية ترجى منها، حتى لو خيلاً. من يدفع ثمن رسالة غير مرسلة إلى شخص بعينه؟ "

عام 1943 قال توماس واطسون رئيس شركة IBM الشهيرة لصناعة الآلات الحاسبة: "أعتقد أن ثمة متسعاً في السوق العالمية لاستيعاب خمسة أجهزة حاسوب "كمبيوتر" ... ربما".

وفي عام 1977 قال "كين أولسون"، مؤسس شركة الأدوات الرقمية (Digital Equipment): "ليس من سبب يدفع أي شخص إلى اقتناء حاسوب "كمبيوتر" في منزله"¹⁴.

تلك بعض المواقف التي تُبرز تلكو البشر في رؤية قوة العلم والتقانة "التكنولوجية" وأفاقهما غير المحدودة على التقدم. وقد أصبحنا نعرف اليوم أن التقدم العلمي والتقاني "التكنولوجي" الكبير الذي حصل، خاصة في مجال تقانة "تكنولوجيا" المعلومات، قد تجاوز كل التوقعات. وكل ذلك لا بد أن يترك أثره الأكيد والبالغ في ثقافة البشر، ولو شئنا الاستعانة بـ "مالتوس" لقلنا إن التقدم كان يسير في الماضي وفق سلسلة حسابية. أما منذ ثمانينيات القرن العشرين على الأقل فقد بات يسير وفق سلسلة هندسية.

ج. الثقافة والثورة المعلوماتية:

وُسمت العقود الثلاثة الماضية، على الأقل، بأنها عصر الثورة المعلوماتية، وهي الحقبة التي شهدت انتشار الحاسوب "الكمبيوتر" وإرهاق وتطور قدراته، وما قدمه من إمكانيات مفتوحة أمام العقل البشري.

وتماماً كما وسمت مراحل سابقة بأهم الابتكارات والاكتشافات فيها، فكان عصر البرونز وعصر البخار وعصر الثورة الصناعية، وعصر الذرة، نسبة إلى أوسع الاكتشافات تأثيراً في حياة البشر، فإن العصر الذي نعيشه اليوم يستحق بامتياز تسمية عصر المعلومات والثورة

¹⁴ جريدة الحياة، 21 آب 2000، ص 16.

المعلوماتية**

فما المقصود بالثورة المعلوماتية ؟

هي ثورة دينامية مركبة تشتمل على أربعة تغيرات سريعة أساسية على الأقل:
الأول: القفزة المدهشة لتقانة "تكنولوجيا" الحوسبة ومعالجة المعلومات، واندماجها في التقدم المذهل لوسائل الاتصال (الهاتف، والتلفاز، والمحطات الفضائية)، في منظومة تقنية واحدة.

الثاني: التطور غير المسبوق في تراكم المعرفة والانتقال من المعرفة العلمية إلى تطبيقاتها العملية (التكنولوجيا) بسهولة أكبر وزمن أقل من جهة، والسرعة العجيبة في نقل هذه المعرفة وتعميمها على مستوى العالم نتيجة لذلك الاندماج من جهة ثانية.

الثالث: الشبكة الدولية للمعلومات "الإنترنت" التي تجمع العالم كله على منابع معلومات حرة. وتتميز الشبكة "الإنترنت" بأن خدماتها تشمل كل الخدمات التي توفرها وسائل الاتصال المختلفة وتتخطاها، وتطرح عدداً هائلاً من الخيارات المنفلته من أي نوع من الرقابة. فمهما كثر عدد القنوات الفضائية يظل مع ذلك محدوداً، أما مع الشبكة "الإنترنت" فبالإمكان الاطلاع على آلاف المواقع التي تعرض جميع أنواع المعلومات الاقتصادية والسياسية والفنية والبيئية وأصنافها، أي باختصار تضع العالم كله بين يدينا.
الرابع: هو العواقب والتأثيرات الأكيدة والممكنة والمحتملة التي يتركها ذلك في حياة البشر الاقتصادية والسياسية والثقافية.

د. آثار الثورة المعلوماتية في الثقافة:

لا شك أن لهذا الانتشار السريع والواسع للمعلومات دون حدود مانعة، آثاراً وعواقب أكيدة على منظومات القيم والسلوك والثقافة بوجه عام، وهي تؤثر في الخصوصيات الثقافية والحضارية

** في الواقع يمكن نظرياً أن نميز بين مفهوم الثورة المعلوماتية ومفهوم عصر المعلومات، فالثاني هو نتيجة الأول. وهناك اليوم من يرى أن الثورة المعلوماتية قد أنجزت وأنها قد دخلنا عصر المعلومات.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

دون ريب. لكن يفترض أن نكون موضوعيين في تقييم هذه الآثار من حيث كونها سلبية أو إيجابية من ناحية، وأن نميز بين ما نتمنى أن يكون أو يستمر في ثقافتنا، وبين ما هو واقع أو سيروء ملموسة من ناحية أخرى. فالواقع أن الاتجاه إلى نمط ثقافي واحد في العالم كطريقة الحياة الأمريكية مثلاً أمر بَيِّن، والمثابرة عليه واضحة، وذلك يتعلق بمن يهيمن اقتصادياً وسياسياً في العالم اليوم.

ولعله أمر أكيد أن ثورة المعلومات وتقانة "تكنولوجيا" الاتصال قد أثرت وستؤثر في المستقبل بقدر أكبر وأسرع في حياتنا وحياة الأجيال القادمة، وهي اليوم من أهم العوامل التي تعيد تشكيل خياراتنا وثقافتنا وأدواقنا وسلوكنا على المستوى العام والفردى¹⁵. ولا شك أن التعليم المعاصر عندما يعلم هذه التطورات العلمية والتقانية "التكنولوجية" ويستخدمها، فإنه يساهم على نحو منهجي ومنظم في إعادة التشكيل الثقافي وتغيير وجهات النظر ورؤية العالم.

وإذا كانت الخيالات العلمية قد استغرقت عشرات وأحياناً مئات السنين لتحقيق سابقاً، فنحن اليوم لا نكاد نفيق من الحلم حتى نجد الواقع قد سبق الخيال. إن سيارة عادية اليوم تحتوي من تقانة "تكنولوجيا" الحوسبة والمعلومات أكثر مما احتوته "أبوللو" في أول رحلة لها إلى الفضاء الخارجي. ومن التلغزة النفاغلية إلى الحوسبة المنزلية إلى خدمات الهاتف المعززة، والتعليم عن بعد، والتشغيل عن بعد، والتسوق عن بعد، والهواتف الذكية، والتلفاز الذكي، والألياف الضوئية العجيبة - هذه المبتكرات التي كوَّنت الثورة المعلوماتية - إلى كل ما يحلو لعقل مخلق أن يتصوره من تقدم مستقبلي، إن كل ذلك يجعل المستقبل أقرب إلينا من حبل الوريد.

¹⁵ لتأثير الثورة المعلوماتية في الثقافة العربية يمكن العودة إلى تحليلات هامة وذات صلة لدى "نبيل علي" في كتابه "الثقافة العربية وعصر المعلومات" المنشور في سلسلة عالم المعرفة الكويتية العدد 265 يناير 2001. أيضاً في بحثنا المعنون "الثورة المعلوماتية: عواقبها وآفاقها" المنشور في "مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية" خريف 2001.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

نعم سيخضع الناس للكثير من التضليل والتزييف والأيديولوجيا والقرصنة المعلوماتية والتلاعب الإعلامي، ولكنهم سيمتلكون إمكان كشفها أيضاً، بفضل الخيارات الكثيرة المتاحة فنياً وتقانياً "تكنولوجيا".

وفي الواقع، هنالك الكثير مما يدعو إلى الخوف على قيم وأخلاقيات راسخة وعزيرة، تهددها ثورة الاتصال والمعلومات. ولكن الخوف لا يحل المشكلة. ذلك أن التقدم الإنساني العام برغم كل السلبيات المفترضة، يمكننا من أن نعتقد أن الإنسان في مجتمعاتنا سينتقم أكثر فأكثر، وأن الإيجابيات الملازمة للاتصال والمعلومات ستزداد، وأن المفسدات والسلبيات والاستخدامات الضارة لهذه الثورة (ثورة المعلومات) سوف تتضاءل بالتدرج. أي إننا إذا نظرنا إلى المستقبل فإن الفوائد الإنسانية أكبر دائماً. هكذا كان الحال بصدد ثورات واكتشافات تاريخية أخرى في السابق، برغم كل ما صاحبها من شرور واستخدامات ضارة، ومعارضة وعدم تقبل، وليس هنالك ما يجعلنا نتوقع غير ذلك بصدد المستقبل.

نعم، إن سلطات كثيرة ستتفكك، ولكن بمعنى أنها ستغير وظائفها باتجاه تخليق سلطات ووظائف أكثر مرونة، وأكثر تكيفاً لتنوع المصالح والرغبات الإنسانية العامة. أي إن الخير الكامن سينفتح وينمو برغم كل السلبيات والاستخدامات الضارة اليوم، وبغض النظر عن عواطفنا وغيورتنا الراهنة على التقاليد - هذه الغيرة التي تكون قوة محافظة والتي بالطبع لا يمكن استبعادها - ولكنها ستسهم أيضاً، بل هي عنصر فاعل في تخليق وتطوير الخير الكامن في ثورة المعلومات الباهرة اليوم، برغم كل الطغاة والفاستين الذين يعملون على مصادرة الخير الإنساني العام فيها، شأنها شأن كل تقانة "تكنولوجيا"، وكل اكتشاف جديد قبلها.

3. ثقافتنا والثورة المعلوماتية: تمكين أكبر للبشر في المحصلة:

ينطوي الخوف من عواقب ثورة المعلومات والاتصال على تيار عاطفي خفي وقوي، يتمسك بثقافة وقيم ومفاهيم أخذت قاعدتها الاجتماعية والمادية والتربوية تتزعزع، وغداً بادياً للعيان أنها اليوم تترنح تحت وطأة قوى التقانة "التكنولوجيا" المعلوماتية والاتصالية، التي تلح علينا بالانفتاح، بالمعرفة والصوت والصورة. وإذا كنا قد تغيرنا عن آبائنا دون ضجة كبيرة كالحاصلة اليوم، فهل يمكن أن نتوقع غير ذلك بصدد أولادنا؟ إن الاحتمال الأكبر هو أن التغيير سيحصل، كما تتبئ وقائع تقدم تقانة "تكنولوجيا" المعلومات اليوم. وكما دهشنا بالتلفاز وتخوفنا من آثاره على حياتنا أول مرة، وتغيرنا برغم النقد والتردد، فليس هنالك ما يدعونا لاعتقاد غير ذلك بصدد ثورة المعلومات اليوم.

ستعيش الأجيال الجديدة في بيئة مختلفة تماماً، تعج بالحواسيب والصور والشاشات الذهبية والفضية والمعلومات والثقافات المغايرة، وسيغيرون وتتغير قيمهم دون شك، وليس في ذلك ما يدعو للقلق. لقد وقفنا من التلفاز سابقاً موقفاً مشابهاً، وكان تيار الخوف والنقد قوياً، بل عنيفاً. تماماً كما كنا بصدد الخوف من الشعر العربي الحديث مثلاً، والخوف من عواقبه على الشعر "ديوان العرب" والأدب واللغة والبيان العربي، وساد الشعر الحديث كما ساد التلفاز، وثبت أن الخوف لم يكن مبرراً، أو هو على الأقل لم يقدم ولم يؤخر. فهناك طوعية غير محدودة للطبيعة البشرية على التنقيف، والمستقبل البشري يمضي دائماً إلى أبعد، فلا يمكن إيقاف مسيرة الإنسان المحمل بهذا العتاد المعلوماتي نحو تغير أوسع وكمال أكبر.

وحين نأخذ باعتبارنا عمل الانسان الدائم على تحسين أوضاعه وشروط وجوده وعمله، فإننا في تتبعنا لتيار النقد القائم على الخوف من عواقب ثورة المعلومات، لن نحتاج إلى كبير فطنة، لنلاحظ أن هذا التيار بحاجة ماسة لنقد معاكس، قائم على النقاول، أي إلى نقد الخوف التقليدي من الجديد.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ولعله أمر أكيد أن ثورة المعلومات والاتصال قد أثرت وستؤثر بقدر أكبر وأسرع في حياتنا، وهي اليوم من أهم العوامل التي تعيد تشكيل خياراتنا وثقافتنا وأذواقنا وسلوكنا على المستوى العام والفردى. كما أنها وكأي عقار طبي لها تأثيرات جانبية ولكنها في غمرة فوائدها تجعلنا نهمل ذلك بعد مدة قصيرة.

إن خبرة البشر تؤكد أنه لم يحصل أن حدث تغيير في حياة أي مجتمع دون مقاومة على الإطلاق فلا بد من معاناة وطأة أزمة على المستوى الأخلاقي والثقافي والسياسي قبل التسليم بضرورة التغيير، وخلال ذلك يتضخم إحساسنا بالسلبيات.

ولكن سرعة التقدم اليوم لا تتيح إطالة التفكير في ويلات العالم وشروره، كما الأمر في سلبيات تقدم الاتصال وثورة المعلومات، ولا بالانحرافات التي قد تصاحبها. إن أقل تردد في الموافقة على مبدأ هذه السيرة يعني تأخراً أكثر.

ومن المؤكد اليوم أن اندماج تقانة "تكنولوجيا" المعلومات في وسائل الاتصال هو إحدى الأدوات الرئيسية للعلومة الراهنة بجوانبها المختلفة الاقتصادية والسياسية والثقافية. وأياً كان رأينا تأييداً وقبولاً، أو نقداً واعتراضاً، فإن ذلك لا يغير في الأمر شيئاً. فالمواقف العامة إزاء القضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية تتأثر بأنماط الاستهلاك الإعلامي المفتوح الذي يجعل الناس في مختلف أنحاء العالم يتنفسون هواءً جماعياً عالمياً إلى درجة كبيرة. ويتأثر الإعلام الغربي المتدفق، تنمو الاتجاهات المؤيدة للمساواة بين الجنسين كما تنمو الاتجاهات المؤيدة للممارسات السياسية الديمقراطية. فكيف نقوم بذلك؟ أهو أمر سلبي أم إيجابي؟

قد يجد بعضنا في ذلك إيجابيات رائعة، تنسب إلى إمكانات ثورة المعلومات والاتصال. ولكن ماذا عن الأنظمة المحافظة والأنظمة التسلطية المركزية وأيديولوجيتها؟ ذلك لا يحتاج إلى بيان. إذ إن مثل هذه الأنظمة ستقاوم حرية الوصول إلى المعلومات التي تتيحها الثورة الراهنة من اعتبارات سياسية أو مصالح خاصة للحكومة أو لغيرها من الجماعات المحافظة، ممن يخشون من كشف معلومات قد تضر بمصالحهم، أو قد تزعزع الاندماج الاجتماعي والسياسي، وغير ذلك

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

بنظرهم.

وهنا ترتفع حدة الحديث ووتيرته عن الأثر السلبي لثورة المعلومات والاتصال في الثقافات الوطنية أمام انعدام جدوى حجب المعلومات أو منعها، لأنها مسائل غدت غير ممكنة "فنياً" في الواقع. لقد حاول كثير من الحكومات، وتحاول، السيطرة على إمكانات الثورة المعلوماتية، من حيث التحكم في إتاحة المعلومات للمواطنين ولكن جميع فنيي الحاسوب "الكمبيوتر" والاتصالات، المحترفين والهواة اليوم، يشرحون لك أنه يمكن القفز بسهولة على هذه المحاولات والوصول إلى أي شبكة وأي موقع للمعلومات. ويمكن لأي شخص اليوم بامتلاك حاسوب "كمبيوتر" شخصي واحد أن يمتلك نظام اتصالات خاصاً به يمكنه من الاتصال مع الأقمار الصناعية أو تلقي الاتصالات بواسطتها.

باختصار، معلومات متاحة للجميع ولمجرد أن تريد ذلك وتسعى إليه، برغم كل أساليب ومحاولات المنع. بإمكان كل من يريد أن يعرف أو أن يقدم معرفة أو أن يعبر عن رأيه (الجيد أو السيئ) أن يشارك في حوارات حية بواسطة البريد الإلكتروني وعبر الشبكة "الإنترنت". وبإمكان الجميع أن يحصل على المعلومات التي يحتاجها برنامجاً وخطة عمله، من الحكومة إلى المعارضة إلى "الجماعات الإرهابية" إلى قراصنة المال عبر الشبكة الدولية، إلى المفكرين "الأحرار" في العالم إلى المولعين بنشر الفضائح.

إن تقانة "تكنولوجيا" معالجة المعلومات اليوم التي تراكم المعرفة البشرية بسرعة عجيبة، وتقانة "تكنولوجيا" الاتصال التي تعمم المعلومات في اللحظة نفسها حول العالم، تعدل على نحو جذري توازن المعلومات، وتثابر في تحويل هذا التوازن بعيداً عن الدولة في اتجاه الأفراد والجماعات الأخرى. وهي بذلك تخفض من مركزية الدولة وسلطتها. ولا يعني ذلك اضمحلال هذه السلطة بالضرورة، بل يعني أن طبيعة هذه الأنظمة وسلطتها ستتحوّل تدريجياً بعيداً عن التمرکز. ذلك أن أهمية تدفق المعلومات وحجمها وحرية تداولها يمكن أن يعمل كثقل مضاد للدولة، فالمعلومات والأفكار المتدفقة بحرية تكوّن قوة جديدة تتزايد في عملية ستقود في النتيجة إلى تقوية الأفراد

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

واضعاف الأنظمة المركزية.

إن تحرير المعلومات الذي تقوم به النّقانة "التكنولوجيا" الجديدة يغير العلاقة بين الحكومة والمواطن، بل بين حكومة ذات سيادة وحكومة أخرى. وعلى سبيل المثال فإن الدول التي كانت مغلقة سابقاً أمام التجارة لم تستطع ولم تعد تستطيع الانغلاق أمام المعلومات، وربما تصبح المعلومات، بهذا المعنى، وهذه أول مرة في التاريخ، أقوى من التجارة لأنها فتحت وتفتح المناطق السياسية والثقافية التي تعذرت على التجارة حتى عهد قريب. مع أن إملاءات النزعة التجارية هي التي تسود في النهاية على حساب كل الاعتبارات الأخرى. بحيث يمكن القول إن المعلومات تفتح العالم اليوم أمام التجارة في نفس الوقت الذي تشكل فيه عوامل ضغط داخلية وخارجية من أجل التغيير السياسي لمصلحة الليبرالية ومشروعها الاقتصادي السياسي، كما نخبر اليوم في جميع مناطق العالم.

قد يشكل كل ذلك سلبيات واضحة من وجهة نظر سياسية وأيديولوجية محددة، ولكن لا يمكن تعميم هذه الآثار باعتبارها أضراراً أكيدة، فذلك يتعلق بنوع الحكم والأيديولوجيا السائدة. فتقانة "تكنولوجيا" المعلومات يكون تأثيرها أكثر دراماتيكية في تلك الدول التي تعتمد فيها الهيمنة السياسية بقدر كبير على التحكم في وسيلة بلوغ المعلومات.

4. الثقافات التقليدية:

الثقافات التقليدية هي التي تركز بصورة أساسية على التقاليد والعادات المستمرة في حياة جماعة ما، بما يصاحبها من نظم القيم والأخلاق والتصورات والمفاهيم التي كانت تنتقل بالتوارث الاجتماعي وبصورة سلسلة بالتثنية والتربية عبر الأجيال، وهي نوع من تجربة متكاملة لنوع من الحياة ولنظام من القيم خاص بشعب محدد. وذلك يفترض حداً أدنى من تقنيات السيطرة على الطبيعة والمعارف العملية المكتسبة والقابلة للنقل، وعددًا معيناً من القيم المشتركة الضامنة لعيش مشترك.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فالثقافة التقليدية تشمل التقاليد والأعراف والقيم الثقافية ووسائل التكيف مع الظروف الطبيعية والإنسانية، وهي تتضمن أيضاً الحرف والصناعات اليدوية والعمارة التقليدية والزراعة ومختلف الطرق التقليدية المتبعة، كما لدى مجتمعاتنا في الطب الشعبي والتكافل الاجتماعي وطقوس الأفراح والأتراح... إلخ. وجملة المعارف والمفاهيم الشعبية حول مثل هذه المسائل.

وفي الحقيقة فإنه في كل مكان نجد فيه مجموعة بشرية متميزة، يكون ذلك بفضل نوع من استمرارية الاتصال بمثل هذا النوع من المكونات والتقاليد الجامعة، أي بنوع من الحياة الاجتماعية المشتركة، توفر لأفراد هذا المجتمع شكلاً من الانتماء الاجتماعي ونوعاً من الترابط والرضا والشعور الجمعي المشترك.

ولكن ما يميز الثقافة التقليدية هو بطء تغييرها ومقاومتها للتجديد، فهي تتصف بنوع من سيطرة الماضي وبقوة ضغط العادات والتقاليد على الناس، وينوع من السلطة والمراتبية الاجتماعية الصارمة. من ذلك ما نجده من استعمال عبارة "القديمة" بنفس معنى التقليدية عند كثير من الباحثين فيكتبون "الثقافة القديمة أو التقليدية".

ولكن مفهوم الثقافة التقليدية، كمفهوم الثقافة عموماً، متعدد ويُستعمل بأكثر من معنى ولأكثر من غرض، فنجد بعض المعاني يشدد على النواحي السلبية للثقافة التقليدية، وبعضها الآخر يبين قيمها الإيجابية:

أ. الأوجه السلبية للثقافة التقليدية:

فبعض المعاني توحى بالسلبية والتأخر والتخلف الاجتماعي، فعندما نصف الثقافة التقليدية بالانغلاق والمحافظة ومقاومة التجديد ورفض الآخر، فإن التقليدي عندئذ صفة لنوع من التفكير المتحجر الذي يعيق التقدم، والذي يفترض التخلص منه. فالمثقف التقليدي والطريقة التقليدية والذهنية التقليدية... إلخ كلها أحكام وعبارات تشي بانتساب أصحابها إلى الماضي وتقليدهم للسلف وتمثلهم لنظرتهم إلى الحياة برغم تغير الحياة. إن هذه الثقافة لا تتفاعل مع العصر ولا تجدد ذاتها وترفض الرؤى والمناهج الجديدة للعلوم الاجتماعية والإنسانية والفلسفية الحديثة، وتظل

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تعتمد على التأويلات والقراءات المتوارثة والمتواترة للنصوص وللأسلاف الصالح، ترفض ثقافة العصر، والآخر، وتقيد العقل بنصوص وتأويلات منقولة لم تتجدد النظرة إليها.

الثقافة التقليدية بهذا المعنى تمجد الماضي وتلح على رؤى الأسلاف وتصوراتهم، وتقليد وتطبيق حلولهم للمشكلات والمسائل القديمة الماضية على المسائل الجديدة الحاضرة، وفي الثقافات التقليدية عموماً تكتسب المفاهيم والتصورات والقيم صفة الثبات المطلق. وفيها يزحف الماضي إلى الحاضر كما يقول الفين توفلر. فيكون التراث والتقاليد والجماعة مرجعية مجانية مسلماً بها. وهي بذلك، أي الثقافة التقليدية، تكون ضد الثقافة الحديثة التي تنظر إلى الحاضر والمستقبل وتطلب الإبداع والمبادرة والتجديد والابتكار، واجتراح الحلول الجديدة للمسائل الجديدة والقديمة.

فالثقافة الحديثة هي وحدة ثقافية جديدة ومتميزة نوعياً عن الثقافة التقليدية، ينخرط فيها الأفراد من مشارب وأصول مختلفة دينية وجغرافية وعرقية وفقاً لعلاقات انتماء حديثة، تنقلص فيها الولاءات القبلية والأسرية والعشائرية السائدة في المجتمعات التقليدية وثقافتها لمصلحة مجال وفضاء عام يفوق تلك الأطر والبنى الضيقة التي يحياها الناس في الثقافة التقليدية. والثقافة الحديثة ترتبط بظهور الدولة الحديثة حيث يفترض أن تنتشر ثقافة القانون والنظام والدولة وآلياتها الحديثة، وتقلص فاعلية آليات الثقافة التقليدية وبنية التفكير والانتماء فيها¹⁶.

وهكذا يمكن القول إن الثقافات التقليدية التي ترنو إلى الماضي ثقافات محافظة ساكنة متأخرة، أما الثقافات التي ترنو إلى المستقبل فهي ثقافات إبداعية دينامية حرة متقدمة أو تقدمية وهي سمات الثقافة الحديثة.

انطلاقاً من مثل هذا التمييز بين الثقافة التقليدية والثقافة الحديثة ومواصفات كل منها، فإن كثيراً من أهم المنقبين والمفكرين العرب المعاصرين يرى أن ثقافتنا العربية الحديثة والراهنة هي

¹⁶ عبد العليم محمد، " رؤية ثقافية لمذبحة بيت علام " جريدة الأهرام، 16 سبتمبر 2002.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ثقافة تقليدية في جل مكوناتها. فيقول "فؤاد زكريا" في هذا الصدد: الناس في عالمنا وبحكم العقلية التقليدية التي توجه خطاهم يدعون إلى التثبيت بأكثر عناصر الماضي جموداً وتحجراً، إنهم يلونون الماضي ويشكلونه على هواهم. إن التيار الغالب في كثير من الأقطار العربية في الوقت الراهن هو ذلك الذي لا يختار من التراث إلا أكثر عناصره جموداً. ويشير "أدونيس" في أكثر من مناسبة إلى هذا الأمر وخاصة في كتابه "الثابت والمتحول" حيث يرى أن العقل العربي عقل متبع لا مبدع، وأن الثقافة العربية ثقافة اتباع لا إبداع. أما "محمد عابد الجابري" فكان قد توصل إلى أن العقل العربي استقال منذ مدة، وأن مشاكل الحاضر في ساحتنا الثقافية الراهنة ترجع في جزء كبير منها، إن لم يكن في معظمها، إلى مشاكل الماضي. ويؤكد "العفيف الأخضر" استعراق الثقافة العربية في التقاليد. حيث ما زال النقل في رأيه يكفر العقل في الفضاء العربي الإسلامي، وما زال التقليد يقطع الطريق على التجديد. والثقافة العربية ثقافة تحت سلطة النص وليس العقل، فنحن نقيس كل شيء على النص: الحياة والواقع والفكر والعمل والحاضر والمستقبل، كما يقول علي حرب¹⁷. ويرى المفكر العراقي عبد الله إبراهيم أن الثقافة العربية الحديثة رهنّت ذاتها بعلاقات امتثالية للثقافة الغربية، ولم تفلح في بلورة أطر عامة فاعلة تمكّنها من الحوار المتفاعل مع الثقافات الأخرى، ويرى أنه يجب التدقيق في الأسباب التي جعلت الثقافة العربية الحديثة، تتصف بالاستجابة السلبية للثقافة الغربية، ذلك أنّ تلك الاستجابة، بمظهرها السلبي الراهن، تشير إلى حالة ضмор خطيرة في مكونات الثقافة العربية، بما يجعلها تتدرج في علاقات ولاء وامتثال لغيرها، بعيداً عن واقعها التاريخي والاجتماعي الذي يُقصى ويُستبعد، وتحل مكانه سلسلة متصلة من أفعال المحاكاة والتقليد، ومنها اعتماد جملة من المفاهيم والمناهج والموضوعات المشروطة بعوامل تاريخية مختلفة¹⁸.

ولا داعي لأكثر من ذلك للتدليل على هذا المعنى، والموقف في الحقيقة، من الثقافة التقليدية

¹⁷ علي وطفه http://www.alarabimag.com/arabi/Data/2002/12/1/Art_58185.xml

¹⁸ عبد الله إبراهيم www.arabbeat.net/i/4th/01003.htm

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فجميع المفكرين العرب المعترين يؤكدون هذا المعنى وهذا الموقف من الثقافة التقليدية وسحب معناها على الثقافة العربية الراهنة.

ولكن هذه الثقافة التقليدية المشار إليها والتي يعممها بعض أهم المفكرين العرب بما يشبه الحزن والنعي على الثقافة العربية ستتعرض، بل هي تتعرض، للانزواء والتهميش تحت وطأة السيطرة الفائقة السرعة للتطورات العلمية والتقنية "التكنولوجية" في مجرى الحياة العربية الحديثة، وفي ظل الثورة المعلوماتية والاتصالية التي باتت تجعل أبعد البعيد عنا مكانياً، كما المستقبل، أقرب إلينا من حبل الوريد. بل إن الثقافة التقليدية هي اليوم في حالة دفاعية لا تحسد عليها.

ب. الأوجه الإيجابية للثقافة التقليدية:

بعكس المعنى السلبي السابق للثقافة التقليدية، ثمة مطلب "الحفاظ على الثقافة التقليدية" وذلك يشير إلى مستوى راق من التحضر، فهو يعني حماية مبادرات الشعب التقليدية (صناعات وحرف تقليدية، أبنية، أزياء، موسيقا، رقص، أدب، ألعاب، احتفالات، تقاليد الزواج ومواسم العمل والمناسبات الأخرى) من النسيان والاندثار خشية الانقطاع عن العمق التاريخي للثقافة وجذور الهوية.

والثقافة التقليدية بهذا المعنى هي ما يمكن أن نسميه الثقافة الشعبية، وهي كل تلك التقاليد والأشياء التي تمتلكها الجماعة أو المجتمع والتي يمارسها الشعب، والتي تتميز في معظم الأوقات بعفويتها وحميمية الممارسة التي تظهر بها. ومن مميزاتها ذلك الشعور العام بأنها من ابتكار الجماعة ومن إبداعاتها الحقيقية. وبسبب تصميمها الإبداعي المميز والشعور العاطفي الحميم بالاندماج، عند من يمارسونها من أبنائها، فإن ذلك يجعلها إحدى أهم ظواهر الثروة الروحية للأمة.

ولذلك فإن الثقافة التقليدية بهذا المعنى ذات أهمية كبيرة في حياة الجماعة أو المجتمع لما تكونه من عوامل التماسك والترابط الاجتماعي. حتى إننا نجد الجماعات أو المجتمعات الحديثة التشكل والتكوينات السياسية الحديثة (الأقطار والدول)، تتقرب في تاريخها عن الجذور المشتركة

لمواطنيها وقد تصنع من الأحداث العادية أساطير وطنية وأبطالاً تاريخيين، بل إننا نجد معظم الجماعات تتشدد في التمسك بثقافتها التقليدية حين تشعر بالخطر على كيائها وعلى هويتها الثقافية، كحال الجماعات والمجتمعات الإسلامية والعربية اليوم.

5. الثقافة الفرعية والثقافة الهامشية:

من بين المفاهيم المستخدمة في علم الإنسان "الانثروبولوجيا" وعلم الاجتماع، يكتسب مفهوم "الثقافة الفرعية" أهمية خاصة. حيث يشير علماء الاجتماع إلى أن المجتمعات الكبيرة الحديثة تتألف من جماعات مختلفة لكل منها مجموعة من المعايير والقيم الخاصة، مكونة ثقافة فرعية في إطار الثقافة العامة للمجتمع، توجه سلوك كل من هذه الجماعات وترسم لها أهدافها الحياتية. وهذه الثقافات الفرعية شأنها شأن الثقافات العامة، تلقن الشخص ما يجب عليه أن يفعله، وما يمكن أن يقوم به، وما لا يجب القيام به. وهذه الثقافات الفرعية تظهر عادة في المجتمع الذي يتميز بدرجة عالية من التباين، وذلك حين يتفاعل عدد من الأشخاص لديهم مشكلات متماثلة.

وتتميز هذه الثقافات الفرعية أفراداً ينتمون إلى مجموعات عُمرية مختلفة وطبقات اجتماعية ومهن متباينة، وجماعات دينية وعرقية عديدة، وأحياء ومناطق متفرقة، وغير متماثلة. ويذهب بعض دارسي الجماعات الصغيرة إلى أنه يمكننا أن نجد نوعاً من الثقافات الفرعية، وإنْ بقدرٍ محدود جداً، عند المراهقين، ومدمني الخمر والمخدرات، وجماعات المجرمين المحترفين والمنحرفين والمهربين، بل إننا يمكن أن نلاحظ، بهذا المعنى، ثقافات فرعية في المؤسسات التي تعنى بعلاج هؤلاء المنحرفين كالسجون.

يرى بعضهم أن جملة أنماط الثقافة المشار إليها، هي ثقافات متصارعة، على حين يرى آخرون أن المجتمع الواحد ليس له إلا ثقافة واحدة، تساهم فيها الطبقات والفئات بجانب معين، فالثقافة الخاصة داخل المجتمع ليست إلا جزءاً مكوناً في الثقافة القومية الواحدة، والصراع الثقافي بين الطبقات والفئات هو صراع تكاملي من أجل تطوير هذه الثقافة الواحدة. ورأى عدد من

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

علماء الاجتماع أن الثقافات الفرعية المختلفة، يمكن أن تسهم بتنوعها وتعددتها واختلافها في وحدة المجتمع وتكامله أكثر من إسهامها في تفككه وضعفه.

ويتصل مفهوم الثقافة الفرعية بمفهوم آخر هو **الثقافة الهامشية** ويتداخل معه، وهذا المفهوم يقصد به الثقافة المجاورة أو المتاخمة لثقافة أخرى أقوى وأكثر انتشاراً وحضوراً في السلوك اليومي للناس في مجتمع ما، أو يمكن القول إنها تلك الثقافة التي هي أفقر في مكوناتها التكيفية أمام التغيرات الجديدة، كثقافة البداوة في مجتمعات حديثة، أو تغذ السير باتجاه التحديث كحال معظم مجتمعاتنا العربية، أو كثقافة السكان الأصليين في أستراليا أو الهنود الحمر في أمريكا. فهذه ثقافات "تقع على تخوم حضارية متقدمة وسيرورة التغير الاجتماعي الثقافي ترهص بزوالها وتحولها تدريجياً إلى "فولكلور" أو ذكريات من الماضي".

6. الثقافة الجماهيرية:

من مفاهيم الثقافة الهامة الحاضرة اليوم هناك مفهوم معاصر هام لا بد من الإشارة إليه وهو **"الثقافة الجماهيرية"** (mass media) وهي تلك التي تنبثها بكثافة وسائل الاتصال الجماهيري ويشير هذا المفهوم إلى تلك العوامل الموحدة التي تنمو في مجتمع كبير غير متجانس، كأنماط الاستهلاك الجديدة والأغاني والرقصات والأزياء وأنماط السلوك، تنتشرها وسائل الاتصال الجماهيرية المتسارعة التطور. هذه الثقافة الجماهيرية هي جزء من عملية نمو توحيد القيم والاتجاهات الثقافية بين الناس في الوحدات الاجتماعية القومية، بل هي اليوم وبفعل التطور المذهل في وسائل الاتصال الجماهيري واندماج الثورة الإعلامية بثورة المعلومات عملية تجري على مستوى العالم وترسخ اتجاهاتاً للاقترب من التوحيد الثقافي على المستوى الكوني، وهي اليوم نوع من "استهلاك الثقافة الشعبية المعولمة"¹⁹.

¹⁹ بيتر ال. بيرغر، صامويل بي. هنتغون: عولمات كثيرة - التنوع الثقافي في العالم المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض 2002. ص 22.

ويشير مفهوم الثقافة الجماهيرية إلى نتاجات الأدب والفن والموسيقا والرياضة ومواد التسلية المختلفة، التي تبثها وسائل الاتصال الجماهيري والتي تؤدي فيها الصورة والدعاية الدور الأبرز. ومصطلح الثقافة الجماهيرية يشير في الأساس إلى تسهيل وصول الناس (الجماهير) إلى نتاجات الفكر والعلوم والفنون والآداب والتمتع بها، ومساعدتهم على الارتقاء بوعيهم الاجتماعي والسياسي، وتمكينهم من الانطلاق الروحي والانفتاح العقلي وفهم الحياة التي تدور حولهم. ولكن يرى كثيرون اليوم أن النزعة التجارية والعولمة والأهداف السياسية والايديولوجيا لم تبق على هذا المضمون النبيل والنقي للمفهوم والغاية منه، بل تحول الأمر في كل مكان إلى أن تكون الثقافة تجارة وسلعة في وسائل الاتصال، وتوظيفها لمآرب أقل ما تتصل بالنبيل وبأساس المصطلح وما وجد من أجله.

إن مفهوم الثقافة الجماهيرية يشير بحد ذاته إلى الثقافة السائدة المنتشرة وسط الجماهير، ولكن الكلمة تميل إلى الدلالة على نمط من الثقافة ينتج من وسائل الاتصال الجماهيرية، وهي في نظر الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي المعاصر ومؤسس "الفكر التركيبي" ادغار موران²⁰ الثقافة المنتجة حسب المعايير المكثفة للإنتاج الصناعي والمنتشرة بتقنيات التوزيع المكثف "الجماهيري" والمتوجه إلى جمهور اجتماعي، أي إلى تجمع ضخم من الأفراد، بغض النظر عن تركيبه الداخلي (الفئات، الطبقات، الأسر، الاثنيات...)

إن الثقافة الجماهيرية هي مفهوم الحياة وشكل تقييم الوجود والأيديولوجيا المعيشة، وهي بصورة عامة جميع المضامين النفسية الناتجة عن الاستعمال المكثف والحاسم لوسائل الاتصال

²⁰ ادغار موران فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي معاصر نشر نحو ثلاثين كتاباً من بينها «مقدمة إلى الفكر المعقد» و«مقدمة لسياسة إنسانية» و«يوميات كاليفورنيا» و«تأملات في أوروبا» و«الثقافة الجماهيرية» و«مايو 1968».. الخ. وهو يؤسس في كتابه الأخيرين (المنهج) أو الطريقة و"الفكر والمستقبل: مدخل إلى الفكر المركب" لما يسمى بالفكر التركيبي الذي يهدف إلى بناء معرفة مركبة حيوية وضرورية يفرضها عصر العولمة تقوم على إعادة تفكير وفحص منظمين للمعطيات الموروثة، ومنها الأخلاق في صلاتها بالمعرفة والعلم والسياسة والاقتصاد.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الجماهيري كما هي مستخدمة في مرحلة محددة. ويمكن النظر إلى الثقافة الجماهيرية من الزوايا التالية:

1. من حيث مضامينها وأشكالها ووسائلها واتجاهاتها وصلتها بالتغير أو التطور الاجتماعي.
2. من حيث هي نتائج أو عواقب في مجال الوعي الاجتماعي والفردى السياسى والاقتصادى والأخلاقى والدينى...
3. بصفتها هدفاً يحدد قيمه ويرسم أطره وتوجهاته النظام الاجتماعى - السياسى أو الاقتصادى السائد.

لأن وسائل الإعلام الجماهيرية تستهدف العدد الكبير من السكان، فقد كانت موضوع اهتمام جميع الدول والأنظمة وخاصة الأنظمة الشمولية، مما فتح نقاشاً واسعاً عنها في حقبة الستينيات من القرن الماضى. ويمكن أن نشير بهذا الصدد إلى "ادغار موران" في فرنسا عندما نشر كتابه الهام (الثقافة الجماهيرية) بما أثاره من نقاشات واسعة في فرنسا آنذاك.

يؤكد "ادغار موران" أن الثقافة تقف على مفترق طرق بين الفكر الرفيع المستوى والفكر المبسط والشعورى، وهي في نفس الوقت مهددة بمخاطر ما سماه (الصناعة الثقافية) التي ارتبطت منذ ذاك بوسائل الإعلام.

وقف الشاعر الفرنسى الاشتراكى المعروف لويس أراغون في كتابه (ثقافة الجماهير أو العنوان المرفوض) من موقعه السياسى والأيدىولوجى آنذاك مُضاداً للاعتراضات والترددات والتحذيرات التي يثيرها هذا النمط الجديد من الثقافة (الثقافة الجماهيرية)، باعتبارها ثقافة موجهة إلى (الجماهير) بما تحمله هذه الكلمة الأخيرة من هوى وثقل إيدىولوجى وسياسى لدى اليساريين والاشتراكيين عموماً.

أبدى آخرون قلقهم من القوة التي يمكن ان توفرها وسائل الإعلام الجماهيرية للدولة، ومن خطر الاحتواء الثقافى الذي يمكن أن تؤدي إليه. في حين حذر غيرهم من النزعة الرأسمالية التي تنتظر إلى الجماهير على أنهم مستهلكو سوقٍ يجب كسبها قبل كل شيء، وما يؤدي إليه ذلك من

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

نشر ثقافة استهلاكية. فقد أصبحت النزعة الاستهلاكية هي أساس الثقافة الشعبية ومهمة هذه الثقافة هي تشجيع الاستهلاك الجماهيري. ومنذ أوائل تسعينيات القرن الماضي يمكن ملاحظة كيف "أصبحت النزعة الاستهلاكية إيديولوجيا ثقافية جديدة، حتى في دول قوية اليوم، كالصين مثلاً²¹ فبعد تركيز الاستهلاك الجماهيري في الثمانينيات على التقانة "التكنولوجيا" المنزلية المادية، اتجه الاستهلاك إلى نشاطات أوقات الفراغ والهوايات وموسيقا البوب والرياضات الجديدة ووسائل الاتصال القمرية "السائل"، وكل ذلك يشجع الناس على الاستهلاك السريع، بحيث يمكن الحديث عن آلية لإعادة صياغة شكل تطور الثقافة الشعبية.

وهناك من أبدوا خوفهم من أن يؤول الأمر مع وسائل الإعلام وثقافتها الجماهيرية إلى تنحية الثقافة التقليدية (الكلاسيكية) العريقة والرفيعة، ثقافة الكتاب والمحاضرة والمطبوعات العالمية البارزة، ويصبح الإنسان تحت رحمة ما هو آني وعابر من الرؤى والصور والإعلان وألعبه في مهب الثقافة الاستهلاكية (التوجه الملحوظ نحو صناعة التسلية بدل إنتاج الثقافة وتوزيعها بمفهومها النبيل والراقي). لقد تغيرت الصورة الثقافية التقليدية وانقضى ذلك الزمن الذي كان فيه الكتاب والمحاضرة والأدب هي أداة الاتصال الثقافي الرفيعة المعتمدة وحلت محلها صورة أو لوحة ثقافية تشكيلية أخرى لم يعد فيها الفلاسفة والأدباء والعلماء ومنتجو الفكر الرفيع هم قادة الثقافة.

لقد تغيرت بذلك قوى التأثير الثقافي وتغير قادة الثقافة التقليديين. اليوم تتخلق قيادات أخرى ربما لم تستقر ملامحها بعد ولكن أبرز هذه الملامح هي ذهنية رجل الأعمال والمتعهد والوقت القصير والواقعية البراغماتية والإنجاز السريع. لقد صرح كثيرون منذ ذلك الوقت وحتى اليوم بخشيتهم من سيطرة السلطات العامة والدول ومجموعات الضغط على بث الأفكار والقيم والإيحاءات بدعوى توجيه التأهيل الثقافي ومراقبته باسم الجماهير أو المصلحة العليا للمجموعة أو مجرد المصلحة العامة، أو الاندماج الوطني والوحدة الوطنية، أو الأصالة والهوية أو عدم

²¹ يونغسيانغ يان: "العولمة المدارة: سلطة الدولة والتحول الثقافي في الصين" في: - بيتر ال. بيرغر، صامويل بي. هنتغون: عولمات كثيرة- التنوع الثقافي في العالم المعاصر، مكتبة العبيكان، الرياض 2002، ص 52.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

السماح للأفكار الهدامة والمستوردة... إلخ وعواقب ذلك في خلق كائنات آلية ومتطابقة ومناقضة للتنوع الإنساني وللحريات الفردية وإبداعاتها والتنوع الثقافي والديمقراطية.

هذه النماذج من الرؤى والحوارات بصدد الثقافة الجماهيرية ووسائلها أخذت مساحة واسعة من اهتمامات المفكرين والمتقنين في العالم طوال العقود الثلاثة الأخيرة، ولقد رأى بعضهم²² أن عبارات الثقافة والإعلام أصبحت في مواجهة حتمية. ذلك أن استعمال أجهزة الإعلام الحديثة يستبعد الخصوصيات الثقافية، ويعمم النماذج والآراء والأذواق وأنماط الحياة، ويدفع إلى التقليد الأعمى ويعيث بالضمائر من خلال الإعلانات والبرامج الموجهة²³. مما يؤدي إلى الإخلال بمقدرة الإنسان على الخلق والابتكار، والحد من قدراته العقلية على النقد والتحليل، والإخلال بشروط الخلق والإبداع الثقافي الرفيع.

ويرى أحد الصحفيين²⁴ أن أجهزة الإعلام يمكن أن تمس بالقيم والمبادئ العريقة والأصيلة. وأن أجهزة الإعلام يمكن استعمالها للبناء كما يمكن استعمالها للهدم، وهي تنافس منافسة شديدة وسائل التعبير التقليدية، مثل السرد الشفاهي للقصص الشعبية والتمثيل المسرحي والمنتيات الشعرية والجمعيات الموسيقية، وتحد من طاقتها على دعم الانسجام والتضامن داخل المجتمعات وربط اللحمة بين أعضائها. ذلك أن وسائل الإعلام الحديثة تضعف هذه الصلة فتقضي على قيم التعاون والتضامن المعروفة من قديم الزمان وتعوضها بنماذج مستوردة من الخارج بما فيها من سلبيات وتناقض. وهي تساعد من جهة أخرى على توجيه الرغبة إلى حاجات مصطنعة، وتؤدي إلى ظهور عقليات غير متمشية مع إمكانيات المجتمع ومناخه الطبيعي وقدراته الذاتية.

²² فلوراس وليا: كاتب مكسيكي، من وثائق اليونسكو سلسلة C.I.C نشرت في خلال السنوات 1977-1979.

²³ ألف الكاتب الأمريكي هيريت شيلر في نفس المدة كتاباً بعنوان بالغ الدلالة في هذا الصدد (المتلاعبون بالعقول) ترجم ونشر في سلسلة عالم المعرفة الكويتية 1986. ويمكن العودة إلى تحليلات مهمة في نفس الشأن عند "عواطف عبد الرحمن" في كتابها "قضايا التبعية الإعلامية والثقافية" 1984، كما عند "مصطفى المصمودي" في كتابه "النظام الإعلامي الجديد" والمنشورين في نفس السلسلة.

²⁴ مختار لوبيس، صحفي إندونيسي من وثائق اليونسكو سلسلة C.I.C نشرت في خلال السنوات 1977-1979.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الواقع أن القضايا الاجتماعية والسياسية والفنية الحرفية (بكسر الحاء) ووجهات النظر التي تثيرها الثقافة الجماهيرية هي من الكثرة والاتساع بحيث يتعذر حصرها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض المظاهر التي تصنف عادة بين ما هو سلبي وما هو إيجابي:

أ. **الأوجه الإيجابية للثقافة الجماهيرية:** حيث الثقافة الجماهيرية معروضة للجميع تشترك مجموع الناس في القيم الثقافية الشاملة والمتنوعة المرسلّة عبر وسائل الاتصال، وهي تنشر الثقافة العامة، وتدفع الأكتريّة باتجاه اعتماد قيم حضارية معينة وموحدة (بكسر الحاء) فتساعد في الاندماج الاجتماعي والوطني، وتدمج الطبقات والفئات الاجتماعية، وتتيح التقارب والاتصال بينها، وتسهل العلاقات الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية أو الجماعات الاجتماعية المتخالفة، بل أشار إليها بإطراء، الوزير والأديب والمفكر الفرنسي الشهير "أندريه مالرو"²⁵ باعتبارها يقظة وجدان الجماهير التي تميز عصرنا، وبفضل وسائلها المتطورة صارت المعرفة والثقافة للجميع وليس للحظيّين فقط، وجرى تقارب سلسلة من العوالم والأمم والشعوب والمشاهد لم يكن من الممكن الوصول إليها في السابق، وقد أصبحت الآن معروفة ومتقاربة إلى حد مذهل.

والثقافة الجماهيرية بإتاحتها للمعرفة والتنوع الثقافي والرؤى الاجتماعية المتنوعة، تخفف التعصب وتخفف التمرّكز على الذات وتسهل قبول الآخر. والثقافة الجماهيرية من جهة أخرى تعطي قيمة لأوقات الفراغ، وتملأ تخوم الحدود الاجتماعية المادية بين السكان وتثري الوجود الاجتماعي للناس.

²⁵ 1901-1976، من أعلام الثقافة الفرنسية في القرن العشرين. وهو لم يشتهر فقط بسبب رواياته وكتاباتاته عن الفن والسياسة والحضارة، ولكنه كان رجلاً ثورياً، رحل في العشرينيات إلى الشرق الأقصى مناهضاً للاستعمار، واشترك بالقتال في الحرب الأهلية الأسبانية، كما اشترك في المقاومة الفرنسية للنازي، ليصبح بعد عام 1945 اليد اليمنى للجنرال شارل ديغول ووزيراً للإعلام ثم وزيراً للثقافة عام 1959. له أعمال ومؤلفات كثيرة جداً ومن أهم مؤلفاته "إعراء الغرب"، "قدر الإنسان"، "سقوط السنديان"، "الوضع البشري"، "قيود يجب تكسيها"، "عابر سبيل"، "مرآة البررة".

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إن وسائل اكتساب الثقافة اليوم هي من التطور والتضاعف والتنويع والاتساع والكمال، بما يسمح بوصول الجميع إلى الثقافة والتمتع بها واكتسابها، بعد أن كانت محصورة في فئة قليلة من الناس. لقد أصبحت المشاركة في الثقافة ميسرة على نحوٍ عجيب، فما الضير في ذلك؟

ب. **المظاهر السلبية للثقافة الجماهيرية:** يرى بعضهم أن الثقافة الجماهيرية هي ثقافة منفصلة، متلقاة، وهي تنزع إلى إيجاد نوع من الإنسان لديه فقط وضع المتفرج والمتلقي بسيطرة السمعي - البصري وقوة الصورة اليوم. فالثقافة الجماهيرية ليست اصطفاوية وليست نوعية، بل هي تقدم ما يرضي الأكثرية، أو كما كان الحال سابقاً²⁶، تعزز التوافق مع الرأي الواحد والشخصية الواحدة كما في النظم الشمولية والديكتاتورية وتستر الفساد واللامساواة، وتميع التناقضات الاجتماعية بين فئات المجتمع.

والثقافة الجماهيرية قد تهدد ما يسمى "الثقافة الرفيعة" في المطبوعات العالمية البارزة، أو هي في المضمون المركز دون مستوى التعليم الكلاسيكي والكتب والمنشورات والمسرح والفنون والمعارض والمحاضرات و"هواية المطالعة".

وبالحيز الكبير الذي تأخذه وسائل الإعلام الجماهيرية، فإنها تستنفد الفراغ وتستنفد الوقت اليومي، فتجعل الكل يشكو من ضيق الوقت!! وتجعلنا نجد مثقفاً يقول بأنه لم يعد لديه الوقت للقراءة، أو لم يعد لديه فراغ للكتابة!!.

والثقافة الجماهيرية بسيطرة قانون السوق تصبح خاضعة للتجارة ومعايير ما يحقق ربحاً فتخلق حاجات جديدة "مزيفة" وتسهر على تكوين ناس "متغذين" مستهلكين، وتصنع بنزعة التجارة والربح مجالاً وهمياً من الرفاهة المتاحة، ورؤى وأحلاماً تستلبد الوجود الحقيقي والواقعي للبشر. وفي هذا العالم الاستهلاكي كما يقول "ادغار موران" لا يقاد مجتمعنا بعقلانية اقتصادية وإنما يقاد

²⁶ نقول "سابقاً" لأن هذا الأمر لم يعد ممكناً بعد اليوم مع ثورة وسائل الاتصال والمعلومات التي جعلت الناس في جميع أنحاء العالم يتنفسون هواء جماعياً إلى درجة كبيرة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

مدفوعاً بجدلّية الحاجات التائهة والقوى العمياء.

ومع الثقافة الجماهيرية استناداً إلى كل هذه السلبيات يمكن القول إنها تحتوي الناس بدلاً من أن يحتووها. وفي هذا الصدد يشير بعضهم إلى ما يصفه بالثقافة الإلكترونية التي أدت إلى أن "ازداد تيار الثقافة الاستهلاكية.. التيار الذي لا يخضع لِسوى قانون قوة الطلب العام في السوق المتحالف مع سياسات الاقتصاد، وما من شك في أن تزايد هذا التيار يخلق ثقافات متباعدة لأنه يفرز الأشكال الثقافية ومنتجاتها إبداعية وغير إبداعية، وفق معايير ثقافة السوق وحدها" وما يؤدي إليه ذلك من التخلي "عن سياسة دعم الثقافة والتخطيط لها عبر وسائطها التقليدية المعروفة مثل: التشريعات الثقافية، الكتاب، وسائل النشر، المسرح (الفرق المسرحية الأهلية)، الجمعيات الثقافية الأهلية. وذلك بحجة ارتفاع التكلفة المادية للدعم، على حين الواقع الحقيقي لذلك هو غياب الرهان على الثقافة، وعدم الاحتكام إليها في استراتيجيات الإعلام"²⁷

ومع تقانة "تكنولوجيا" بث الثقافة الجماهيرية البالغة التقدم، يبشر بعضهم بهزيمة الثقافة في عصر البلاغة الإلكترونية، الذي يشبهه "بنجامين باربر BARBER" بالشعبان الكبير الذي يلتهم مجموع الأرناب واحداً بعد الآخر²⁸.

ويتحدث بعضهم عن خطر وسائل الإعلام الجماهيرية، بوصفها وسيلةً من وسائل كسب الثقافة، في تشجيع ثقافة سلبية تدفع إلى اللامبالاة والكسل، والحط من قيمة التركيز والانتباه والذاكرة، في حين أن من واجب الثقافة أن تكون في جوهرها دينامية ونشطة. فمهما تكن إتاحة الثقافة للجميع مهمة محدودة، إن هذا الأمر يجب ألا يجري تنفيذه على حساب نوعية الثقافة والارتقاء بالعقل.

²⁷ إبراهيم عبد الله غلوم: "الثغرة الثقافية في الإعلام" <http://www.balagh.com/thaqafa/mz0q7h6i.htm>

²⁸ بنجامين باربر، ثقافة "الماك وورلد" في مواجهة الديمقراطية، لوموند ديبلوماتيك، آب / أغسطس 1998.

ج. مستقبل الثقافة الجماهيرية:

بعد كل ما سبق، ما احتمالات مستقبل الثقافة الجماهيرية؟ لا شك أن التصنيف السابق بين ما هو سلبي وما هو إيجابي في الثقافة الجماهيرية، يستبطن أحكاماً قيمية وإيديولوجية مختلفة، ولذلك فإن ما يدخل ضمنه نسبي ومتغير إلى درجة كبيرة، وفي كل من الرؤيتين السابقتين ما يمكن أن يكون ثابتاً وما يمكن أن يكون متغيراً، ولكن لعل الثابت في أمر وسائل الاتصال الجماهيري والثقافة الجماهيرية التي تبثها حتى اليوم، هو اتجاهها لأن تكون متروكة للحركة الحرة لمعايير التجارة، ولا يبدو في الأفق ما يبطل هذا الافتراض، مما يولد التساؤل المعرفي والفلسفي في علوم الإنسان عن النموذج الإنساني الذي يمكن أن تؤدي إليه سيورة الثقافة الجماهيرية الراهنة*.

حقاً إن ثورة وسائل الإعلام الجماهيرية السمعية - البصرية، التي تشكل أداة الثقافة الجماهيرية قد تشكل بالفعل تهديداً نوعياً للمطبوعات العالمية البارزة، ولكن هذه الثورة من ناحية أخرى يمكن أن تكون لها أهم النتائج في مجال نشر الثقافة وتوسيع فعاليتها وحجم الوصول إليها والمشاركة فيها. وهذه الثورة لا تزال جديدة نسبياً حتى نتمكن من تحديد السلبي والإيجابي فيها، فضلاً عن نسبية ما هو إيجابي وما هو سلبي، فهو سلبي بالنسبة لمن، وقياساً بأي نموذج، ووفقاً لأي معيار؟.

* صديقي الأستاذ الكهل في كلية الهندسة يشكو من أن طلابه لا يجيدون العمليات البسيطة في القسمة واستخراج النسب المئوية وغيرها بسبب استخدامهم للآلات الحاسبة التي تختصر لهم الوقت. وزميلي في قسم علم الاجتماع يشكو من قلة عودة طلابه إلى المراجع العريقة واعتمادهم على الإنترنت، في الحصول على ما يريدون لإعداد وظائفهم ومشاريع بحثهم. جاري يشكو من أنه لم يعد يستطيع التمتع بالاستماع إلى فيروز ووديع الصافي وعبد الوهاب وأم كلثوم بحرية في منزله لأن أولاده يفضلون الاستماع إلى أشياء أخرى سخيفة برأيه. ولكنني وجدت دائماً عندما أعد أي بحث أو مقال أنني أهرع إلى الإنترنت لأثبت بعض النصوص والإطارات المعينة للقارئ؛ وقد وجدت في ذلك متعة وسهولة وسرعة مفيدة جداً.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إن أولئك الذين يخشون انحطاطاً للثقافة من عواقب هذا التطور السريع في إرسال الصوت والصورة وبثها، هم أناس ذوو ضمائر حية نبيلة وحرّة حريصة على النوعية، وإن كان الأمر لا يخلو لدى بعضهم من الانطلاق من نزعة محافظة، والأمر نفسه يخص أولئك الذين قد يرون فيها ديمقراطية ومشاركة أوسع وتفتحاً لإمكانات إنسانية رائعة. ثم إنّ عصرنا وأنماط أعمالنا وفراغنا الراهنة ربما لم تعد تأتلف مع التأمل والكتاب والمحاضرة الطويلة.

ولكن أيا كان الأمر بين هؤلاء وأولئك فإن الثقافة الجماهيرية ووسائل الاتصال الجماهيري والصناعة الثقافية المتصلة بذلك، غير عابئة، تغذ السير في اتجاهها الصاعد، وربما تدل على هجر شكل تقليدي من الثقافة وأدواتها، ورسم مرحلة تاريخية جديدة من المعرفة والاتصال الثقافي، كما رسمت ذلك قبلها الكتابة التي نقلت الإنسان من مرحلة الشفاهية²⁹، وكما فعلت بعدها الطباعة والكتاب؛ بل من الممكن أن نتنبأ بأن الخطوط العريضة للتطور الحالي في الثقافة والوسائل الجماهيرية في تعميمها سوف تتابع مسيرتها، بل إنها ستتسارع أكثر.

²⁹ والتر أوج، الشفاهية والكتابة، سلسلة عالم المعرفة، العدد 184، فبراير 1994.

اللغة والاتصال والتداولية

د. عبد الله أبو هيف

جامعة تشرين

تؤثر اللغة كثيراً في الاتصال، إذ تجب العناية الفائقة بعمليات التواصل اللغوي من خلال المعرفة العلمية وممارستها في الوظائف وفاعليتها وقابليات تلقيها، ويستند ذلك إلى وعي التداولية Pragmatics، ووظيفتها الباعثة للسياقية أو الواقفية عند تفسير العلامات اللغوية في المعنى ومعنى المعنى أو ما وراء المعنى، على أن المستوى التداولي "هو تفسير العلامة في ضوء محكات مثل: الملاءمة والاتفاق، وما شابه ذلك"⁽¹⁾، وتتعمق الدلالية، وتقترن بالتداولية، كلما فعلت اللغة في وظيفتها المتعلقة بالتحفيز، أي تنامي الفعلية في النص أو الخطاب وسياقاتها المختلفة، غير أن هذا التوظيف اللغوي محكوم بعمليات البث وتلقيه، بما يفيد أن الاتصال اللغوي ارتهن بتلقي التداولية، عند مراعاة لسانيات الاتصال.

1. مقومات الاتصال والتلقي وأبعاده

يستند الاتصال إلى اللغة والتلقي ضمن أبعادهما العديدة مثل وظائف اللغة ولسانيات الاتصال والبلاغة والإبلاغية والمجازية المطلقة.

1-1 الاتصال ووظائف اللغة:

يقوم الاتصال على وظائف اللغة حسب طبيعة الخطاب وتشابكاته في التأمل أو الحوارية أو

¹ تشاندلر، دانيال: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميو طيقا) (ترجمة وتقديم: شاكراً عبد الحميد) أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002، ص 159.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التعبير الخاص أو المشترك، مثلما تلتزم الوظيفية الاتصالية بالتركيب الثلاثي: "الذات والموضوع والوسيط اللغوي"⁽²⁾. وتتكون سيرورة الاتصال من التشفير أو التسنن Code إلى قناة الاتصال لإبلاغ الرسالة وفق عناصرها السياقية والمضمونية، وقطبا الاتصال هما المرسل والمتلقي فيما تبثه اللغة، وثمة شروط للوضعية الاتصالية، منها:

- 1- تحديد المشاركين في الاتصال وتمثيل دورهم في أنا (ego) مركزاً للتلفظ.
- 2- الأبعاد الفضائية، الزمنية، للملفوظ أو السياق الموضوعي، ويتفرع عن الشرط الثاني تبعاً لطبيعة العلاقة ما يلي: العلاقة بين زمن التلفظ وزمن الملفوظ، العلاقة بين الذات وموضوع الملفوظ، العلاقات البيولوجية والتاريخية بين المتكلمين"⁽³⁾.

وتفيد اللسانيات في الاتصال عند فهم الأبعاد التالية بين المرسل والمرسل إليه: السياق والرسالة والاتصال والشفرة، إذ يظهر السياق تفاعل اللغة بالوضعيات الاجتماعية والنفسية وعناصر التمثيل الثقافي، على حين تحتوي الرسالة هذه السياقات في التأليف النصي وملفوظيته، ويتحدد الاتصال بوظيفية اللسانيات المعرفية Cognitive والتعبيرية Expressive والإفهامية Cognitive والانتباهية Phatique والميتالسانية Metaliguistigue والشعرية Poetique، حسب تنظير "رومان جاكوبسون" الذي وضع ترسيمة للاتصال الأدبي، وهي الكُثرى تعمقاً في الدلالة، لأن الأدب تعبير غير مباشر، وهناك عوامل ستة ترسم الاتصال الأدبي الخطي أو المكتوب، أولها المرسل أو المؤلف الذي يؤدي إلى مغالطة القصد عند إطلاقه للأحكام أو المقاصد من خارج النص أو الخطاب المكتوب، وثانيها المرسل إليه أو المتلقي فيما يقرر أو يفسر أو يؤول النص من داخله، وارتقى التلقي عند المتلقي إلى مدى الاتصال بالمروي له في النص، وثالثها الرسالة لدى فهم المتلقي للحقول الدلالية في فضاءاتها التي تتشكل باللغة، ورابعها قناة الاتصال، وتتكون من مجموع العمليات اللغوية كتابية وقراءة، وخامسها المرجع، وهو ما تتحدث عنه

² ناصف، مصطفى: اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة 193، الكويت، كانون الثاني 1995، ص 28.

³ الغزالي، عبد القادر: اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، اللاذقية، 2003، ص 27.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الرسالة، وما يُحال إليه المتلقي، بيئة أو كائنات أو أشياء، وبضياء هذا المرجع وظيفة اللغة، وسادسها الشفرة، وقوامها "نظام العلامات وطريقة استخدامها بحيث يمكن للمرسل أن يصدر رسالة يفهمها المرسل إليه" (4).

إن للاتصال مستويات عديدة، أولها الاتصال الذاتي Intra personal Communication، وتتفاعل وتأخذ مكانها داخل المرء نفسه، وثانيها الاتصال بين الأشخاص Intr personal communication، وهو مباشر في المواجهة أو الحوارية أو التفاعل بين هؤلاء الأشخاص، ويؤدي إلى وظائف كثيرة كالمشاركة المتعاطفة أو منع الاتصال أو تحقق وظيفة التسجيل والَبَث، أو الاتصال الذرائعي ذي الفائدة، أو اتصال المشاعر، أو اتصال التطهير، أو السحر، أو الطقوس (الشعائر)، وثالثها الاتصال الوسطي Media Communication الذي يربط بين اتصال المواجهة وبين الاتصال الجماهيري، ويشتمل على تقانات كثيرة مثل الهاتف والتلكس والرادار والإذاعة... الخ، ورابعها الاتصال الجماهيري باستخدام وسائل الإعلام الجماهيرية Mass Media Communication ووسائلها المختلفة التي تطوّر معها هذا الاتصال شأن تقانة الطباعة، واختراع السينما والإذاعتين المسموعة والمرئية، وتقديم التعليم المهني للإعلام، والتقدم الهائل في التقانات الإلكترونية والأقمار الصناعية والحواسيب وغيرها. (5)

ثم تنامت مستويات الاتصال وأنواعها مع تطور المعلوماتية والثقافة الرقمية، ومنها دائرة الاتصالي Circuit of Communication المتصلة بعمليات الاتصال الجماهيري، وهي لحظات الإنتاج، والَبَث أو النشر، والتوزيع أو الاستهلاك، وإعادة الإنتاج، والاتصال التزامني Synchronous Communication، وهذا نوع من الاتصال يمكن المشاركين فيه أن يتواصلوا أو

⁴ فريس، ريمانويل (وبرنار موراليس): قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، (ترجمة لطيف زيتوني)، عالم المعرفة 300، الكويت، فبراير 2004، ص 46.

⁵ انظر: أبو أصعب، صالح خليل: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، آرام للدارسات والنشر والتوزيع، عمان، 1995، ص 9-22.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يتخاطبوا في الزمن الواقعي، دون تأخير يذكر، والاتصال غير المتزامن أو غير الآني Asynchronous Communication، الذي يختلف عن الاتصال الذي يحدث في الزمن الواقعي الخاص بالحياة اليومية العادية، حيث يربحاً المردود أو العائد Feed back بشكل ملموس، بدلاً من أن يكون هذا المردود ممكناً بشكل مباشر أو فوري، ويحدث هذا الاتصال بواسطة النص اللغوي والرسوم المتحركة والوسائط السمعية البصرية، ونموذج الاتصال الخاص بتكوين الشفرات وحلّها Encoding And decoding model of Communication، ويستند إلى نموذج الاتصال المتبادل بين الأشخاص، حسب جاكوبسون، ويقوم على بثّ الرسالة فقط، وإبراز أهمية المناسبة، وفي سياق اجتماعي معين، ونموذج البثّ أو الإرسال في عملية الاتصال Transmission model of communication ويبيّن فيه المرسل رسالة ما لمستقبل ما، وهي صيغة تختزل المعنى إلى مضمون أو قصد، ويدخل في حساب الاتصال أهمية السياق الاجتماعي.⁽⁶⁾

لا يخفى أن الاتصال ضابط لوظائف اللغة في منظوراته الظاهرة أو الكامنة، وقد تطورت هذه المنظورات كثيراً بالنظر إلى طبيعة الوسيط اللغوي وآلياته وتقاناته التي صارت إلى خصوصيات مجتمع المعرفة والثقافة الرقمية خلال العقدین الأخيرین.

2-1 لسانيات الاتصال:

تعتمد أنواع الاتصال على اللغة أو الأسلوب أو الاتجاه أو الإدارة والتدبير، والاتصال باللغة لفظي نطقاً وكتابة وغير لفظي إشارة وأداء وتعبير الأشياء المستعملة، أما الاتصال بالأسلوب أو الاتجاه أو الإدارة والتدبير فيستند إلى اللغة غير المباشرة.

وتتطلب عملية الاتصال مجاوزة التشويش اللغوي في مداراته المعنوية أو الدلالية والمعرفية أو المادية أو التقنية، ويتألف الاتصال غير اللفظي من لغة الأشياء والمعاني والإشارات والحركة، أما الاتصال اللفظي فيتألف من اللغة المنطوقة والمكتوبة والمرسومة من أجل استقبال المعلومات

⁶ انظر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات، مصدر سابق ص 58 و 230.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتفاعل معها إلى جانب أنها تتيح لنا تحديد المهارات اللفظية المطلوبة أثناء التفاعل والاتصال بالآخرين". (7)

تتكون لسانيات الاتصال من **العقلية** عند ثراء الفكر في الخطاب أو النص، و**الفضاء الزمكاني** الذي يُدغم الخطاب أو النص في أنساقه الزمانية والمكانية وتتألفها مع عناصر التمثيل، والثقافي، و**التمثيل الذاتي** نحو جدل الوجدان والمعنى وتجسيدها في وظيفية اللغة.

تفعل اللسانيات الاتصال كلما ارتبطت بالمنهجية والعلمية والمعرفية، وفي مقدمتها المدرسة النسقية التي رسّخها الدنمركي "لويس هلمسليف"، وتعامل فيها اللغة مستقلة، ومن شأنها أن تفصح عن المدلولات بفهم الشبكة اللغوية وتراكيبها ووظائفها، من اللفظ إلى المعنى، والمدرسة الوظيفية حسب مدرسة براغ التشيكية، تنتقل فيها التراكيب المعجمية والنحوية إلى الصيغ الصرفية وعلم المعاني وشبكات التعبير المتحولة في نسيج علاقاتها من الإخبار إلى الإنشاء لدى ضبط آليات إنتاج الخطاب أو النص، والمدرسة التوزيعية التي أنشأها "بلومفيلد" في الولايات المتحدة الأمريكية، ويرتئ فيها التركيب اللغوي بالمعنى وبترتيب أجزاء الكلام في المبنى وآفاق توظيفها النحوي بالدرجة الأولى، من أجل "تنظيم الرسالة نحويًا" (8)، واستفادت التوزيعية من الدراسات الصرفية (الوحدة الصرفية) والنظمية Syntactic دخولاً في الإجراءات الآلية، ولاسيما الترجمة.

3-1 البلاغة والإبلاغية:

سرعان ما تدخل اللغة في البلاغة كلما حضنت الفكر وعناصر التمثيل الثقافي المكونة من الأعراف والطقوس والتقاليد والأديان والمعتقدات، وتباين تشكل الكلمات من السطح إلى الأعماق، لتزداد المجازية والتحويلية في الاتصال، مما يستلزم فهم مكونات البلاغة لتيسير الإبلاغية ضمن

⁷ عامر، سكيئة إبراهيم: فنّ الاتصال بالآخرين، دراسة في السلوك الإنساني، دار نون للتدريب والاستشارات، بنغازي، 2001، ص 168.

⁸ إفينش، ميلكا: اتجاهات البحث اللساني (ترجمة سعد مصلوح ووفاء فايد)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996، ص 289.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

عمليات الاتصال، وتتشكل البلاغة الإيجازية من ثراء المجاز وانزياحاته، ومن التكتشف واقتصاده، ومن البديع والبيان والمعنى ونظمه، ويتطلب الاتصال بعد ذلك إجراءات التلقي في الكشف عن القدرات غير المباشرة في الخطاب أو النص، إichاء أو تعبيراً أو إيجازاً، وتشمل الأدبية التي تصاغ لغوياً، وتبتعد عن سطح الكلام إلى وحدة عضوية كاملة، وتتفرد معانيها ودلالاتها في عملية التلقي. على أن الوضع اللغوي البلاغي خاضع للتفسير والتأويل في مدى الإبلاغية من حدود الحقيقة اللغوية إلى رحابة المجاز والاستعارة التي تنمّر الأمثلة والأسطرة والرمز والعلامة من جهة، والمشابهة والمجاورة والمفارقة من جهة أخرى، و تنقل البلاغة الخطاب أو النص من الحقيقة، بتعبير الجرجاني، إلى المجاز والاستعارة، وتفصح الإبلاغية في الاتصال عن البصيرة اللغوية في التفسير والتأويل.

ولو تأملنا قليلاً في العلاقة بين اللغة والأمثلة لوجدنا أن الأمثال شديدة الإيجاز والمجاز، والمفارقة نحو التعبير غير المباشر عن المعاني والدلالات، وتصير الأمثال إلى أمثلة كلما انخرطت في السياق الثقافي والاجتماعي والتاريخي لصوغ المغزى أو القصد الكامن في الخطاب أو النص، ويندر أن يوجد مثال لا يستند إلى التمثيل اللغوي الثقافي، ولا سيما الطقوس والأعراف والتقاليد، مثلما يتعالق مع المحاكاة والتخييل والإلهام في إعادة إنتاج التقاليد الثقافية، وتعمق بلاغتها في الإبلاغية في مدى استعمال المثل أو الأمثلة في هذا الخطاب أو هذا النص.

ترتقي البلاغة في فضاءات اللغة والأسطورة، من مجرد اللفظ إلى التأليف اللغوي، فهناك رموز عديدة في الأساطير ألفاظاً وتراكيب ونصوصاً، كما هي الحال مع رموز الخصب والجذب أو رموز الطبيعة وفصولها أو أسماء أعلام وتجارب بشرية لا تنتهي، شأن التعامل مع الريح أو الهدهد أو اليمامة أو الحية أو العنقاء أو الاستسقاء أو الكون أو الحجر أو النار أو البقرة أو النسر... الخ، وهذا كلّ مرهون بضبط العلاقة بين البلاغة والإبلاغية في سيرورة الاتصال.

1-4 المدى البلاغي والإبلاغي في الاتصال اللغوي:

تتعمق دراسة الأسطورة في مداها البلاغي والإبلاغي كلما جرى الإمعان في تحديد مكانتها في الفكر الإنساني وخصائصه الثقافية المصوغة لغوياً في المستويات جميعها، من الأصل إلى قواعد الاستصحاب والردّ إلى الأصل، وثمة تأثير بالغ لهذه القواعد في المعنى اللغوي الظاهر والعميق من تعاقبية المعنى إلى تشكيلاته الملفوظية، معجماً ومصطلحياً، وهي لا تخرج عن دلالات الأسطورة في مستوياتها الدينية والسحرية والبدائية والاثنية، ولا تغفل عن تشابك الملفوظية مع تمثيلات الصورة والرمز والإشارة والمسميات والأوصاف... الخ، في طبيعة الأسطورة وتمثيلها لعناصر التمثيل الثقافي برمتها في زمنها مما تستنطق به الإبلاغية بلاغة الأسطورة ضمن الاتصال اللغوي المتفهم لقيمة الأسطورة في الرؤى الفكرية والفنية.

لا تفتقر الأسطورة عن الرمز والترميز أيضاً في الاتصال اللغوي، وقد ارتبط مفهوم الرمز في اللغة العربية بالإشارة والإحياء والإيماء بالملفوظية بالشفيتين أو العينين والحاجبين والفم واليد... الخ، على حين أفاد البلاغيون العرب أن الرمز "هو ما أخفي من الكلام"، حسب قول قدامة بن جعفر⁽⁹⁾، ثم تعالق الرمز عند البلاغيين الحديثين بالدلالة عند تفريد المستويات اللغوية وسياقاتها النفسية والاجتماعية والأدبية واتصالها بالتراث وصياغاته والمواضعات التاريخية والواقعية، و يدخل الرمز في مستوى الكلام والخطاب بما هو أكثر تعقيداً من المستوى اللغوي (الأصل ثم المعجم الأصلي)، وفهم الرمز بعد ذلك مرتين بالاتصال اللغوي الذي يوظف اللغة في علاقات خاصة داخل النص أو الخطاب من أجل تواصل المتلقي مع إشارات الرموز أو إحياءاتها أو إيماءاتها ومدى قدرته على تجريد المحسوس وتشخيص المجرد، لأن الرموز تعتمد على "المبادلة بين المحسوس والمعقول والاتخاذ من الأشخاص والموضوعات والحركة الحوارية والقصصية

⁹ انظر: بدوي، طبانة: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د.ت)، ص 106.

رموزاً للأفكار والمعاني" (10).

إن الرمز شديد التوظيف في البنى النصية والخطابية تعمقاً في فهم الدلالة ووعياً، وتفريج النص أو الخطاب عن غموض المعنى أو استحضار ما وراء المعنى في الوقت عند إدراك ذلك المدى البلاغي والإبلاغي القصي عن ظاهر اللغة أو سطح الكلام.

أما صيغ البلاغة المجازية والاستعارية فهي أكثر تأثيراً في الإبلاغية لضمان مسارات الاتصال عند إدراك السياقات النفسية والاجتماعية والثقافية في مجالات المجاز والبديع والبيان والمعنى، على أنها متعلقة بدلالة الألفاظ في النطاق الأبسط، وهذا واضح في المجاز المرسل وأشكال البديع كالجناس والطباق، وبالتراكيب والمعاني في النطاق الأعمق، ويتبدى ذلك في المجاز الذهني وأشكال البيان للمعنى، وتقضي هذه البلاغية إلى الوظيفة اللغوية وخصائص الكلام البليغ الذي يربط الألفاظ بأقدار المعاني، حسب قول الجاحظ (11)، وصارت البلاغة إلى تفكير بلاغي عند فهم إبلاغية التشبيه أو الاستعارة أو الكناية أو الالتفات أو الانزياح أو الإضافة أو التقديم والتأخير وغيرها.

تركز المجاز عند الإمام الجرجاني على نظرية الإسناد ومجاز الحذف والزيادة والاستعارة، وتعددت أنواع المجاز تالياً كالمرسل والعقلي والمفرد، وتنوعت هذه المجازات، وتكاثرت أشكال الاستعارة إلى احتضان عناصر التمثيل الثقافي، وهي قابلة للتوضيح في الإبلاغية عند وعي المفاهيم المجازية العامة كالوضع والاستعمال والنقل والعلامة والقرينة، ويفيد الوضع إضاءة نشوء اللغة أو أصلها قبل استعمالها وتواتره، ويؤشر النقل إلى تعاقب المعنى، والعلاقة هي الرابط بين طرفي الحقيقة والمجاز أو العدول عن الحقيقة أو المجاز، وتدعم القرينة المجاز بأقسامها العقلية والعرفية واللفظية، وأفادت القرينة عند رجال البلاغة بعد القرن الخامس الهجري أنها " تفيد عدم

¹⁰ لقمان، شنطاوي: الرمز في الشعر الأردني الحديث، دراسة نظرية وتطبيقية، بدعم من أمانة عمان، عمان، 2006، ص 25.

¹¹ الجاحظ: الحيوان، الجزء السادس، ص 8.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إرادة المعنى الحقيقي، وهذا القول يوحي أن مهمة القرينة حجب المعنى الحقيقي وتركيز الانتباه حول المعنى المجازي فقط" (12).

إن التفكير البلاغي بعناصره العديدة يرهن الاتصال بفهم اللغة المجازية والاستعارية وتقاناتها الإبداعية من اللفظ والتركيب إلى البيان والكلام مراعاة للسياقات النفسية والثقافية والاجتماعية بالدرجة الأولى. وتؤشر بلاغة علم المعاني إلى آفاق تواصل المتلقي مع الكلام بين الخبر والإنشاء بالدرجة الأولى، ثم فهم الجملة وأجزائها، وأحوال المسند إليه، والعناية بالحذف والذكر، والتقديم والتأخير، والقصر وأدواته وأقسامه، والفصل والوصل ومواضعهما ومحسناتهما وعيوبهما، والإيجاز والإطناب والمساواة، ومن أبرز هذه الآفاق عند الإبلاغية إدراك خروج الخبر عن مقتضى الظاهر، وخروج الأمر عن معناه الأصلي، وخروج النهي عن معناه الحقيقي، وفهم المعاني التي تستفاد من الاستفهام بالقرائن، والمسند والمسند إليه ومواضعه وأحوالهما، وفي مقدمتهما الحذف والذكر، والإيجاز بحذف الجمل أو المفردات، أو الإيجاز من غير حذف... الخ.

ولا يخفى أن علم المعاني أبعد من حدود الوضع النحوي والبلاغي لاعتماده على الوظيفة اللغوية، مفردات وجملاً، المستندة إلى الإبلاغية أو الاتصالية عند المتلقي بما يقلل من الإبهام من جهة، ويثري عملية التلقي والتفسير والتأويل من جهة أخرى.

أما الاستعارة فقد أفضت إلى تشكيلات لغوية أشمل في النص أو الخطاب من اللغة (الأصل أو المعجم الأصلي) إلى الفاعلية المجازية للتشكيل الاستعاري من الصورة إلى المشهدية والدرامية (الفعلية) عند الانتقال من الحقيقة إلى المجازية الشاملة بمراعاة التجسيم والتجسيد والتشخيص، ويندرج هذا كله في وظيفية فعلية اللغة حتى إن نقاداً غربيين مثل "جورج لاكوف" و"مارك جونسون" مَدَّ مفهوم الاستعارة إلى شموليتها للحياة في كتابهما المشترك "الاستعارات التي نحيا بها" على أن تيار الدلالة المعرفية Cognitive Semantics هو الفاحص لحصول المعاني وما

¹² السامرائي، مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، حماه، 1974، ص 217.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يحفظها "عند البشر في قيام المعاني اللغوية وتأويلها والمعاني غير اللغوية على السواء، أي إسناد معنى إلى شيء ما، أي إدراكه، بحيث يصبح الإدراك مرادفاً لإسناد المعنى وقيامه" (13).

وتواصل هذا التيار الدلالي المعرفي في فيوض الاستعارة مع آليات الضبط الدلالي مثلما تداخلت مستويات التمثيل الذهني والثقافي وفضاءاته لدى تلقي الملفوظية في حقول دلالية تكشف عن البنى الذهنية للتظيم الدلالي ثم التداولي (وظيفية فعلية للغة)، مما يُدغم اللغة في الاتصال وتفعيلهما، وسرعان ما تماهى المجاز مع التمثيل الثقافي، كما وصفه الجرجاني في "دلائل الإعجاز"، ضمن مفاهيم التقارب والتماثل والتشابه، ورحابة ثنائية المعنى، الظاهري والباطني، أو القريب والبعيد، أو الحرفي والمجازي، أو المباشر وغير المباشر، والمجاز، بأبعاده العقلية أو المرسلة، على أنه ناظم لمعطيات الوعي عند المتلقي، والمجاز هو الأوسع كلما تداخل مع الرمز والأسطورة والاستعارة لإضاءة العلاقات الخافية أو الكامنة، وصار جلياً أن التمثيل هو الحاضن لانعطاف الحقيقة إلى المجازية، عناية بالمثل والأمثلة والأخيلة في ترتيب عمليات الاتصال اللغوي عند المتلقي، وتستند أساساً إلى تفريد لغة النص أو الخطاب وإبانة مفاصله في الأنساق اللغوية وبنائها المجازية، ولاسيما المستوى الإشاري والرمزي والأمثولي والتخييلي.

بات واضحاً أن المجازية موازية للسمات الشكلية واللغوية في المبنى اللغوي ومأثوراته البلاغية والإبلاغية في الوقت نفسه مما يفيد كثيراً في الاتصال اللغوي وتنميته.

5-1 المجازية المطلقة في الانزياح والمفارقة:

لقد نجم عن المجازية تقانات لغوية شديدة التأثير في الاتصال، وأذكر منها الانزياح والمفارقة على سبيل المثال، والانزياح هو الانحراف عن ظاهر المعنى ومجاوزته إلى معنى أو معان كامنة، وسميت عند البلاغيين العرب بالعدول نحو التوليد المعنوي من داخل الملفوظية، أي إظهار الدوال المعبرة من خلال العدول عن التركيب اللفظي الأصلي إلى التوزيع أو العلاقات

¹³ لايكوف، جورج (ومارك جونسون): الاستعارات التي نحيا بها، (ترجمة عبد الحميد جحفة)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، 1996، ص 5.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الاستبدالية، التي تولّد معنى مختلفاً أو مغايراً لسطح الملفوظية، وترجمت الانزياح عن لفظه Ecart بما يفيد تجاوز الملفوظ إلى معايير توزيعية الدلالات والمعاني في عمق النص أو الخطاب، وحاول البلاغيون العرب أن يضعوا مصطلحات عديدة لمفهوم الانزياح مثل الإبداع ومرادفاته والعدول والتغيير والانحراف والتحريف والخروج واللحن، وشرح هذه المصطلحات أحمد محمد ويس في كتابه "الانزياح في التراث النقدي والبلاغي" ⁽¹⁴⁾ غير أن مصطلح الانزياح لا يتوافق مع هذه المصطلحات جميعها كالإبداع أو اللحن، لأن وظيفة الانزياح مرتبطة بتواصل بلاغية اللغة مع إبلاغيته أي اتصالها مع المتلقي بالدرجة الأولى.

توازي مصطلح المفارقة (Irony) مع مناقضة المعنى أو مخالفته في المنظور اللغوي، أي تعبيره عن وجهة النظر المطروحة، وتقضي تعارضات المفارقة إلى انبعاث المعاني أو المدلولات داخل النص أو الخطاب، والمفارقة محكومة بطبيعة الرسالة وبخصوصية الباث الذي يقول شيئاً، ويعني شيئاً آخر، على أن المتلقي قد يغير المفهوم في تناقضه أو تخالفه مع سطح اللغة أو الكلام، ولا يفترق مصطلح المفارقة بالعربية عن المعنى الأصلي أو المعجمي، فالمفارقة هي الافتراق عن المعنى أو تباينه نحو التعريض وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتأكيد الذم بما يشبه المدح، وتتوعد المفارقة إلى حد بعيد، حسب تقصيصها في كتاب خالد سليمان "المفارقة والأدب"، وتبدت أنماطها وفق التقسيمات التالية: المفارقة اللفظية، مفارقة الموقف، ثم توزعت مفارقة الموقف إلى مفارقة التناظر البسيط Irony of simple incongruity، ومفارقة الأحداث Irony of Events، والمفارقة الدرامية Dramatic Irony، ومفارقة خداع النفس Irony of betrayal، ومفارقة الورطة Irony of Dilemma، وقُسمت المفارقة من ناحية درجاتها إلى المفارقة الصريحة Overt Irony، والمفارقة الخفية Covert Irony، والمفارقة الخاصة Private Irony، ومن ناحية طرائقها وأساليبها إلى المفارقة اللاشخصية Impersonal Irony والمفارقة - الاستخفاف بالذات

¹⁴ انظر: ويس، أحمد محمد : الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002، ص 35-50.

Self-dispraising، والمفارقة الساذجة Ingenue Irony، والمفارقة المسرحية Dramatized (15)

يؤشر جوهر مصطلح المفارقة في أنواعه وتوزيعاته وأقسامه إلى تواصل الدلالية مع وظيفية اللغة ومدى إدغامها في الفعلية بما يثري التداولية أيضاً، وفهم المفارقة مرهون كذلك بقواعد الاتصال اللغوي عند التعمق في إدراك البلاغة وتمثلاتها الإبلاغية (ضبط عمليات الاتصال اللغوي).

2. الاتصال اللغوي من الدلالية إلى التداولية

ارتبط الاتصال باللغة، ولاسيما بعده الاجتماعي والذاتي، لأن اللغة هي الأساس في العلاقات الاجتماعية والتحقق الذاتي العام والخاص، ولا تنقطع اللغة عن التأثيرات الاجتماعية والنفسية والإنسانية، فيما يخصّ الكينونة الاجتماعية والتكوين الإنساني المتصل بالمأثورات من المعتقدات والقيم والأعراف والتقاليد والأديان، ولتعبيرها عن الخصائص الثقافية المصوغة باللغة، وتبدت حتى العصر الحديث بالأنساق الاجتماعية والنفسية والإنسانية، ثم تطورت كثيراً، وتشابكت مع السياقات المتعددة للتواصل في وسائل الإعلام ومدارات التنمية ومجالات المعلوماتية التي صار معها استعمال اللغة مختلفاً إلى حدّ بعيد بتأثير التقانات والحداثة وما بعدها والثقافة الرقمية... الخ، مثلما آلت عمليات التلقي إلى التشفير والمعرفة المقوننة في لغة مختلفة تستلزم إدراك تقانات الاتصال الحديثة في الشفافية والكتابية والمعلوماتية، وهي آفاق لغوية جديدة تعتمل، وفق آلياتها الخاصة، لسيرورة بناء المعنى في النص أو الخطاب.

وأدى ذلك إلى إدراك انعطافة الاتصال اللغوي من الدلالية إلى التداولية، أي ضبط وظيفية اللغة فيما تدل عليه هذه الآليات الخاصة المتعددة الأشكال والتشكلات والإشكاليات.

¹⁵ سليمان، خالد: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، 1999، ص 24-25.

2-1 آفاق اللسانيات الوظيفية إزاء التداولية:

اهتم اللغويون العرب الحديثون بوظيفية اللسانيات خلال العقود الثلاثة الأخيرة بتأثير الترجمة والتعريب ووعي التراث اللغوي والمواهمة مع اللسانيات الحديثة في المرحلة الأولى، وبالتنظير والتطبيق لممارسة التداولية في المرحلة الثانية، وأشار في المرحلة الأولى إلى محاولات تواصل اللغة العربية قواعد ومعايير، مع اللسانيات الحديثة، كأن تدرس مناهج البحث اللغوي ونظرياته كالنحو والصرف والمعجمية والصوتية والدلالية في ضوء المدارس اللسانية، وعولجت قضايا لغوية عديدة مثل تركيب الجملة والحقول الدلالية، مما دعا اللغويين إلى النظر والممارسة في وظيفية اللغة إلى جانب اللسانيات الوظيفية ومكونات اللغة الرئيسة كالنحو الوظيفي والبنية الوظيفية، وبادر أحمد المتوكل (من المغرب) قبل سواه إلى مسعى التعريب في رؤى وظيفية اللغة، وأطلق مصطلح التداولية في اللغة بعامة والنحو بخاصة في مؤلفاته الكثيرة، وأبرزها "الوظائف التداولية في اللغة العربية" (16)، على حين اقتصر لغويون على الترجمة التي لا تتفق تماماً مع المصطلح، مثل "البراغماتية" التي تفتقر إلى حد ما عن التداولية، لأنها لا تقتصر على مجرد النفعية، إذ تستغرق نفعية اللغة بتوظيفها (17).

غلبت الترجمة على المصطلح لدى الاشتغال على التداولية، إذ ترجمه عدنان بن ذريل ذرائعية Pragmatique في كتابه "اللغة والدلالة" على أن هذا المصطلح يعود "إلى الظهور بمدلولات مستجدة" (18)، وترجم قاسم المقداد المصطلح بلفظة البراغماتية أو الذرائعية عند ترجمته لكتاب هربيرت بركلي "مقدمة إلى علم الدلالة الألسني"، وشرح المصطلح حسب تقديره أو تأويله بأنه "دراسة خصائص اللغة ومظاهرها كالبواعث النفسية للمتحدث وردود فعل المتحدثين فيما بينهم، كما تتناول دراسة موضوع الحديث المعني، وهي تتعارض مع علم النحو، وقد يكون في

¹⁶ المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء. 1985.

¹⁷ وضع عثمان بن طالب بحثه "البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية"، ومحمد الشريف صالح "تقديم عام للاتجاه البراغماتي" ضمن أعمال الملتقى الثالث للسانيات بالجامعة التونسية، 1986.

¹⁸ بن ذريل، عدنان: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981، ص 40.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

هذا بعض المبالغة، عند دراسة الخصائص الشكلية للتعبير أو الأبنية اللغوية، كما تتعارض البراغماتية مع علم الدلالة الذي يختص بدراسة العلاقات القائمة بين الماهيات اللغوية والعالم الخارجي".⁽¹⁹⁾

ومن الواضح أن هذا التعريف لا يتفق مع المصطلح، فقد طوّر التعريف وصحّحه بنفسه، عند ترجمته لكتاب جان سيرفوني "الملفوظية"، حين سمّى البراغماتية "الإفعالية"، وزعم في الوقت نفسه أن مضمون هذا الكتاب الثاني يؤكد اختلاف الذرائعية Pragmatisme عن البراغماتية أو الإفعالية Pragmatique.⁽²⁰⁾ وهذا التقدير سليم، لأن نفعية اللغة متصلة بتوظيفها منذ أن أطلق بيرس هذا المصطلح عام 1879 داعياً إلى تنمير علم الدلالة، وما تدل عليه العلامات والإشارات والرموز، خلافاً للنفعية وحدها.⁽²¹⁾

وترجم مازن الوعر المصطلح بالبراغماتية (النفعية) في كتابه "دراسات لسانية تطبيقية" Pragmatics.⁽²²⁾ ثم حاول أن يعرّب المصطلح "بالمعنى الوظيفي (البراغماتي)" في كتابه "دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة"، ورأى أن المعنى الوظيفي في الجملة العربية متعدد ومتشعب، كما تحدث عنه العرب القدامى أمثال الجاحظ والجرجاني، وذكر "أن الجملة الاستفهامية العربية لا تفرز لنا معنى استقهماً واحداً فحسب، بل تستطيع أن تفرز معاني ذات وظائف مختلفة لا تعتمد على بنية الجملة بقدر ما تعتمد على عوامل خارج هذه البنية كالعوامل النفسية والاجتماعية والثقافية والإثنية (العرقية)، وأخيراً وليس آخراً، العوامل

¹⁹ بركلي، هريبرت : مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، (ترجمة قاسم المقداد)، وزارة الثقافة، دمشق، 1990، ص 107.

²⁰ سيرفوني، جان: الملفوظية (ترجمة قاسم المقداد)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998، ص 109.

²¹ رويول، آن (وجاك موشلار) : التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، (ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني)، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة، بيروت، 2003، ص 28-29.

²² الوعر، مازن: دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1989، ص 409.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

السياقية التي مصدرها النص.⁽²³⁾

وانتشرت اللسانيات الوظيفية في دروس اللغويين العرب اعتماداً على اللسانيات الحديثة في الغرب شأن جهود "أوستين John Austin" و"سورل J.R.Searle" الذي ميّز بين أفعال لغوية مباشرة Actes Directs وأفعال لغوية غير مباشرة Actes Indirects، وتقسيمه أفعال الكلام إلى خمس مقولات:

- الفعل الإقرار Assertif، وبواسطته تقول للسامع كيف هي الأشياء.
- الفعل التوجيهي، وبواسطته نحاول أن نجعل السامع يقوم بأشياء ما.
- الفعل الوعدي، وبه نلتزم القيام ببعض الأشياء.
- الفعل التعبيري، ونعبّر بواسطته عن مواقفنا ومشاعرنا.
- الفعل الإخباري، ونعبّر به عن التغييرات الحاصلة في العالم المحيط بنا.

وتؤدي هذه المقولات إلى أن اللغة مجموعة من الأفعال التي تضبطها جملة من العلاقات المتحركة في عملية التواصل بين الأفراد.⁽²⁴⁾

واستندت الأفعال إلى عوامل عديدة مثل وظيفية التراكيب وسياقاتها وأنساقها المختلفة فيما هو أبعد من مباشرة القول، على أن التواصل ومقاماته وطرائقه ذو صلة وثيقة بالبنى الدالة والدلالية والتداولية، وقد ركّز لغويون على النحو الوظيفي اللغوي، لأنه لا يقتصر على النحو الوظيفي بالدرجة الأولى، مما يستلزم التوظيف اللغوي كذلك، إذ تنطلق تراكيب الجملة إلى التداولية عند التأثير، لإبراز محمولات النص أو الخطاب، ما دامت التداولية العنصر الأهم في توظيف فعلية

²³ الوعر، مازن : دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبي للطباعة والنشر، دمشق، 2001، ص55.

²⁴ غلفان، مصطفى: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1998. ص248-249.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

اللغة بناء على تركيب الجملة وروابطها التي تؤدي إلى المدلولات أو المعاني الظاهرة والكامنة. ولعل من أبرز دراسات "التداولية" في اللغة العربية "التداولية عند العلماء العرب" التي تناولت ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي والنظر في معايير التمييز بين الخبر والإنشاء في التراث العربي، وتقسيمات العلماء العرب للخبر والإنشاء، ومعالجة الأفعال الكلامية عند الأصوليين والنحاة، لإظهار عمق التداولية، بمقولاتها ومفاهيمها الأساسية في التراث اللغوي العربي "كسياق الحال، وغرض المتكلم، وإفادة السامع ومراعاة العلاقة بين أطراف الخطاب، ومفهوم الأفعال الكلامية" (25).

وأبانت الدراسة الثانية "آليات إنتاج النص الروائي" تفعيلات اللغة التي جعلت النص أو الخطاب أشد فعالية وذلك بالتوجه الذرائعي التداولي عند توصيف المعنى الداخلي للنصوص والخطابات، وجوهره هو توظيف الفعلية اللغوية في الدليل - التفكير، ومدار الحديث النصي، ومدارات الحديث "السردية، والبنية الإظهارية، والمستويات الذهنية، كفلسفة التدلال الذريعية، وفلسفة الإدراك والتمثيل، وسيروية التدلال نحو سيروية إنتاج النص أو الخطاب. وارتفعت التداولية عنده بمنطق العلامات (السيمائية) في اللسان واللغة والكلام لإخضاع العلاقة بين الدال والمدلول، والدلالة والمرجع، والتصور وحالة الأشياء، وجدل العالم (الفكر) اللغة، والخلفية الذريعية والتداولية للسميائيات، التي أضاعها بورس على وجه الخصوص، و"لا تتصل الاستمرارية بسيروية الإنتاج الأولي للأدلة، أو بسيروية إعادة الإنتاج بعد التقويض فقط، بل تتصل بكل أشكال التواصل بما فيه التواصل العادي اليومي، والذي من شأنه أن يتم انطلاقاً من تحيين ذهني لأدلة تنتمي لأنساق تواصلية مختلفة من حيث السنن والقناة والأنواع السننية الفرعية، بفضل كونها آلية تتم داخل الوعي الذي هو المركز الأساسي المسؤول عن أشكال إظهار المظاهر

²⁵ صحراوي، مسعود : التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005، ص 226.

المادية للتواصل»⁽²⁶⁾.

لقد بات واضحاً أن آفاق اللسانيات الوظيفية العربية إزاء التداولية راسخة في الموروث اللغوي وعمليات تفعيلها في الممارسة اللغوية والفكرية والعلمية والأدبية والنقدية ضمن منطلقات الاتصال الجديدة والمتنوعة.

2-2 حدود التداولية:

اتسع مفهوم التداولية مع ثراء مقاصد تفعيل اللغة وتوظيف الفعلية في عمليات الاتصال لبلوغ الأهداف والأغراض والقيم المنشودة في النص أو الخطاب، على أنها ليست مجرد أفعال كلامية فحسب، بل دالة على مفاهيم ومواقف ورؤى وأفكار ومدى تأثيرها في التواصل الذاتي العام والخاص مع المتلقي، والتداولية في المصطلح الإنجليزي Pragmatics ترتكز على التواصلية اللغوية عند وظيفية فعلية اللغة في النص أو الخطاب، وتتحدد هذه التواصلية بالمقدرة على التفسير والتأويل عند وعي المستويات اللغوية ومجالاتها المعرفية ومدارات اعتمادها بالدلالة والمعاني والاستدلالات وما وراء المعاني تتعالق التداولية مع الاتصال بتحليل استعمال اللغة وتدلil الملفوظية إلى التواصل المباشر وغير المباشر في النص أو الخطاب، وتتحدد التداولية بعناصر التمثيل الثقافي وخصوصيات اللغة والثقافة التي تنتمي إليها في المبنى اللغوي ذاته، ورأى اللغويون المعاصرون أن التداولية المعاصرة تقوم على مفاهيم عديدة، من أبرزها: الفعل الكلامي، والقصدية، والاستلزام الحوارية (أو المحادثي)، ومتضمنات القول، ونظرية الملاءمة، وتتحكم بظروف الخطاب أو طبيعة النص متضمنات الافتراض القبلي، وتشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواه ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة⁽²⁷⁾.

إن التداولية تعني بإيجاز استعمال اللغة في التواصل والمعرفة، ثم تمثيل المعلومات و تخزينها

²⁶ محفوظ، عبد اللطيف: آليات إنتاج النص الروائي، منشورات القلم المغربي، الدار البيضاء، 2006، ص55.

²⁷ التداولية عند العلماء العرب، مصدر سابق، ص 30-31.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وإبلاغها تلازماً مع نظام علامي أو إشاري أو ترميزي من أجل عملية التأويل الدلالي، وقد نشأت التداولية بالفعل الكلامي عند "جون أوستين J.L.Austin" عام 1955 في كتابه فلسفة اللغة، وتنتمي مفهوم التداولية مع "جون سيرل John Searle" في تنظيره للأعمال اللغوية تأكيداً للقوة الإنجازية المتضمنة في القول ومحتوى القضايا اللغوية، وتجلى ذلك في تنظيره لعلم الدلالة التوليدية عام 1970، وتفاعلت التداولية أكثر مع جهد "بول غرايس Paul Grice" الذي دعا إلى الاستلزام الخطابي ومبدأ التعاون في الاستعمال اللغوي القائم على المحادثة والملاءمة والنسبية اللغوية والإدراكية والنمذجة عام 1967، ومفهوم الاستلزام الخطابي الرئيس لا يخرج عن أوجه البلاغة ومدى إبلاغيتها كالتورية والاستعارة والسخرية والدعائية والرمز... الخ، على حين أفاد "أوزوالد دكرو Oswald Ducrot" أن التداولية مندمجة في اللسانيات جزءاً لا يتجزأ منها، عند بلوغ الجملة المضمون بكيفية غير صريحة أو مقارنة ترميزية... الخ.

وشرح واضعاً كتاب "التداولية اليوم، علم جديد في التواصل" أن التداولية تعني العلاقات بين العلامات عند توظيف فعلية اللغة في ضمائر المتكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان، إضافةً إلى "التعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئياً خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل" (28).

إن التداولية تنمية معرفية لنشدان التأويل الدلالي والاستدلالي في وظيفية اللغة وتفعيلها، كلما زاد الوعي بحدود التداولية وتشابكاتها مع معضلات الاتصال نحو يسر التوظيف اللغوي.

3-2 آليات بناء التداولية في الاتصال:

تستغرق آليات بناء التداولية في الاتصال بمسائل عديدة، أبرزها إشكالية الحوارية في النص أو الخطاب من جهة، ووضعية الجمهور العام والجمهور الخاص، لأن خصوصيات الجمهور تؤثر في مظهرات إنتاج المعنى في السياقات الاجتماعية والنفسية والإنسانية والأثنية من جهة أخرى، ونذكر منها نوعية الجمهور الخاص عند الأطفال والناشئة أو الشباب أو العمال أو

²⁸ التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، مصدر سابق 2003. ص 29.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الفلاحين، وثمة اعتبارات واشتراطات أخرى لخصوصية جمهور النساء التي تقضي إلى النسوية وخلافاتها مع الذكورة في القضايا الاجتماعية والإنسانية والأخلاقية حيث التأذي المستمر في النص أو الخطاب بين الذكورة أو النسوية، وهناك مؤثرات النظام العالمي الجديد الضاغطة على التنوع الثقافي والاتصال بين الشعوب والبشر، ولعلنا لا نغفل عن العولمة في دواعي هيمنة الدول الكبرى القِيًّا على الدول الصغرى الضُعْفَى في عمليات الاتصال، وفي مقدمتها الدلالية والاستدلالية في شبكة المعلوماتية وتشابكاتها المسيسة وتحكمياتها بتمثيل آليات الاتصال في التداولية.

ولا نغفل عن أطروحات الشفافية المسيسة أيضاً، عندما تتحكم لغة المتسلطين والمتسيدين بالآخر الأضعف باسم المجاهرة والمصارحة والمكاشفة في لغة الشفافية التي تندغم في مصالح الأقوى المهيمن، وتصير التداولية في نصّ الشفافية أو خطابها إلى إيهام الاتصال لدى توظيف اللغة، ويزيد من شدة التأثير على اللغة وتداوليتها منظمات الاتصال الدولية والإقليمية والوطنية مثل المنظمات والاتحادات والتنظيمات بطوابعها السياسية والاقتصادية والأمنية والاجتماعية والثقافية. وأشير إلى الأمم المتحدة واليونسكو واليونسيف، والاتحاد الأوروبي، والاتحاد الإفريقي، ومنظمات المجتمع المدني... إلخ، ولو تأملنا بعض مواقف هذه الجهات لأدركنا عسر الاتصال ما لم يحسن التواصل اللغوي ومعطياته ومعاييره وخصوصياته الثقافية.

تتركز آليات بناء التداولية في الاتصال على إدراك نظرية الكلام بعامة والأفعال الكلامية بخاصة من أجل إثبات المدلول الملفوظي، لأن مصطلح الملفوظية يعني مقابلة الملفوظ بمعناه الأكثر تمثلاً في الصوغ التركيبي لمفرداته وفي مقايضة استعمالها الوظيفية، وتقترن الملفوظية في الأفعال الكلامية بأغراض القول أو الكلام أولاً وبمرجعياته إشارات أو ضمائر أو أزمنة، أو تعابير ذاتية فردية وجماعية ثانياً، وبتوجهاتها، استرسالاً أو اختزالاً أو منطقية أو تخيلاً ثالثاً، وبفعالية التركيب اللغوي وصرفه ونحويته رابعاً، وتداوليته المفضية إلى التحويل أو التوليد أو الإنجاز أو التمثيل أو التأويل الدلالي خامساً، وتندرج الملفوظية كذلك في سيرورة الأفعال

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الكلامية فيما بين التداولية والإبلاغية، أي الاتصال بوساطة التثمير اللغوي الوظيفي.

أما إسنادية الملفوظية فهي وعي دلالات الصرف والنحو بلوغاً لعلامات النص أو الخطاب، وتفهم المرجعية ذات الفائدة الكبرى في تفريد التمثيلات الدلالية الثقافية إثر مستوياتها اللغوية المتعددة، وتتجلى الفائدة في إظهار المعنى وما وراء المعنى معاً، وثمة عناية أهم بالبنية والعلامات والتوليد أو التحويل في إبلاغية الوظيفة اللغوية لضبط الاتصال. وهناك إسنادية هامة للملفوظية في جلاء المعنى عند التمكن المعرفي واللغوي من السياقات الإنسانية والاجتماعية والنفسية مما هو كامن أو مفترض في الإنجاز الكلامي لوظيفة الفعلية التي تنفع في التنبؤ، أو تكوّن المنظورات الظاهرة والكامنة، أو المباشرة وغير المباشرة، ولا تخرج أنواع هذه الإسنادية عن الاستدلالات التأويلية أو التمثيلية أو التفسيرية.

تشابكت الدلالية مع التداولية إلى حدّ بعيد في تكون المعنى وما وراء المعنى، إذ دعي اللغويون إلى ترسيخ علم الدلالة، ونظرية الحقول الدلالية فيما هو أبعد من مستوياتها المألوفة كالترادف أو التضاد، والصرف أو الاشتقاق، وعناصر الكلام أو النحو، والتركيب أو الاستعمال، والتدرج أو التعاقب الدلالي.

وتناغمت التداولية مع محاور الإحالة الكلامية أو نظام النص التخاطبي - الإحالي، وتتصل هذه المحاور بالمرجعيات الكلامية ونظم النص أو الخطاب المحلية إلى الإشارات أو العلامات أو الرموز أو الأمثلة... الخ.

وركّز علم السرد على مظاهر رئيسة لاستراتيجية الاستدلال، وهي الدلالة فيما يقدمه النص وما يستدعيه من مضامين، والنظم الجامع للعملية التوليفية التي تخضع لها الوحدات اللسانية، وما ينتج عنها من علاقات، والمنطق، عند التحقق الفعلي لجمل النص وتلقي ملفوظيات الفعلية، ويتصل ذلك كله بلسانيات النص وتداوليته، كلما عني بالاحتمالات التحويلية والتوليدية للتركييب، وهناك "إدراج مقاس آخر هو مخابرة هذه التنوعات التركيبية داخل الاستراتيجية العامة للنص،

مما يمنحها الدلالة المقصودة" (29).

واقترنت حياة اللغة بعملية التواصل، بتعبير سمير شريف استيتية، على "أن حياة لغة ما يعني بقاءها مستمرة في دائرة التواصل والتداول" (30) لدى العناية باللسانيات التواصلية، وضبط عمليات التداولية.

وتكتمل آليات بناء التداولية في الاتصال لدى العناية بشروط إنتاج أفعال الكلام، برأي "هيربرت بركلي"، في ميدان علم التركيب أو تكوين قواعد التمكن من اشتقاق الجمل وخصائصها الصوتية الوظيفية Phonological rules، وفي ميدان علم الدلالة التي تسمح باشتقاق بنى المضامين كالكلمات والجمل انطلاقاً من مجموعة مكتملة السمات أو المحمولات الدلالية، وتبعاً لما يقترحه علم الدلالة التوليدي، ينبغي المرور من البنى الدلالية إلى البنى التركيبية عبر نقاط محددة نحو العوامل التداولية، "أما في حالة المناجاة (المنولوج) الحقيقية، فإن المنتج والمتلقي يختلط بعضهما ببعضهما الآخر، يختلطان على الصعيد المرجعي، لا على الصعيد الوظيفي" (31) فحسب، وهذا كله يعزز الانتقال من الدلالية إلى التداولية في الاستدلال النصي أو الخطابية.

4-2 قضايا التداولية وإشكالياتها:

إن أهم قضايا التداولية هي فهم نظرية أفعال الكلام وسياقاتها المختلفة وأغراضها في النص أو الخطاب، مما يثير إشكاليات عديدة أيضاً، عند معالجة علم الدلالة التوليدي والتمثيل الدلالي والاستدلالية الإنجازية عبر المجازية أو الذهنية أو الاستعارية أو التحويلية في بثّ الملفوظية وتلقي رسالتها التي يتعالق فيها المعنى مع ما وراء المعنى، وتتمحور الإشكاليات في مجالات

²⁹ خديش، صالح: استراتيجية الإدلال، في "مجلة السرديات" (جامعة منتوري) قسنطينة، العدد 1، جانفي 2004، ص 203.

³⁰ ستيتية، سمير شريف: ثلاثية اللسانيات التواصلية، في مجلة "عالم الفكر" الكويت، العدد 3، المجلد 34، يناير، مارس 2006، ص 7.

³¹ مقدمة إلى علم الدلالة الأسنوي، مرجع سابق 1990، ص 110.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التفريق بين التركيب اللغوي ومتوالياته التي تخرج عن التحفيز الواقعي إلى التخيل أو الأخيولة من جهة، والتفريق بين الخصوصيات الثقافية والمؤثرات الأجنبية باسم المناقفة وسواها، لأن اللغة محكومة بعناصر التمثيل الثقافي لدى بنية النص أو الخطاب بالإحالات والترميز والأمثولات تداولاً مع اشتراطات التاريخ وشروط الواقع وطبيعة الانتماء من جهة ثانية، والتفريق بين مستويات التخاطب مع الذات ومع الآخر، وتعددية أنماط الحوارية المباشرة وغير المباشرة في التجريد أو الترميز أو التجسيد... الخ، وتأثير تيار الوعي واللاوعي على التركيب اللغوي من جهة ثالثة، والتفريق بين الأزمنة والفضاءات ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، إلى جانب عمليات الارتجاع أو الاستباق، من جهة رابعة، والتفريق بين الصوت الواحد والأصوات المتعددة في صوغ أفعال الكلام من جهة خامسة، والتفريق بين الخطاب المباشر في وسائل الاتصال بالجماهير، والثقافة الرقمية عند استعمال اللغة العربية في المعلوماتية من جهة سادسة.

أتوقف عند قضية واحدة من قضايا التداولية، وهي الحوارية التي تضاعف إشكاليات الوظيفية اللغوية إزاء الصوت المفرد أو الأصوات المتعددة ومدى وظيفية السياقات الاجتماعية والنفسية والإنسانية في تمثيلاتها الدرامية والثقافية، ويتصل هذا كله باستدلالات الملفوظية في أنواع الكلام وأفعاله، الشفاهية والكتابية والحوارية مع الذات ومع الآخر، على سبيل النجوى أو مجاهرة تعدد الأصوات، واختلاف الرؤى، ولبوس المصادقية، والاستغراق في التخيل أو الأخيولة (الفنطرة) عند الغياب في العجائب والغرائب، وتعالقات التاريخ والموروث مع عناصر التمثيل الثقافي، إضافةً إلى خصوصيات الجمهور وطبيعة التلقي، إذ يختلف الجمهور الخاص عن الجمهور العام، ولا سيما الأطفال والناشئة أو الفتيان والشباب، وهناك الأطر التربوية والتعليمية والإعلامية المؤثرة في وظيفية السياقات أيضاً في المستويات النظرية والتطبيقية.

ثم أثر التخيل الذي يبلغ الأخيولة، انغماساً في حوارية مستقلة عن المرجعية أو السياقات الاجتماعية والإنسانية، وتتحدد الأخيولة بتداوليتها الخاصة من أفعال الكلام أو استدلالاتها الذاتية الخاصة والعامّة، أو تعدد ملفوظيات تكوين النص أو توليد الخطاب. وثمة فروق بين الدلالات الجزئية والمدلولات الكلية في تلفظات السياقات الواقعية أو التخيلية عند إمعان النظر في

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الشكليات اللغوية ومتغيراتها وتشكلاتها التداولية، وتزداد المؤثرات في الصوغ اللغوي عند اكتناه سبل الاتصال لمجاوزة قضية الحوارية التي لا تقتصر على الكلام أو أفعال الكلام فحسب، بل تتعداه إلى زمكانيته أو فضاءاته، ويوسع الاتصال محتوى الرسالة ومضموناتها كلما حللت قضية الحوارية بحسن وظيفية اللغة وتفعيلها عند إدراك الخصوصيات الثقافية واللغوية.

إنّ فهم اللغة ومراعاة وظائفها وفاعليتها وقابليات تلقيها ووعي لسانيات الاتصال وعملياته ووسائطه المتعددة، الشفاهية والكتابية، والتقانية والمعلوماتية، ينميّان التداولية، ويفعّلان التواصل اللغوي واستدلالاته ورؤاه الرحبية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ثبت المصطلحات *

Pragmatisme	الذرائعية
Pragmatics, Pragmatique	التداولية، الإفعالية
Pragmatique Linguistique	تداولية لسانية
Pragmatique Intégrée	تداولية مندمجة
Ego	أنا
Communication ostensive_ inférentielle	تواصل إشاري استدلال
Intra personal Communication	الاتصال الذاتي
Intr personal Communication	الاتصال بين الأشخاص
Media Communication	الاتصال الوسطي
Mass media Communication	وسائل الاتصال الجماهيرية
Circuit of Communication	دائرة الاتصال
Synchronous Communication	الاتصال التزامني
Asynchronous Communication	الاتصال غير المتزامن أو غير الآتي
Encoding and decoding model of Communication	الاتصال الخاص بتكوين الشفرات
Actes Directs	أفعال لغوية مباشرة
Actes Indirects	أفعال لغوية غير مباشرة
Phonologie/rules	الصوتية الوظيفية
Assertif	الفعل الإقرار
Enonciation	الملفوظية
Mode	صيغة
Acte primaire	عمل أولي
Acte perlocutionnaire	عمل تأثير بالقول
Acte secondaire	عمل ثانوي

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

Acte propositionnel	عمل قضوي
Acte Locutionnaire	عمل قولي
Acte Illocutionnaire	عمل متضمن في القول
Acte de parole	عمل كلامي
Acte de Langage	عمل لغوي
Acte de Langage direct	عمل لغوي مباشر
Acte de Langage indirect	عمل لغوي غير مباشر
Transmission model of Communication	الإرسال في عملية الاتصال
Feed back	المردود أو العائد
Cognitive Semantics	تيار الدلالة المعرفية
Irony of simple incongruity	مفارقة التناقض البسيط
Irony of Events	مفارقة الأحداث
Dramatic Irony	المفارقة الدرامية
Irony of betrayl	مفارقة خداع النفس
Irony of Dilemma	مفارقة الورطة
Overt Irony	المفارقة الصريحة
Covert Irony	المفارقة الخفية
Private Irony	المفارقة الخاصة
Impersonal Irony	المفارقة اللاشخصية
Self _ disprasing Irony	المفارقة . الاستخفاف بالذات
Ingenue Irony	المفارقة الساذجة
Dramatized Irony	المفارقة الممسوحة
Paradoxe	مفارقة
Performidoxe	المفارقة الإنشائية
Fonctionnalisme	وظيفية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

Act	فعل
Accessibility	توصيلة
Context pragmatics	سياق تداولي
Contextuel	تناص سياقي
Techniques de Communication	تقنيات اتصال
Non- Communication	اللا اتصال
Linguistique Communicationelle	لسانيات القتالية
Fonctions Latentes	وظائف ضمنية
Fonctions manifestes	وظائف ظاهرة
Fonctions phatique	وظيفة متابعة
Fonctions référentielle	وظيفة مرجعية
Fonctions métalinguistique	وظيفة ميتالغوية (ما وراء اللغة)

* ألحقت ثبوت المصطلحات اللغوية والاتصالية بالاعتماد على المؤلفات التالية وملاحقها المعجمية والمصطلحية:

- 1- فان دايك: النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي (معجم ص - 34-343).
- 2- آرمان وميشال ماتلار: تاريخ نظريات الاتصال (بثت المصطلحات ص 27-218).
- 3- آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم (ثبت المصطلحات ص 250-260).
- 4- خالد سليمان: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، 1999 (نظرية المفارقة، تعريف المصطلح... الخ ص 11-39).
- 5- هريبرت بركلي: مقدمة إلى علم الدلالة الألسني (بعض المصطلحات الواردة في الكتاب ص 145-954).
- 6- دانيال تشاندلر: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميوطيقا).
- 7- جان سيرفوني: الملفوظية L'ENONCIATION (فهرس المصطلحات ص 119-121).

المصادر والمراجع

الكتب بالعربية:

- أبو أصبع، صالح خليل: الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة، آرام للدارسات والنشر والتوزيع، عمان، 1995.
- بن ذريل عدنان: اللغة والدلالة، آراء ونظريات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1981.
- بن طالب، عثمان: "البراغماتية وعلم التراكيب بالاستناد إلى أمثلة عربية"، ومحمد الشريف صالح: "تقديم عام للاتجاه البراغماتي" ضمن أعمال الملتقى الثالث للسانيات بالجامعة التونسية، 1986.
- بدوي، طبانة: قدامة بن جعفر والنقد الأدبي، مكتبة الأنجلو، القاهرة، (د.ت.).
- الجاحظ: الحيوان 8/6.
- السامرائي، مهدي صالح: المجاز في البلاغة العربية، دار الدعوة، حماه، 1974.
- سليمان، خالد: المفارقة والأدب، دراسات في النظرية والتطبيق، دار الشروق، عمان، 1999.
- صحراوي، مسعود: التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة "الأفعال الكلامية" في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2005.
- عامر، سكيئة ابراهيم: فن الاتصال بالآخرين، دراسة في السلوك الإنساني، دار نون للتدريب والاستشارات، بنغازي، 2001.
- الغزالي، عبد القادر: اللسانيات ونظرية التواصل، دار الحوار، اللاذقية، 2003.
- غلفان، مصطفى: اللسانيات العربية الحديثة، دراسة نقدية في المصادر والأسس النظرية والمنهجية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1998.
- لقمان، شنتاوي: الرمز في الشعر الأردني الحديث، دراسة نظرية وتطبيقية، بدعم من أمانة عمان، عمان، 2006.
- المتوكل، أحمد: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985.
- محفوظ، عبد اللطيف: آليات إنتاج النص الروائي، منشورات القلم المغربي، الدار البيضاء، 2006.
- ناصف، مصطفى: اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة 193، الكويت، كانون الثاني 1995.
- ويس، أحمد محمد: الانزياح في التراث النقدي والبلاغي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2002.
- الوعر، مازن: دراسات لسانية تطبيقية، دار طلاس، دمشق، 1998.
- الوعر، مازن: دراسات نحوية ودلالية وفلسفية في ضوء اللسانيات المعاصرة، دار المتنبّي للطباعة والنشر، دمشق، 2001.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الكتب المترجمة:

- إفيتش، ميلكا: اتجاهات البحث اللساني (ترجمة سعد مصلوح ووفاء فايد)، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1996.
- بركلي، هريبرت: مقدمة إلى علم الدلالة الألسني، (ترجمة قاسم المقداد)، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.
- تشاندلز، دانيال: معجم المصطلحات الأساسية في علم العلامات (السيميو طيقا) (ترجمة وتقديم: شاكر عبد الحميد) أكاديمية الفنون، القاهرة، 2002.
- روبول، آن (وجاك موشلار): التداولية اليوم، علم جديد في التواصل، (ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني)، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة، بيروت، 2003.
- سيرفوني، جان: الملفوظية (ترجمة قاسم المقداد)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1998.
- فريس، ريمانويل (وبرنار موراليس): قضايا أدبية عامة، آفاق جديدة في نظرية الأدب، (ترجمة لطيف زيتوني)، عالم المعرفة 300، الكويت، فبراير 2004.
- لايفوف، جورج (ومارك جونسن): الاستعارات التي نحيا بها، (ترجمة عبد الحميد جحفة)، دار توفال للنشر، الدار البيضاء، 1996.

الدوريات:

- خديش، صالح: استراتيجية الإدلال، في "مجلة السرديات" (جامعة منتوري) قسنطينة، العدد 1، جانفي 2004.
- ستيثية، سمير شريف: ثلاثية اللسانيات التواصلية، في مجلة "عالم الفكر" الكويت، العدد 3، المجلد 43، يناير، مارس، 2006.

التعليم العالي في الوطن العربي وتطويره

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

البحث العلمي في الدول العربية والحلقات المفقودة*

أ.د. صالح بلعيد

أستاذ بكلية الآداب - تيزي وزو (الجزائر)

المقدمة

أعلن في البداية عدم وصولي إلى المصادر التي تحمل الإحصائيات الحينية الخاصة بالموضوع، ومن هنا ترونني أعود إلى المؤشرات والأرقام التي تخص بداية هذه الألفية، وهي قديمة بعض الشيء، ولكنني أفدت من مواقع الإنترنت التي تذكرنا بآخر ما استجد من أرقام. وأسجل تضارب الآراء وكثرة الأفكار، والصراخ الشديد للنهوض بقطاع البحث العلمي في الوطن العربي الذي يعيش حالة ركود وضعف، برغم الثروة الباطنية الكبيرة، وثروة الموارد البشرية التي يتحكم فيها عالم اثنتين وعشرين دولة. وكان عليّ التعامل مع المعطيات بحذر شديد، لأن بعضها تحاول تشويه صورة العرب، وبعضها تبتغي استنهاض دور العرب وذلك بالاهتمام بقطاع البحث الذي لم يكن من الأولويات، ولقد حاولت التوفيق بينها، برؤى معاصرة بالاستفادة من مدونة علمية ملموسة.

وهكذا تقدّم هذه الورقة الوصفية التحليلية الإحصائية النقدية، هذا الموضوع الموسوم: **البحث العلمي في الدول العربية والحلقات المفقودة**، وتلاحظون أن العنوان ورد في صيغة تشاؤم ونقص، على أن البحث في الوطن العربي لم يستكمل كل آلياته، ومن هنا رغبت في تشخيص

* أعد هذا البحث ليقدم في الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي، بجامعة سلطان قابوس، أيام: 4-7 نوفمبر 2006 بمسقط. تنظّم المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

واقع البحث العلمي في بلداننا، وتوصيف الترتيبات المؤسسية والتمويلية الموضوعية لهذا الغرض، ومدى الأهمية التي يحظى بها عندنا، ومقارنة كل ذلك بما يُعطى له من أهمية وقيمة عند غيرنا، ومدى إنتاجية تلك المراكز التي وقع الاهتمام بها، وتقويم المنتج الوطني مع نظيره المستورد، والعلاقة بين الإنفاق على تلك العلوم والبحوث، وما السبيل إلى وضع استراتيجية للبحوث العلمية؟

وإن الرغبة الحقيقية التي دفعتني إلى البحث في هذا الموضوع، هي استنهاض أولي الأمر وإشعارهم أن الاهتمام والإنفاق على البحث العلمي هو الطريق الصائب لمستقبل أجيالنا إذا كنا نفكر في أولادنا، فنحن - في وقتنا الحاضر - لا نعيش إلا على ما تدرّه المحروقات، فهل يمكننا بذلك ضمان مستقبل أولادنا والبترول له أجل في النهاية. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، رغبت في الوعي الحقيقي بمجموعة الصعوبات التي تصادف البحث العلمي في أوطاننا، وتقديم الحلول. وبذلك كان عليّ أن أناقش واقع البحث العلمي في أوطاننا، وأتعامل مع الحاضر، بالتفكير في وسائل تصحيح المسار، لتقديم اقتراحات تخرجنا من الغموض، وتوصلنا إلى الغرض المنشود، وخاصة ونحن أمام مسؤولي التعليم العالي والبحث العلمي في الوطن العربي؛ الذي كان عليهم أن ينقلوا إلى من يههم الأمر هذا الواقع الذي يتطلب نظرات أخرى، ورؤى جديدة للمشاركة الإيجابية والفعّالة في البحث العلمي، حتى نستطيع أن نوازي الآخرين ولو في الخطوات الأولى.

إن العصر الذهبي الذي نعيشه هو عصر التحدي العلمي والتقني، ولا يمكن لأية أمة أن تنافس في هذا المضمار إلا بوجود العقول المفكّرة، والإمكانات المناسبة، والثقة المتبادلة بين الجهات البحثية والجهات المستفيدة. وإن المشاركة في هذا الزخم المتنامي، يتطلب العمل على تهيئة المناخ المناسب لإنشاء تقنية محلية متطورة تساهم في نمو البلاد وتقدّمها، وتعزّز مفهوم البحث والتطوير في المدارس، وذلك باعتماد أساليب تعليم تقوم على البحث والتّقيب والاستقطاب، إضافة إلى تجسير الفجوة بين مؤسسات التعليم العالي والقطاعات الإنتاجية، ونشر الوعي العلمي والثقافي والتقاني اللازم للتنمية، بواسطة وسائل الإعلام، وترويج الثقافة العلمية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

لدى المواطنين. وبهذه الأشياء والتخطيط الدائم تتواصل الجهود في الدول الغربية في اتجاه بناء مجتمع المعرفة، فمن المتوقع عندهم أن تشغل تقانة (الناتوتيب) سلسلة الثورات الصناعية غاية في الصغر، وهي بداية قرن تواكبه ثورة علمية وتقنية لم تشهد له مثيلاً، وإذ بأسئلة كثيرة تطرح على ساحة البحث من مثل الاستساح، وتأجير الأرحام والكائنات المعدلة وراثياً، وتأثير استعمالات الطاقة في المناخ، والخصوصية على الإنترنت والمخلفات النووية. واكتشاف الخريطة الجينية لإنسان... والزمن كفيل بالإتيان بما لم يخطر على البال.

باستعراض هذا التطور الرهيب، ما موقعنا في هذا الإنتاج الجديد، وماذا نقدم من فكر في هذا الزخم المدهش، وهل نستطيع أن نشارك ولو في الحوار، أم سيبقى الخوف يساورنا، فنخاف من تفسير الأحداث وعواقب الرؤية العلمية، وما يكون لنا حضور، كما حدث في الماضي، الذي يُشهد علينا التاريخ أننا أضعنا الكثير من الجهد دون مقابل، وفاتتنا فرص كثيرة، لم نشارك في عصر الصناعة، وفاتنا عصر الذرة، وغزو الفضاء، وما استطعنا ملاحقة علم المعلومات، وما أضفنا لهذا الميدان، مثملاً فعل أجدادنا عندما نقلوا تراث الإغريق فأضافوا أشياء مَبَرَّتْهم.

وقد أصدكم إن قلت: عند اطلاعي على بعض التقارير الأممية عن التنمية البشرية في الوطن العربي، أصبت بالإحباط؛ إذ تتل تلك التقارير على إخفاق كثير من أجهزتنا، وتدني مستوياتها، وهذا مظهر من مظاهر الخلل الذي تعاني منه سياسات التخطيط في أوطاننا، فنرى مؤسسات البحث تحمل مشاريع كثيرة، ولكنها في محل تساؤل لافتقارها إلى الدور الطلائعي، وانعزالها الواضح عن عامة الشعب، بحيث أضحت وظائفها البحثية وهمية، فلا يُراد منها إلا امتصاص فائض الخريجين، فأصبح البحث العلمي عندها موظفاً حكومياً مرتبطاً بوقت الخروج أو الدخول، أضف إلى ذلك المتعلقات الإدارية التي تستهلك ما لا يستهلكه البحث. ثم إن جامعاتنا تعلن إفلاسها من خلال الشكوى من القصور الذي تعانيه، إذ تنعدم مؤشرات الأداء الجيد لما تقوم به، باعتبارها محتشدات طلابية، تعيش بين ضخامة الكم وتراجع النوع، تقتصر إلى الشروط الملائمة للبحث، بغلبة الهاجس الأمني على الهاجس المعرفي، وطغيان الدراسات الأدبية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والنظرية على الدراسات العلمية والتقنية، وأصبحت تعيش بين بطالة الخريجين وهجرتهم المستمرة، إلى جانب الحياة الصعبة للباحث، والوسط العلمي الموصوف بالبيروقراطي، وما يتبع ذلك من عدم اهتمام بعض الفرق العلمية بقيمة البحث الأصيل فتعمل على النقل وقول المكرور، بله الحديث عن بعض الاعتبارات الأخلاقية التي يراودها التزوير والسطو على عمل الآخرين. ومن هنا نقول: لم يطور العرب في العصر الحاضر نهضة بحثية، ولم يشاركوا إلا بنصيب لا يكاد يذكر في عملية إنتاج المعرفة العلمية، ويثير هذا الوضع تساؤلات كثيرة، إذ تعلم الدول العربية بأنها من الجهات المستهلكة كلياً وغير منتجة في المجالات المعرفية، ذلك أن واقعنا ما يزال يحاكي نمط حياة قائماً على استيراد المنتجات التقنية على نطاق واسع، دون امتلاك ناصية التكنولوجيا، أو صنع قطعة صغيرة حالة تعطل الآلة.

ومما يؤسف له من وراء هذا أن حالات الإخفاق في البحث العلمي تفوق حالات النجاح فيه، وأن الأوقات التي يكافح فيها الباحث من أجل تحصيل المعيشة تتغلب على أوقات البحث العلمي، ومن ذلك استخلصت ما يلي: إن البحث العلمي في أوطاننا يعيش أزمة، فلم تثمر النهضة العلمية في مؤسساتنا وهيئاتنا ثمرتها المرجوة، برغم ما يزيد على القرنين على هذه النهضة، فما هو السبب الحقيقي في تخلفنا العلمي والتقني، فإلى أين نسير؟ وكيف نحدث طفرة نوعية حقيقية نستفيد بفضلها من الخبرات والكفاءات المتميزة بين أعضاء هيئة التدريس أو من الباحثين؟ وكيف نتفادى من الارتجال، وننتهي إلى عالم المخططين؟ وكيف يحصل للجامعة أن يكون لها مناخ يجسد هدفها الأسمى، في أن تكون بالفعل جامعة بحثية، وكيف نعرف أن البحث العلمي أهم وسائل تقدم الأمم وتطورها؟ وكيف نجسد شعار "المعرفة والابتكار طريقنا إلى المستقبل"؟ وكيف يمكن أن يتطور البحث العلمي ونقدر جهد الباحثين؟ وكيف نردم الفجوة العلمية التي تفصلنا عن الدول المتقدمة؟ وكيف نستوعب أن الغرب لا يعطيك سر صناعة الآلة التي يبيعها؟ فليس من العادة أن يساعد التاجر زبونه على الاستغناء عن بضاعته، وكيف يمكن الوعي أننا لا نريد من يصطاد لنا؛ نريد من يعلمنا طريقة الصيد، وهذا ما يرفضه الغرب؛ لأنه يعرف أن الخلق والإبداع يعتبر من العناصر الأساسية للانتقال نحو مجتمع المعرفة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

أليس من المجدي انتهاز استراتيجية علمية تقانية (تكنولوجية) وتنمية اجتماعية اقتصادية موحدة لرد التحديات الكبرى التي يواجهها البحث العلمي؟ أليس من المفيد أكثر أن نبدأ بتعلم الحرف أولاً، بالاعتماد على التعليم التقني كما فعلت الدول الآسيوية؛ وإحداث التزاوج بين العلم والحرفة وربطهما بواسطة البحث العلمي التطبيقي؟ أليس من المفيد أكثر أن نكون على وعي بالمعوقات التي أدت إلى تراجع مكانة البحث العلمي في أوطاننا، بعد أن عرفت في حقبة ماضية ازدهاراً؟ ألا يمكن الحد من الهجرات الجماعية لباحثينا إلى الغرب بعد أن تعددهم بلدانهم ويصبحوا مادة صالحة للإنتاج فيستغلون ممن لم يَكُونوهم؟ أليس من المفيد التفكير الجدي في الاستثمار في البحث العلمي، وصرف الأموال في ما يرفع مستوى البحوث؟ ألم يحن وقت التفكير في استغلال عائدات البترول؛ وهي أموال كبيرة مكدسة في كثير من الدول العربية؟ ألا يجوز أن تستغل أموال الأوقاف في البحث العلمي، وهي أموال لا تنفد في معظم الدول العربية؟ أسئلة كثيرة من خلال هذه الفرضيات التي أعالجها في متن العمل بالتحليل والإحصاء، وأعرج في خاتمته على تقديم توصيات ومقترحات أراها تسد الفراغ الذي يشك في منه قطاع البحث العلمي في أوطاننا. وبذا تنتشر محددات الموضوع إلى:

معنى البحث العلمي:

يعرف المختصون البحث: بأنه مجموعة من الاجتهادات المنظمة التي يقوم بها الباحث مستخدماً الأسلوب العلمي، وقواعد الطريقة العلمية في سعيه لزيادة سيطرته على بيئته واكتشاف ظواهرها، وتحديد العلاقات بين هذه الظواهر. العلم: هو المعرفة المنسقة التي تنشأ من الملاحظة والتجريب. وأما غايته فهو تجديد أصول الظواهر وطبيعتها التي تخضع للملاحظة والدراسة.

البحث العلمي: تلتقي معظم التعريفات حول الإلحاح على دراسة مشكلة ما؛ بقصد حلها وفقاً للبحث العلمي باعتباره وجهاً من أوجه النشاط المعقدة المحيرة؛ يهدف إلى زيادة معرفة الإنسان، واكتشاف الحلول التي تظل غير واضحة المعالم كل الوضوح في أذهان من يمارسونها، فهو نشاط يمكن أن يزاول بنجاح من الناحية النظرية في أي مجتمع، باستقصاء منهجي في سبيل

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

زيادة مجموع المعرفة العلمية وتقنياتها؛ للوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها باسم المنهج العلمي "... إنه كل نشاط ذي منهج يهدف إلى إنتاج معارف جديدة ترتبط بفهم الإنسان للظواهر الطبيعية ويؤدي في النهاية إلى رفع قدرات الإنسان على التحكم في هذه الظواهر والسيطرة على الطبيعة"¹ وهكذا نرى أن البحث العلمي واحد من أوجه النشاط المعقدة التي يمارسها العلماء باستقصاء منهجي في سبيل مجموع المعرفة العلمية وتقنياتها، ويطلق على العلم المعني بطرائق وأساليب البحث في العلوم للوصول إلى الحقيقة العلمية أو البرهنة عليها اسم (علم مناهج البحث (Méthodologie). وهو المفتاح لولوج عالم الغد، ضمن سلسلة متكاملة تخص كل القطاعات "يعد البحث العلمي مجالاً لا يرتبط بذاته، بقدر ما يمثل جزءاً لا يتجزأ من حلقة متكاملة من القطاعات المترابطة والمتشابكة فيما بينها إلى درجة يصعب فيها تناول إحداها بمعزل عن الأخرى. فالبحث العلمي باعتباره أهم ركائز نهضة المجتمعات وتقدمها يمثل نسقاً اجتماعياً تؤلفه جملة من المجالات والميادين التي تتفاعل ضمنه وتعمل فيه، فيكون بذلك البحث العلمي تنوياً لصيرورة تقدم تلك المجالات المؤلفة له"² ويتطلب البحث العلمي ما يلي:

- الكشف عن مصادر بحثه.
- تطبيق تجربته المدروسة.
- الخروج من دراسته بتفسير محدد للأهداف.
- نقل هذا التفسير بعرض مكتوب بلغة علمية دقيقة.

¹ الجمهورية العربية السورية، الموسوعة العربية ط1، دمشق: 2001، المجلد الرابع، ص 727.

² عائشة التايب "البحث ولتكوين الجامعي العلمي في العالم العربي" مجلة الحقيقة. الجزائر: 2005 جامعة أدرار العدد 6، ص 2.

وهكذا كان الحال عند العرب الأوائل، فأبدع جابر بن حيان باستعمال المنهج، كما اعتمد ابن الهيثم على التجربة والاستقراء، وخرج ابن سينا بنظريات علمية محددة، ونقل الرازي والزهراوي كل ذلك بلغة علمية رصينة، فمن مآثرهم العلمية تأسيسهم منهجية البحث العلمي التي قامت على المنهج التجريبي الاستقرائي.

أنواع البحث العلمي:

تتص الدراسات المعاصرة على أن البحث العلمي له أهميته الخاصة؛ باعتباره يتيح للباحث الاعتماد على نفسه في اكتساب المعلومة، ويدربه على الصبر والجد والإخلاص، كما يكون علاقة وطيدة بين الباحث والمكتبة، ويسمح للباحث بالاطلاع على مختلف المناهج واختيار الأفضل منها، ويساعده على التعمق في الاختصاص، وعلى تطوير المعرفة البشرية بإضافة المبتكر إليها، ويجعل من الباحث شخصية مختلفة من حيث التفكير والسلوك والانضباط والحركة، وهذا في كل أنواعه المعروفة، التي يقسمها المختصون إلى ثلاثة أنواع:

النوع الأول - البحوث الأكاديمية: ما يؤدي إلى تكوين معارف جديدة، وتسمى البحوث الأساسية التي تؤدي إلى اكتشاف مزيد من الحقائق العلمية.

النوع الثاني - البحوث التطبيقية: ما يخدم خطة الاقتصاد، وتوجه إلى تطبيق وتطوير استثمار نتائج البحوث الأكاديمية لخدمة الإنسان ورفاهيته.

النوع الثالث - بحوث التطوير: نقل التقنية (التكنولوجيا) وتطويرها لمصلحة البلد المنقول إليها، وتهدف إلى إدخال تحسينات أو إضافات صغيرة أو كبيرة على آلية الإنتاج القائم؛ بحيث تزداد كفاءتها، وغالباً ما تأخذ شكل التطورات التقنية (التكنولوجية).

وهكذا نرى أن هذه الأنواع متكاملة، فيمتد طيفها من البحث الأساسي (الأكاديمي) مروراً بالبحث التطبيقي، وصولاً إلى تطوير مواد وعمليات ونظم وخدمات جديدة. وكان يجب التركيز على الأبحاث العملية التطبيقية؛ لإن نتائجها ملموسة للمواطن العادي، وتصب مباشرة في طريق يؤدي إلى ازدهار الاقتصاد الوطني.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فيما يخص الوطن العربي يعرض تقرير التنمية البشرية العربية رؤية استراتيجية لمحاولة إقامة مجتمع المعرفة في البلدان العربية الداعية إلى حرية البحث والتعبير والتنظيم، وضمانها بالحكم الراشد، ونشر التعليم وتطويره وتوطينه، وبناء قدرات البحث العلمي، والتحول نحو نمط انتاج المعرفة، وتأسيس نموذج عربي أصيل. وفي كل المحاولات التي تخطوها الدول العربية تؤسس خلايا البحث، ولكنها تعجز وتخفق في إصابة الهدف؛ لضعف مناخ الإبداع والمبدعين بوجه عام، واستمرار ثقافة التلقين والترديد التي تسود مؤسساتنا التعليمية والثقافية، أضف إلى ذلك ما يسجل عليها من قلة الأطر المتفرغة للبحث العلمي، وقلة المراكز التي تعالج ميدانياً مشاكل حادة كالأمراض، وأبحاث النقاثة (التكنولوجيا) المتقدمة، وقلة الأموال المستثمرة في الدراسات والبحوث والمراكز الإحصائية الدقيقة، والصفة المؤقتة والآنية لوجودها، وغلبة الناحية النظرية، والانعزال أو عدم التنسيق بين المراكز، وعدم تغيير الذهنية العربية في التمسك بالنتيجة فكرياً وإنتاجاً. ويسجل التقرير بكل أسف الافتقار إلى المعايير العلمية والضوابط الصارمة في التخليط بين مؤسسات البحث والمؤسسات المسؤولة عن تطبيق نتائج البحث...

ومن هنا تُجمع كثير من الدراسات على أن الأقطار العربية تعاني من تبعية وانقسام وتفكك، وعدم سيطرة فعالة على مواردها وسوء توزيع ثرواتها وأموالها التي تستثمر في الدول الغربية أو تكس في بنوكها، والمشكلة الكبرى أن أبحاثها تصب في الميدان الثالث أي في بحوث التطوير، الذي يهتم بالصناعات التحويلية والتركيبية؛ وهو ميدان يتحكم في المنتج الأول صاحب براءة الاختراع، ومع ذلك فإن مستوى إنتاج التركيب والتحويل في بلداننا تبقى وثيرة مخرجاته متخلفة مقارنة بسرعة تطورها في بلدان أخرى.

واقع البحث العلمي في الوطن العربي:

إن البحوث العلمية تُبَيِّن ما وصلت إليه الأمم والشعوب من تقدم في مختلف المجالات والدروب، فيجب أن نفقه من البداية ماذا نريد من البحث العلمي، وماذا يمكن له أن يقدم لنا ولمجتمعنا؛ فعلاً وممارسة وأهدافاً؛ فمقارنة بسيطة بين البلدان المتقدمة صناعياً وبين البلدان النامية يُظهر البون شاسعاً بين هاتين المجموعتين من حيث عدد الأطُر المتفرغة للبحوث العلمية، ومستوى تأهيلها وقدرتها وخبرتها الميدانية، وكذا الظروف الإدارية، وشبكة المعلومات التي تحيط بالأبحاث العلمية، وتشير بعض المؤشرات إلى أن بعض الدول الغربية تعيش وضعاً مالياً جيداً، ويعود ذلك إلى الاستفادة من مجال تفوق هذه البلدان في عناصر القوة الإنتاجية، إن أبحاث الجامعات العربية تتجه في الغالب نحو العلم البحت (الأكاديمي). ففي التقرير الأخير "الذي أصدرته منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة (اليونسكو) عن حالة العلوم والتكنولوجية والبحث العلمي في العالم، يحتل الوطن العربي المكان المعتاد؛ وهو في الأسفل. ومع أن التقرير يركز على النهضة العلمية الكبيرة التي تشهدها قارة آسيا بقيادة الصين والهند وباكستان وماليزيا وكوريا وإندونيسيا، وبالطبع اليابان، فإن الوطن العربي يبدو خارج إطار الصورة تماماً"³. ومع أن 90% من النشاط البحثي العلمي اليوم يجري في اليابان وأوروبا بشطريها الشرق والغربي وأمريكا الشمالية، فإن هذا لا يعني استحالة تطوير نشاط بحثي هام في مناطق أخرى من العالم"⁴. وهذه المؤشرات الإحصائية تدل على الضعف في كل مجال، ففي ميدان التمويل نجد الدول العربية تتفق على البحث 0,2% من التمويل العالمي، مقابل 7% لإسرائيل و4% للمكسيك. وتملك الدول العربية 136 باحثاً لكل مليون مواطن، مقابل 1395 عالماً في إسرائيل. وهكذا ففي الوقت الذي تتسابق فيه دول العالم المتقدمة بتخصيص المبالغ الضخمة من أجل البحث العلمي والتطوير والإبداع، نجد واقعنا محزناً في مجالات البحث العلمي، وبعيداً

³ باقر محمد علي "العالم العربي في مؤخرة سلم العلم والتكنولوجيا" الموقع: www.jordanplanet.net

⁴ مصطفى عمر التير "البحث العلمي في الوطن العربي ملاحظات مبدئية حول الواقع والطموحات" مجلة الوحدة.

الرباط: 1990، المجلس القومي للثقافة العربية، العدد 72، ص 7.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

كل البعد عما يجري في العالم الخارجي بسبب المبالغ الضئيلة التي خصصت للبحث العلمي والتي بلغت عام 2004 نحو 1,7 مليار دولار، أي ما نسبته 0,3% من الناتج القومي الإجمالي، في حين خصصت إسرائيل 6,1 مليار دولار، أي ما نسبته 4,7% من ناتجها القومي الإجمالي؛ لنتأمل الفرق الشاسع في ذلك⁵. وهذا الخلق أو هذا الابداع يجب أن يطبع كذلك البحث العلمي، الذي على البلاد أن تخصص له في رأي المهدي المنجرة على الأقل 0,3% من الناتج الداخلي الخام⁶. ومن هنا يبدو واقع البحث العلمي في البلاد العربية يعاني من شح الإنتاج وضعف في مجالات أساسية، وشبه غياب في حقول متقدمة مثل المعلوماتية والبيولوجية الجزيئية. ويحتضر الإنتاج الأدبي من قلة عدد القراء بسبب الأمية، وضعف القوة الشرائية للقارئ العربي، فلا يتجاوز الإنتاج العربي في مجال الكتب 1,1 من الإنتاج العالمي، مع أن العرب يشكلون 5% من عدد سكان العالم. وإذا نظرنا إلى مظهر آخر من مظاهر التقدم العلمي والتقني؛ وهو عدد المقالات العلمية والتقنية المنشورة في دوريات علمية محكمة، فإن الباحثين والعلماء من البلدان العربية في مجموعها قد نشروا 3416 مقالاً أو بحثاً علمياً في عام 1999 وفقاً لبيانات البنك الدولي، مقابل قيام العلماء والباحثين الإسرائيليين بنشر 5025 مقالاً أو بحثاً علمياً في العام نفسه. وبالرغم من جملة المواقف من هذه الإحصائيات والتي تتفاوت بين مؤيد ورافض، نلمس إشارات تدني مستوى واقع التعليم العربي برغم كل الجهود المبذولة، "وتشير أكثر التقارير إلى إشكالية المحتوى والكيف، التي لا تزال مفتقدة إلى درجة كبيرة، وإلى قضية الجودة"⁷. هذا مع أن قطاع التربية والتعليم في كثير من البلاد العربية يحتل الرتبة الثانية في موازنات الدول العربية، فالجزائر مثلاً ترتب في المرتبة 108 بين دول العالم من حيث معدل الإنفاق على التربية والتعليم⁸. وإذا ذكرت الجزائر فلأني أعرف الجهد الذي تبذله تجاه التربية والتعليم؛ فتسعى من خلال برامجها التعليمية

⁵ ع/ WWW.elap.com

⁶ ع/ ادريس ولد القابلة في موقع Okdriss@hotmail.com

⁷ تقرير: برنامج الأمم المتحدة عن التنمية البشرية العربية لعام 2002، ص 49.

⁸ Rapport mondial sur le développement humain, publier pour le programme PNUD. Paris: 2004 p 173.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

للارتقاء إلى مصاف الدول المتقدمة، وهذا عن طريق الوكالة الوطنية لتنمية البحث العلمي وهي تنجز الأبحاث ذات الطابع التطبيقي، ولها دراسات راقية حول الطاقة الشمسية. وتبذل جهوداً في سبيل تعزيز اقتصادها، مسخرة لهذا الغرض كل الإمكانيات الفكرية والعلمية المتاحة؛ حيث يساهم البحث العلمي بفاعلية في تحصيل المعرفة والخبرات بتطوير التعليم والتكوين، والنهوض بالبحث العلمي وتطوير التقنية (التكنولوجية) لدفع تنمية الاقتصاد الوطني، وتمكينه من التأقلم مع التحولات العالمية. ومع كل ما تنفق فهي من الدول التي تغدق على التربية والتعليم مقارنة ببعض دول أمريكا اللاتينية، بله الحديث عن دول الشمال. ولا شك أن مجال تمويل التربية والتعليم والبحث العلمي يبقى من الشروط الموضوعية لازدهار البحث العلمي، وهذا ما أبانته التقارير من قلة الانفاق على البحث العلمي في الوطن العربي، فالنسبة المخصصة للبحث العلمي لا تذكر مقارنة بالمقاييس العالمية. ونعرف جميعنا أن البحث العلمي في دول العالم وجامعاتها يشكل مرتكزاً رئيساً لإحداث أي تطوير، إضافة إلى كونه محركاً فاعلاً لمجريات الأحداث بالمجتمع، وعاملاً هاماً من عوامل البناء في أية دولة، والشواهد لدول ناهضة اعتمدت التعليم والبحث العلمي خير دليل على ذلك، سواء أكان ذلك في دول أوربية أو آسيوية. ووفقاً للإحصاءات المفزعة يتأكد لنا عدم اهتمام الحكومات العربية المتعاقبة بمجالات البحث العلمي والتطوير والإبداع في شتى فنون العلوم، أو يمكن أن نقول: إن هذا التفوق الصارخ يظهر الخلل الذي يلحق بنا وبحكوماتنا بانتهاء مقومات البحث في بلداننا. وهكذا يُعتمد في الوطن العربي التواكل في كل شيء، وخلق أسباب واهية لشرح الواقع المر في صورة وردية وعدم الشعور بالمسؤولية، ف 10 مليارات دولار في العام هي تكلفة تحلية المياه في الوطن العربي وتقوم بعملية التحلية شركات أجنبية، وكان يمكن لبعض الدول العربية أن تحصل على جزء من هذه الاستثمارات لو حاولت اختراق هذا المجال، وإن الاستفادة من أمثال هذه العمليات تعمل على دعم البحث العلمي في الوطن العربي، وعدم الاستفادة من مثل هذه المشاريع يؤثر سلباً في البحث والباحث، ويصاب الباحث بحالة إحباط شديد عندما يرى تلك الأموال تهدر خارج بلاده، بل ويمتد هذا الإحباط إلى الأجيال القادمة من الباحثين الذين ينظرون بعيون سود إلى أوطانهم، فأين الحل؟ فهل الحل في

الهروب إلى خارج الوطن؟

هل نملك البحث العلمي؟

انطلاقاً من الواقع الذي شخصته عليّ أن أقول: هل هناك إيمان بأهمية وضرورة البحث العلمي عندنا؛ لأنه لا يمكن للبحث العلمي أن يتطور بنفسه إلا في إطار مجتمعي أريد له داخل ذلك الإطار، ولا يمكن الحديث عن البحث العلمي وهو ليس في سلم الأولويات، ولا يمكن الحديث عن امتلاك البحث العلمي ونحن نعاني ضعفاً في العلوم الاجتماعية، لغياب إشكالية النجاعة والجدوى. وإن تحقيق البحث في عموميه يحدث على طريق التقدم العلمي والبحث المستمر، فهل نحن نساير ذلك التقدم، أو حاولنا تطويع التقدم بما يلائم ظروفنا؟ وهل طمحنا أن نساهم في إثراء المعرفة الإنسانية في مجال التقنية؟ فكيف يخرج جيلٌ من الباحثين قادرٌ على النهوض بالبحث العلمي، وهو في الأساس لا يعرف كيف يبتكر ويستنتج المعلومة، ويصل إلى الحل بنفسه، فهل يمكن أن نملك البحث العلمي إذا ركزنا اهتمامنا في الميدان الثالث الذي لا يترك لنا مجال البروز، فنبدع ربّما في الصناعات التحويلية، التي هي آنية مرتبطة بالسوق؟

وإذا عدنا إلى الفرضيات التي طرحتها في مقدمة العمل، أرى من خلال هذا التشخيص واقعاً متدهوراً في عالم البحث والتقانة (التكنولوجية) باستعراض المؤسسات التي تعمل في هذا القطاع، فكثير منها تعمل على التكرار والاستتساخ، وإذا أجرينا المقارنة بينها وبين غيرها في البلاد الأوروبية مثلاً أو في آسيا نجد اليون شاسعاً في أننا لم نقدّم ما يمكن أن يدخل في البناء الحضاري في تقانة (تكنولوجيا) العصر، وهذا يؤدي بنا إلى أن الأرباح التي يُدرّها هذا القطاع أقلّ ممّا ينفق عليه، أضف إلى ذلك هشاشة المنتج الوطني، والذي لا يقارن بالمنتج الأجنبي سعراً وقوةً وجمالاً، ولذا ننفر من المنتج المحلي بحثاً عن الأجنبي لأنّه أحسن من المحلي، وأشدّ قوة، وأكثر تحملاً، ونشأت لدينا ثقافة: أختار الأفضل = سلعة أجنبية = بضاعة مستوردة...

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

هي أوجاع شديدة، جعلتني أتغاضى عن بعض منها، وأنشد الأمل في المستقبل، بالحديث عن كيفية النقادي منها السلبيات، ودخول عالم العولمة من باب النَّدية عن طريق تفعيل البحث العلمي في اللغة العربية. وأتحدث عن مستلزمات البحث؛ وهي **الحلقات المفقودة**، وتتمثل لي في هذه النقاط:

1. **ضرورة الاهتمام باللغة العربية أولاً وقبل كل شيء:** يجب أن يكون لنا تصوّر منطقي أن البحث في الآليات الداخلية للغة العربية هو الضرورة الأولى، أي أن يكون البحث في اللغة العربية في ذاتها لتصبح لغة الحوار والمنطق والرقمنة والزمن، ولتكون لغةً يتساوى فيها المضمون مع الواقع، فالحقّ يقال إننا ما نزال نستعمل لغة أدبية عقيمة من العلمية، لغة فيها بعض الثغرات في مجال الخطاطة، فلم نبحت بالقوة المطلوبة لتجديد آلياتها لتكون لغةً علمية في مواقع العلمية، ذات مصطلحات علمية تبتعد عن التعبيرات البلاغية واللغة الشعرية والأدبية، وتكون لغة برهانية عقلانية محاجة. ونعني باللغة العلمية: الاهتمام بالنصوص الأصلية العلمية، ومهارات التحرير، والتطوّرات الشاملة لمهارات الاتصال، وحسن الدراية، وتحليل قرائن الكلمات، وإظهار كيفية استعمال الكلمات الجديدة في السياقات المختلفة، وبعدّ الإنترنت أحد أبرز عناصر اللغة العلمية من حيث البرمجة وطريقة الحياة والاسترجاع، فهو لغة علمية إيقاعية عصرية، فتحتاج اللغة العربية أن تنغمس وتغطس فيه بقوة، فلغة العلم إذن هي قضية وجود لغة عربية من عدمه، واللغة كما نعرف غير ساكنة في ذاتها، وهي مظهر من مظاهر الابتكار، فإذا هجعت قوة الابتكار توقفت عن مسيرتها، وإذا راود النعاس قوة الابتكار نامت، وينومها يتحول الشعراء إلى ناظمين والفلاسفة إلى كلاميين. هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب أن يكون العمل والبحث باللغة العربية أي بذاتها، فجميع دول العالم تدرّس المواد العلمية ومنها الطبّ بلغتها القومية، وتبنى مؤسسات البحث العلمي من أجل لغاتها، باستثناء الدول العربية التي خرجت عن القاعدة، ما عدا التجربة اليتيمة التي تنفرد بها سورية، وهي تجربة ناجحة ممتازة، علماً أن العربية لها إمكانات عملية كبيرة لوضع المصطلح، أضف إلى ذلك غناها ومميزاتها الصرفية، كما يدخل هذا في مسألة ردّ الاعتبار للغة العربية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وهناك كثير من المختصين الذين يردّون تدهور اللغة العربية إلى تدريس المواد العلمية بغير العربية، وبذلك نجد الطلاب أنفسهم يشعرون بنوع من النقص تجاه هذه اللغة التي لا يصادفونها إلا في الآداب. ألم يأت الأوان أن نتجاوز مجال المناشدة والتوسّل ودعوة الجهات المسؤولة للقيام بواجبها تجاه لغة الضاد، إلى استصدار قرارات مسؤولة، ووضع استراتيجيات وتشريعات قانونية ملزمة، ولسنا أقلّ من فرنسا التي استصدرت قراراً من الجمعية الوطنية باحترام اللغة الفرنسية والحفاظ على سلامتها ونقاها، وعدم المساس بهيبتها وسمعتها، وأعتقد أنّ هذا الأمر لا يحتاج إلى نقاش، ولا إلى نقله إلى مجال الحوار، فالأمر محسوم وهو الالتزام بالقوانين فقط.

والحقيقة أنّ الحديث اليوم عن ثقافة جديدة هي الثقافة العلمية، وعن مجتمع جديد وهو المجتمع العلمي التقني، يتطلّب مراجعة نقدية شاملة لوجهات نظرنا من اللغة العربية أولاً. وإنّ الشرط الجوهري للمضي قدماً في طريق تحديث المجتمع هو أن يكون باتجاه الاستدامة، وتجديد النظام التعليمي في الاتجاهات الأكاديمية كافة، مع المحافظة على ما هو إيجابي. وعليه فإنّ بعث العربية حية، قادرة على تحديات العولمة، يجب أن يكون على ثلاثة أسس؛ أولها: ضرورة العودة بها إلى أصالتها، فكّل بناء جديد يجب أن يؤسّس على أصل متين وثابت، وثانيهما: إثبات قدرة اللغة العربية على التفاعل مع التجربة العلمية العالمية الحديثة واستيعابها للحضارة الغربية قديماً وحديثاً، وثالثهما: تفعيلها من أجل التعبير عن تطّعات وآمال الشعوب العربية، بتحقيق وحدة قومية لها خصائصها ومقوماتها المتميزة. وعلى حكومات الأمة العربية أيضاً العناية بعلمائها وأدبائها وشعرائها ورجال الفكر فيها، وسنّ ضوابط تلزم أبناء الوطن للتعلم بها، وأية مخالفة من لدن بعض المتقيقهين باللغة الأجنبية تفرض عليهم غرامة مالية، ومن ثمّ تسييج العربية بسياج يقينها من عبث العابثين، وشروذ الشاردين فيعلو شأنها⁹. وإنّ اللغة العلمية تمثّل الأمل في التصديّ لكلّ العقبات، وفي إحداث التكامل بين العلوم. ثم إنّ الاختراع بلغة ما، يعمل

⁹ www.Diwanalarab.com.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

على نشرها ومدّها بأسباب الحياة، وعليه إن أردنا الارتقاء بلغتنا العربية التي فيها من أسباب النمو ما يحفظ شبابها، فعلينا ربطها بالتقنيات الحديثة في مختلف المجالات: في تدريسها وفي ترجمة ومعالجة النصوص التراثية، وأن نعمل فيها وبها، لطّي الأقوال: إنّ اللغة العربية عاجزة عن مواكبة الثورة العلمية الحديثة، وغير قادرة على اكتساب المصطلحات المستحدثة، فبات استعمال اللغات الأجنبية قوة لا مفرّ منها.

2. ضرورة التخطيط: يجب الاستفادة من الدول التي سبقتنا علمياً، فهي التي تبني أول ما تبني خططاً منهجية مرتبطة بزمان محدّد؛ تعمل على تجسيد دفتر المهام المعدّ لذلك، فالدول المتقدمة لها خطط قصيرة المدى/ متوسطة المدى/ طويلة المدى، وتملك استراتيجية لا مركزية البحوث مثل بريطانيا، وبعضها وسط بين المركزية واللامركزية مثل فرنسا، وبعضها مركزية مثل ألمانيا، وبالتخطيط تتحدّد المعالم بهدف تجسيد مشروع ما، ويسند ذلك التخطيط إلى مركز البحث أو إلى هيئة من الهيئات، أو إلى وزارة التعليم العالي، أو إلى وزارة خاصة بالبحث، وهذا في إطار تحديد المهام الموكولة إلى منجز البحث، وكلّ هذا في إطار تخطيط علمي يراعي التقنيات المحلية المنسجمة مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وتقوم هذه التقنيات لتعرّف مدى صلاحيتها، وسبل تطويرها وتحسينها، ورفع كفاءتها واستبعاد فكرة استبدالها إلا في الحالات الضرورية، ووضع آجال التنفيذ قبل التطبيق ونهاية العمل، والبدء في الجديد. وإنّ التجارب الماضية تشير إلى أن البحث العلمي لكي ينشط في مجتمع معيّن لا بدّ له من بيئة صالحة تتوفر فيها عناصر نجاحه وأهمّها **التخطيط**، ووضع سياسة واضحة فلا بدّ من **سياسة البحث العلمي**، وتحديد أهدافه ومحاوره وموضوعاته، ويجب أن تكون هناك استراتيجية واضحة لدى القطاعات المنتجة والخدمية، وضرورة وجود هيئة تنظم البحث العلمي وتضع أسسه، وتعمل على وضع أولويات بما يخدم التنمية الاقتصادية والاجتماعية والعلمية.

3. أداء الباحث لواجباته: يجب على الباحث أن يتسلّح بأداة البحث وهي الصبر، ورسم سلّم الأولويات، وعدم توسيع دائرة الممنوعات، ثمّ عليه أن يتخلّى عن الفكر القلبي وثقافة الأذن وحضارة اليقين، ويسعى لابتكار جديد لتحقيق معلومة مجهولة، ودينه في كل ذلك أن يعتمد

منهجاً علمياً دقيقاً. وعلى الباحث أن يمارس البحث العلمي في حقل الاختصاص، ويعمل في فريق، ويربط الجانب العلمي النظري بالتطبيقي، انطلاقاً من نموذج يوصل بين الأساليب الوصفية والاختبارية بمنشآت حقيقية موجودة. ولا يقف دوره هنا؛ فعليه أن يمارس سلطته العلمية على طلابه الذين يغرس في نفوسهم حبّ البحث عن المعرفة واكتشاف المجهول، ويعودهم أساليب البحث وألوانه، باللجوء إلى التجارب والرجوع إلى المصادر الأساسية.

4. العمل على تذليل صعوبات الباحث: نعرف جميعاً أنّ متاعب شخصية كثيرة تعلق بالباحث، من مثل الإرهاق بالعمل، وعدم التقرّع للبحث، وانخفاض مستوى الدخل، وتضييع الوقت في قضايا هامشية، إضافة إلى الظروف المحيطة بالبيئة غير الملائمة لتطوير التقنية (التكنولوجيا) في ظل غياب المنافسة وعدم سيادة روح التعاون في فرق البحث، وعدم الشعور بالمسؤولية، وسوء تقدير العمل، والنظرة غير الواقعية للمعرفة العلمية من مثل: تهमيش مؤسسات البحث، والتغيير الدائم لقوانينها، وعدم استقرار الباحثين....، وكلّ الصعوبات الأخرى التي لم أشر إليها تعمل على كبح البحث العلمي. وكان واجباً تذليلها للحصول على نتائج مادية ممتازة، وفي الاعتبار الأهم رفع مستوى كفاءة الباحثين. وإنّ الصعوبات المشار إليها هي مشكلات حقيقية، ولا يمكن التغاضي عنها، بل يجب الاعتراف بها والتحرّك السريع والعمل على حلّها؛ من جانب الحكومة أو من المجتمع المدني، فعلياً أن نتحلّى بروح النقد البناء، وهذا مرتبط بدوره بثقافتنا وعقليتنا التي برغم عظمتها توقفت عند حقبة معينة من التاريخ، وما زالت إلى الآن في سبات عميق، فما العمل لكي نستفيق ونشارك في حضارة العصر، ونضمن الاستراتيجية الكبرى للاهتمام بالبحث العلمي الذي هو رأس المال البشري، وهو القادر على إشاعة الفكر العلمي والثقافة البحثية لدى الناشئة.

5. معالجة قضية هجرة الكفاءات: تعتبر هجرة الكفاءات واحدة من أكثر المشكلات حضوراً على قائمة الصعوبات التي تعاني منها البلاد العربية، وإن مشكلة الهروب من الداخل جرح نازف ينخر جسد الأمة العربية؛ وقد أصبحت الدول العربية بيئات طاردة للكفاءات العلمية العربية، وليست جاذبة أو حاضنة لها، والأسباب كثيرة فأهمها: فقر الإمكانيات ونقص الخدمة الأساسية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

لتطوير البحث وانخفاض مستوى المعيشة، إلى جانب ظاهرة البطالة، ونقص الحريات، وغياب الديمقراطية، وشح التمويل، وعدم توفر المعلومات الدقيقة والوسائل، واستخفاف الإدارة بالباحثين، وانعدام الجمهور المستهلك لمنتج البحث، وانسداد آفاق النشر، والشعور بعدم الارتياح الذي يعتري الباحثين... وهكذا تشير الإحصاءات إلى الوجود المكثف لخيرة الباحثين العرب في أغلب مراكز البحوث بالدول الصناعية المتقدمة، ويشير تقرير التنمية البشرية لعام 2002 إلى وجود مليون عربي يتمتعون بمهارات عالية، ويعملون بالبلدان الصناعية، ففي فرنسا وحدها تشير الأرقام إلى أن نسبة 14% من طلاب الدراسات العليا هم من أصول عربية، وليس من المدهش أن نعلم بأن المدير الحالي للمعاهد القومية الأمريكية للصحة NIH الدكتور إلياس زرهوني جزائري، وصاحب منصب في الحكومة الأمريكية عربي أمريكي هو الدكتور أحمد زويل الحاصل على جائزة نوبل في الكيمياء من أصل مصري، ولقد بلغ عدد منهم مراكز مرموقة في مؤسساتهم. وتشير إحصاءات صادرة عن منظمة الأمم المتحدة أنّ ما يقرب من 50% من الأطباء، و23% من المهندسين، و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية المتخرجة يهاجرون متوجهين إلى أوروبا، وكذا الولايات المتحدة. ونقبل بإحصائية تقول بأنّ 80% من طلبة البلدان العربية الحاصلين على شهادات عليا في جامعات الدول الصناعية لا يعودون إلى بلادهم، علماً أنّ كثيراً منهم يتكونون بالاستفادة من مناهج وطنية¹⁰. وكان يجب السؤال: لمّ تهاجر الكفاءات العربية إلى الخارج؟ لماذا لا يعود ما نسبته 54% من الطلبة العرب الذين يدرسون بالخارج إلى أوطانهم؟

لا ننكر أنّ هذه البلاد تستقطب هذه الكفاءات وتقدم لها المغريات من كل أنواعها، وتوفر لهم سبل الاستقرار والبحث؛ فيقرعون للإنتاج، وبفضلهم تضاعفت قوة البلدان المستقبلية لهم علمياً واقتصادياً ومن هنا يجب أن نعلم أنّ هذا النخر الذي أصبنا به موت بطيء، وقنبلة موقوتة، فسوف تحاسبنا الأجيال على هذا النزف، وتقول: أين الاستقرار السياسي والاجتماعي؟ أين

¹⁰ برهان غليون "في أسباب تأخر البحث العلمي في البلاد العربية" مجلة باحثات، العدد 3، ص 322.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الديمقراطية؟ أين المستوى المحترم لمعيشة المواطن؟ أين تقدير مكانة العلماء؟ لماذا لا توضع الثقة في الكفاءات الوطنية؟ أمن المجدي أن يحصل السكوت عن هذا الاستنزاف؟ ألا يجب أن نصرخ سدوا هذا النزف، لا بد من نظرة جديدة إلى هذا الموضوع، وتوفير النفقات لتحقيق التكامل للجهود العلمية، وتطوير المؤسسات لجعلها حاضنة حقيقية للمواهب العلمية تتيح لها البحث وحرية التفكير، وتساعد على خلق بيئة علمية جاذبة للمواهب، ورفع القيود والحواجز عن الدراسات والأفكار والبحث والنتائج، ومنح أصحاب الكفاءات حوافز وأجوراً عالية، واحترام حقوق الإنسان، والخضوع للقانون.

6. ضرورة تأسيس مدارس الأقطاب: نعرف أن الأمم تتقدم بعلمائها ونخبها، وحان الوقت للاهتمام بالموهوبين وذوي المهارات والكفاءات، وأن "تُعطي لهم فرص أكثر، وتمنح لهم إمكانات تطوير معارفهم، وأن تجمعهم مؤسسات تتولى شؤون ترقية مداركهم، ومنها تأتي النخبة، فإنه لا تقدم للبلد دون نخبة منتجة؛ تعمل على التطوير، وفي كل بلاد العالم لا يبدع كل الناس، وإنما هناك نخبة وفُرت لها الإمكانيات هي المبدعة دون غيرها من العوام"¹¹ وهكذا يمكننا تعزيز الكفاءات الوطنية بتأسيس مدارس الأقطاب، فتحتوي الموهوبين والمالكين للقدرات والمهارات وتعمل على ترفيتها، فهم الذين يقودون دفعة البحث، أي لا بد من خلق النخب العلمية، وإعطائها فرص البروز. ومن هنا نحتاج إلى رؤية علمية تتضح من الحوار بين مختلف أقطاب النخب، إلى الشعور بالمسؤولية العظيمة التي تعلق بالكفاءات الوطنية التي يجب ألا أن تعدم المشاركة الإيجابية في البحث عن الحلول التي تؤدي إلى التفاهم برغم التباين الفكري واللغوي. وكان يجب عليها تجاوز الذات والمغايرة ليحصل شبه اتفاق مبدئي مبني على تصوّر وطني يتعامل فيه المثقف مع محيطه وفق آليات تنوير الفكر، لبناء نظرية معاصرة للثقافة الراهنة لتجاوز همّ التخلف. وهنا يجب على الإنتلجنسيا العربية Intelligentsia

¹¹ صالح بلعيد " هل تكتسب الكفاءة أم تورث؟" مجلة كلية الآداب والعلوم والإنسانية بجامعة تيزي وزو، أعمال ملتقى T. Approche par les compétences. Etant des Lieux et Perspectives ملنقى جرى أعمال الملتقى يومي 1 - 2 مارس 2005.

أن تعمل على التغيير نحو الأحسن؛ للعيش في مجتمع مدني حراكي يبتغي فعل الربط بين الأصالة والحداثة، مجتمع يستمع للرأي والرأي المضاد، مجتمع يريد أن يدخل المعاصرة بروية متينة كي لا يذوب، ويخلق بذلك موقفه الخاص الذي يجعله يتميز على الأغيار.

7. **نظرة جديدة إلى الجامعة والاستثمار البشري:** لا يمكن أن نغفل دور الجامعة الإيجابي المتمثل في قربها من المجتمع والشعور بمشكلاته، وتوجيه وتصحيح خطة البحث الوطني، ومتابعة التطورات العلمية وتحديد اتجاهات التطوير العلمي وطرائق الاستفادة منها، ومتابعة التطورات العلمية، وتحضير الأطر الوطنية الفاعلة. إن الجامعة في أصلها مشعل التنوير للمجتمع، تتأثر وتؤثر فيه، فبقدر استجابة الجامعة لعمليات التأثير وقدرتها على التأثير في محيطها بقدر ما تكون قد حققت أهدافها، وهي في الحقيقة المؤسسة التي يوكل عليها المجتمع أمر مواكبة التطور العلمي في العالم، والعمل على استيعابه بإجراء بحوث ودراسات في مختلف الميادين المعرفية، ولكن هذا الطموح يصطدم بمجموعة من العوائق التي تمنعها من تأدية وظيفتها؛ من مثل الاختلال بين البنية التحتية للتعليم العالي، والزيادة المتسارعة في عدد الطلبة، وقلة في عدد المؤطرين والباحثين، وهذا ما خلف طفرة بين نسبة أستاذ وما يقابله من طالب، حتى أصبح التعليم العالي لا فرق بينه وبين الثانوي، وبذلك نشهد تراجع مستوى مخرجات التعليم العالي من حيث الجودة والنوعية، في الوقت الذي زاد فيه عدد المؤسسات إلى أكثر من 200 جامعة، إضافة إلى ضعف الإشراف والتأطير، وضعف تكوين الأطر، ومن هنا نجد الأساتذة لا يستوعبون ذلك الكم للتأطير، وكان ذلك على حساب النوع، أضف إلى ذلك ضعف قنوات نشر البحوث العلمية، وعدم جدية بعض البحوث، وانقطاع بعضها عن صلتها بالمجتمع، وشيوع البيروقراطية وتسييرها وفق أهواء المنظمات النقابية، وانعدام فضاءات الحوار والنقاش النزيه، والنقد البناء بين الباحثين وصنّاع القرار. وكان الواجب تشجيع المشروعات البحثية بين الجامعات الوطنية والعربية، وتأكيد ضرورة توثيق التعاون بين مؤسسات إعداد المهندسين ومؤسسات الصناعة، وإيجاد ضوابط لترقية الباحثين، واثمين جهودهم، ونقل الندوات في الحقول العلمية إلى كل الجامعات، وإعفاء الكتب العلمية والدوريات من الرسوم

الجمركية، أضف إلى ذلك التحدي الذي كان يجب على الجامعة أن تكسبه وهو طبيعته الرسائل التي تلمس فيها الأصالة، وتلتزم أصول البحث العلمي السليم، وتحترم ضوابطه، ولا شك أن بعضها يضيف حصيلة جديدة ومفيدة للبحث العلمي. وبذا ما زال أمام الجامعة عديد من الأدوار المنتظرة في تعديل طرائق التدريس ومناهجه وموضوعاته حتى تتلاءم نوعية الخريجين مع ما تتطلبه مقتضيات العصر، والمطلوب منها توفير الباحثين وتخرج الأطر الكفّية.

8. استراتيجية تخصّ الجامعة والبحث العلمي¹²: كما رأينا فإن الجامعة ما كان يجب أن تكون محايدة؛ إذا أرادت تكوين الفرد السوي الذي يخدمها ويخدم بلده، باعتبارها تنتج عقل الإنسان ونفسيته وهذا التكوين يعمل على الثراء المعرفي، ويضع الجامعة في مهمتها الأساسية، وهي البحث العلمي؛ لأن الجامعة قبل أن تكون مؤسسة تنشر المعارف هي مؤسسة بحث، وإذا قلنا الجامعة فنعني بها المُسَيّر والأستاذ والطالب وجوّ العمل، والوسائل المهيأة للعمل ولهذا نرى مسار الجامعة العلمي يتمثل في:

- غرس حبّ البحث، وذلك بالممارسة واكتشاف المجهول
- تعويل الطالب على البحث وألوانه باللجوء إلى التجارب
- ممارسة البحث العلمي، كلٌّ في اختصاصه
- التشجيع على ممارسة البحوث في شكل فرق
- ربط الجانب النظري بالتطبيقي، انطلاقاً من نموذج يربط الأساليب الوطنية واختياراته بالمنشآت الحقيقية.
- متابعة آخر المستجدات، وتوجيه الطلاب لملاحقة الجديد.

وإذا استطاعت الجامعة التفعيل ضمن هذا المسار المعرفي فإنها تضمن الديمومة، وينشدها الطلاب والصناعيون، ويزدهر فيها البحث، ويقع تذليل المتاعب المحيطة بالبحث، وتحسن ظروف البحث. أما إذا حادت الجامعة عن كونها مؤسسة بحث، فتصبح مفرخة للبطالين، لا نوع

¹² صالح بلعيد، مقاربات منهجية، ط1. الجزائر: 2004، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 29 - 40.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

فيها ولا مستوى، ويستوي فيها الأستاذ بالعامل، ولا يفرق بين الباحث والإداري في شيء، بل تصبح الإدارة هي المسيرة للبحث، وعند ذلك نعيش ذلك العصر الذي مرّ على أجدادنا ذات قرون، وفيها أظلمت الدنيا على العرب الذين كانوا السبّاقين للبحث، والذين كانت لغتهم لغة عالمية، ويفضل البحث الجدي، ولكن لما طغت القشور واختلطت الأمور، نامت العقول، وساد الظلام والبيات الذي دام قروناً، فهل يعيد التاريخ نفسه! وإنّ التاريخ كما يقول المؤرخون لا يعيد نفسه؛ إذا جمد الناس واستكانوا واستراحوا، وما عملوا على التغيير، واعتمدوا التواكل قبل التوكّل.

الخاتمة والمقترحات:

لم يكن الغرض من هذه الدراسة استقصاء مشكلات البحث العلمي في بلداننا فقط، وإنما التنبيه إلى تلك الأزمات التي يعيشها واقع البحث العلمي في أوطاننا. ويجدر بي التأكيد أنّ البلدان القوية والغنية استطاعت أن تحل ذات المشاكل وبسرعة، ونحن ما نزال منذ أمد لا ندرس موقع الداء، أو نرى الأمراض ونعجز عن إيجاد الدواء؛ لأننا ننظر إلى البحث العلمي على أنه من الكماليات، وأهملناه في العملية التعليمية، وهذا الإهمال كان سبباً رئيسياً في اختزال واجبات الأستاذ الجامعي إلى المحاضرة فقط، وتجاوز ذلك إلى استنساخها ليتابعها الطلبة دون مناقشة.

إن السمة التي يتميز بها عالمنا اليوم هو السباق المتسارع في مجال العلوم والتقانة (التكنولوجيا) بين الدول المختلفة؛ وقد أخذ الكثير منها بمبدأ وضع سياسة للعلم والبحث العلمي لخدمة أغراض التنمية، فأخذت الدول العربية بإنشاء مراكز البحوث والاستشارات، فهذا استثمار حقيقي لإمكانات البحث، كما عملت على إنشاء قاعدة تقنية محلية متطورة تساهم في نمو البلاد، وهو استثمار آخر في بيئة البحث الذي يقتضي إيجاد بيئة مناسبة تسمح بالمبادرة والنقد والتفكير الحر، ولكن هذا لا يكفي لأن التأخر الذي لحقنا لا يُستدرك بوضع هذه الآليات، بل بتفعيلها وإيجاد وسائل عملية وفاعلة للتنسيق، والاستخدام الأمثل للإمكانات المادية والبشرية والعلمية، وتحريك كل الدواليب المساعدة لاستدراك الذي فات.

نقول عندنا: الصراحة راحة، فعلياً الإقرار بأن هناك ضعفاً خارقاً في الإنتاج والإبداع العلمي في المجتمعات العربية؛ بسبب عدم إيلاء البحث العلمي مكانته، مما أدى إلى تأخر عن ركب الحضارة الإنسانية، فمجال البحث العلمي يتطلب الاستثمار في التراكمات المعرفية، للرفع من مردود ما يسمى بالسياسة العلمية، ويجب الخروج من الصورة التقليدية للبحث، وعدم الاستساخ والتكرار؛ لأن واقع البحث العلمي ببلداننا لا يتناسب إطلاقاً مع الإمكانات البشرية والمادية التي يمكن توفيرها. ومهما يكن من أمر فلا يمكن انتظار تطور البحث العلمي ببلداننا، إلا إذا تخلينا عن أساليب التعليم التقليدي، وإطلاق العنان والفكر والتأمل والإبداع، لانطلاقة سيروية توطيد

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ثقافة البحث الجدي الذي منطلقه الشك والتجربة. ويجب سد الفجوات التي تفصل أنشطة المؤسسات البحثية عن متطلبات التنمية، ولا يمكن أن يتقدم البحث العلمي في ظل غياب التحدي، وعدم الاحتكام للتنافس، والانغلاق على الذات، كما لا يمكن أن يتقدم البحث العلمي بعدم تجسيد حقيقي لمدارس الأقطاب، وإذا لم يقع الاهتمام بالترجمة، ولا يتقدم البحث العلمي في غياب الإغداق المادي. وأقترح ما يلي:

1. تمكين أعضاء الهيئة التدريسية من الانخراط في دورات تدريبية لتجديد معارفهم.
2. فتح مجال البحث بكل حرية أمام الباحثين، وعدم الإقصاء والتهميش.
3. تخصيص جماعات ومراكز بحث يتفرغ فيها الأستاذ للبحث فقط.
4. مضاعفة الأجور وإغداق العلاوات التشجيعية للباحثين.
5. الاهتمام بالجودة وتشجيع البحوث الجادة، ونشر البحوث ذات القيمة العالية.
6. إيجاد آليات التنسيق بين البحوث النظرية والمصانع المستفيدة من البحوث.
7. فتح فضاءات الحوار العلمي العربي/ العربي الغربي.
8. فتح قنوات التواصل لعبور الكتب والمجالات والدوريات العلمية.
9. المساهمة العامة في إنجاز الذخيرة العربية التي تمد الإنترنت الغربي.
10. إعطاء الترجمة حقها من الاهتمام.

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التحريب العدد الحادي والثلاثون - كانون الأول / ذو القعدة 2006

بحوث الترجمة

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

علم الترجمة*

ترجمة أ.د. محيي الدين علي حميدي

كلية اللغات والترجمة

جامعة الملك سعود

قد يكون أفضل ما يوصف به المنهج العام كما مُورس في ورشات الترجمة في أمريكا الشمالية، هو ما يقوم به المنظّر الساذج ومناهج البحث الذاتية، التي تميل إلى تعزيز أيّ قيم نظرية يعتمد عليها المترجمون الأفراد، مع أن ذلك قد يفتح آفاقاً جديدة. يلخص جوزيف غراهام Joseph Graham الإسهامات النظرية لمنهج ورشة العمل كما يلي:

لا يسفر عن الكثير مما كُتِبَ عن موضوع الترجمة إلا القليل عند غربلته بحثاً عن محتوى نظري، لأنه كان يُكتب دائماً وكأنه كان يقال في ورشة العمل: قد تزودنا بعض المواقف الفردية وبعض النصائح ببعض المساعدة، ولكنها لا تبلور بالتأكيد النظرية المتماسكة والمتسقة التي تحتاجها الترجمة (غراهام، 1982: 23)

المشكلة ليست مجرد مشكلة آنية عابرة في أمريكا الشمالية، ولكنها مشكلة أقلقّت نظرية الترجمة تاريخياً. لقد مارس الناس الترجمة، ولكنهم لم يكونوا متحققين أبداً من طبيعة ما كانوا يمارسونه. وخلال ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، مضّت ورشة الترجمة في الولايات المتحدة على النهج نفسه. ومن الواضح أن الأمر كان بحاجة إلى منهج أكثر انتظاماً؛ وبدا أن النظام

* هذه ترجمة للفصل الثالث من كتاب Contemporary translation theories الطبعة الثانية لمؤلفه Edwin Gentzler الصادر عن Multilingual matters ltd.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الذي امتلك الوسائل النظرية واللغوية الضرورية لمعالجة المشكلة هو "علم اللغويات".
وُصفت اللغويات حتى بداية ستينيات القرن الماضي بقدر كبير ببحث وصفي جرى فيه تفصيل القواعد منفردة، ولكن لم تُجرِ المقارنة فيما بينها، من ثم كانت قيمتها النظرية للمترجمين محدودة. غير التطوير المتزامن لنظريتين في القواعد جوهرياً مسار نظرية الترجمة؛ وتبقى هاتان النظريتان مؤثرتين حتى اليوم. ويمكن وصف ذروة النظريات المطورة بالنظر إلى: "البنى النحوية" Syntactic Structures لنعوم "تشومسكي" (1957)، و"رسالة ومهمة" Message and Mission ليوجين "نايدا" (1960)، و"نحو علم للترجمة" Toward a Science of Translation (1964)، و"مظاهر نظرية النحو" Aspects of the Theory of Syntax لنعوم "تشومسكي" (1965). أعطى النحو التوليدي التحويلي، ويشمل ذلك شرعيته ضمن حقل اللغويات، تصديقاً (قابلية للتصديق) وتأثيراً لـ "علم الترجمة عند نايدا. اعتمدت نظرية "نايدا" على تجربته في ترجمة الإنجيل؛ وكانت تصورات النظرية واضحة في البحوث التي كتبها في الخمسينيات، وفي كتابه "رسالة ومهمة" (1960). ومع أن "تشومسكي" نشر نسخة أولية من نظريته المسماة "البنى النحوية" في هولندا عام (1975) فإن "نايدا" ادعى أن نظريته في الترجمة كانت متطورة تماماً قبل أن يطور "تشومسكي" نظريته. وفي بحث عنوانه: "إطار عمل لتحليل نظريات الترجمة وتقويمها" A Framework for the Analysis and Evaluation of Theories of Translation يقول "نايدا" ما يلي:

قبل أن يصوغ "تشومسكي" نظرية النحو التوليدي التحويلي، تبنى "نايدا" سلفاً منهجاً يعتمد أساساً البنية التحتية لحل بعض مشكلات التأويل. وفي بحث بعنوان: "منهجية جديدة في تأويل الإنجيل" New Methodology in Biblical Exegesis (1952) نادى باعتماد الترجمة العكسية للبنى السطحية المعقدة على مستوى تحتي تكون العناصر الأساسية فيه المفاعيل، والأحداث، والمجردات والعلاقات. (نايدا، 1976: 71).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ومع ادعاءاته للعكس، فإن نظرية (نايدا) قد تبلورت بإضافة مكون "تشومسكي" التحويلي - إذ اطلع "نايدا" على "البنى النحوية" لتشومسكي ولكن على هيئة نسخة أولية قبل عامين من نشرها رسمياً. قويت مكانة نظرية "نايدا" باعتماد مفهوم "تشومسكي" النظري، وقواعده التحويلية، ومصطلحاته، وفي النتيجة أصبح كتاب "نحو علم للترجمة" الإنجيل ليس لترجمة الإنجيل فحسب ولكن لنظرية الترجمة عامة.

بداية، كان عمل "نايدا" في حقل ترجمة الإنجيل تقوده الممارسة العملية أكثر من المفاهيم النظرية. وكان الإطار التاريخي الذي اعتمده لتطوير استراتيجياته ضيقاً نسبياً، إذ هيمنت عليه ترجمة الإنجيل. وكان الباعث وراء تطوير "نايدا" لعلم الترجمة عدم رضا شخصي لما اعتبره بعثاً كلاسيكياً في القرن التاسع عشر أكد الدقة التقنية، والالتزام الصارم بالشكل، ونقلأ حرفياً للمعنى. ولعل الممثل الأبرز لهذه الحركة في الإنجليزية وفقاً لنايدا هو ماثيو آرنولد الذي كان منهجه بوضوح متحذلقاً ونظرياً كثيراً وفقاً لذوق نايدا، إذ يطالب القارئ بمعرفة الكثير كي يستطيع التعامل مع ثقافة النص الأصلي. ووفقاً لنايدا فإن حرفية آرنولد أثرت سلباً في ترجمة الإنجيل في بداية القرن العشرين. وكمثال على ذلك يستشهد بالنسخة الأمريكية القياسية لترجمة الإنجيل التي، مع شيوعها بين طلبة علم اللاهوت، لم تكن شائعة بين الجمهور الأوسع من القراء. وكتب نايدا: "قد تكون كلمات النسخة الأمريكية القياسية لترجمة الإنجيل إنجليزية إلا أن القواعد ليست كذلك، وتقتصر إلى المعنى الصحيح" (نايدا، 1964: 20-21). أعتقد أن حجج "نايدا" المضادة لمنهج آرنولد يحكمها ذوقه، والرأي العام، وأغراض مشروعه (أي: تحويل الناس إلى النصرانية). إن ما يتضمنه منهجه اعتقاد نصراني بروتستانتي شعبي (وموقف مضاد لا للنخبة الفكرية) بأنه ينبغي للكلمة أن تكون مفهومة للجميع.

وبرغم تصنيفه على أنه مجرد "كتاب إرشادات عملي" ضمن فرع في حقل الدراسات اللاهوتية يسمى "أصول التصير" بسبب العدد الضخم من الأمثلة التي يحتويها، تمتع "نحو علم للترجمة" بمكانة متميزة مؤثرة في حقل آخر ألا وهو الترجمة. لقد ولدت ترجمة الإنجيل كثيراً من المادة العلمية في عدد متزايد من اللغات تفوق أي ممارسة أخرى للترجمة: إذ إنها تتمتع بتاريخ طويل،

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ووصلت إلى مزيد من الناس في عدد متزايد من الثقافات، وشملت مترجمين من خلفيات مختلفة يفوق ما شملته أية ممارسة أخرى للترجمة. وضمن شروط نوع النص أيضاً، تعاملت ترجمة الإنجيل مع كل الأنواع، لأنه ضمن النص يصادف المترجم مقاطع من الشعر، والنثر، والسرد القصصي، والحوار، وأمثلة من الحكم والقوانين. لقد جعلت الكمية الضخمة من الأمثلة واتساع مداها من ترجمة الإنجيل مكوناً لا غنى عنه في أي دراسة لدراسة نظرية الترجمة. ويمكن النظر إلى ترجمة الإنجيل وفق شروط إسهامها النظري وفق مقتضيات مشابهة لإسهامات المنهج العملي المليء بالنواذر الذي يميز نظرية الترجمة الأدبية في أمريكا الشمالية.

حاول "تايدا"، وهو مدرك للطبيعة غير المنتظمة للمنهج الذي توجهه الممارسة، أن يشرع منهجيته علمياً ويطبقها على الترجمة عامة. مع ذلك، فإن معتقداته الدينية، وأهدافه التبشيرية - ومحاولاته توحيد البشر حول اعتقاد عام يقول بعصمة كلمة الله - مع أن ذلك ليس مصرحاً به علناً، تبقى موجودة ضمن إطاره العلمي. وبسبب عظم الأهمية النظرية التي تتلقاها الرسالة الأصلية في أي ترجمة للإنجيل، فإن المبدأ الأساسي المهيمن في نظرية "تايدا" كان مقررًا سلفاً بالتوازي، وهو أنه ينبغي نقل روح الرسالة الأصلية أساساً أثناء الترجمة إلى الثقافات الأخرى. ويبقى دور الشكل الخاص الذي تظهر به الرسالة ثانوياً ما دام معنى الرسالة واضحاً. لقد كان ظهور "تشومسكي" على الساحة اللغوية هبةً من الله لنايدا بالمعنى الحرفي للكلمة، لأنه بدمج إطار "تشومسكي" النظري لم يعد مشروع "تايدا" موجهاً إلى زملائه في الإرساليات التبشيرية فحسب، ولكنه حاول وضع حجر الأساس لجمهور أوسع. لقد أصبح عمله الحجر الأساسي الذي بُني فوقه حقل جديد من البحث في القرن العشرين ألا وهو "علم الترجمة".

لم تكن نظرية "تشومسكي" النحوية والقواعد التوليدية، ولم يُقصد منها أن تكون، نظرية للترجمة. في الواقع، لقد حذر "تشومسكي" من استغلالها لهذا الغرض. تتعلق الأشكال العالمية التي سحرت "تشومسكي" بقدر أكبر بالقوانين التي تبني القواعد، وهي قوانين تسبق أي مفهوم لأي بنية تحتية خاصة بأية جملة بعينها في أي لغة بعينها. تحتوي نظرية "تشومسكي" على ثلاثة مستويات من الأطر المفاهيمية: (1) مكون أساسي يتألف من "قوانين توليد العبارة"، و(2) بنية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تحتية، تتغير بدورها بواسطة قوانين تحويلية، و(3) بنية سطحية. لقد بسط "نايدا" نموذج "تشومسكي" واعتمد المكونين الأخيرين من النموذج فقط في محاولة منه لشرعة علمه. وفي الوقت ذاته، يمكن لمنظري الترجمة استغلال نموذج "تشومسكي" بهذه الطريقة المشوهة؛ ولو لم يقد "نايدا" بذلك لقام به شخص آخر. ومن الممتع ملاحظة أن "فريدريك ويل Frederic Will" ربح بعمل "تشومسكي" بوصفه شاهداً آخر على إمكان "التأويل المتبادل بين كل اللغات"، وجعل القيود المفروضة على إمكان الترجمة "أمرأ يمكن تجاوزه" (ويل، 1984: 86). تعمل القواعد التوليدية على اللغات المختلفة، وتوضح باستمرار الجوانب البنيوية المشتركة بين اللغات. لقد سحرت مثل تلك الجوانب المشتركة "تشومسكي" أيضاً، ولكنه حذر مرة أخرى من التسرع باستخلاص نتائج متسعة لأنه يعرف أن عدد اللغات ضخم جداً مقارنة بأوجه التشابه المكتشفة؛ وأنه لا ينبغي للبنى التحتية أن تشبه أياً من البنى السطحية الموجودة.

ومع تطور النظريتين لأغراض مختلفة، فإنهما يفترضان وجود بنية تحتية متماسكة وموحدة بغض النظر عن الأشكال اللغوية التي تظهر بها في اللغة: ف "لب" و"نواة" و"بنية تحتية" و"جوهر" و"روح" كلها مصطلحات استخدمها نايدا، العديد منها مستمد من "تشومسكي". ومع أن "تشومسكي" ابتعد لاحقاً عن استخدام مصطلحات مثل "نواة" (ما زالت موجودة في كتابه "مظاهر النظرية النحوية"، ولكن دورها يتلاشى باستمرار) فإنه مازال يستخدم مفاهيم مثل: "المكون الأساسي" و"العالميات الرسمية/الشكلية" التي هي "فطرية" عند البشر وموجودة في كل الثقافات. أدلى كل من "تشومسكي" ونايدا بادعاءات غيبية حول موضوع بحث نظريته؛ إذ سبرت لغويات "تشومسكي" بنى العقل وغيرت مركز بحث علم اللغويات في العصر الحاضر، في حين فحصت نظرية الترجمة عند "نايدا" البنى التحتية الموجودة في كل اللغات وأوجدت وسائل لتحويل هذه الكينونات بين اللغات المختلفة. يحاول كل من المنهجين توضيح أنواع مختلفة من المواضيع في مركز بحثه: فالأول يحاول إثبات وجود قوانين عالمية من القواعد وأشكال معجمية عالمية أيضاً، في حين يدلي الآخر بادعاءات غيبية حول رسالة سماوية أصلية. أعيدت الحيوية لكل من علم اللغويات ونظرية الترجمة بهذين المنهجين (تشومسكي ونايدا). يمكن تكييف نموذج "تشومسكي"

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

المعتمد على البنية التحتية/ والبنية السطحية، وقوانينه التحويلية، مع اشتقاقها اعتماداً على لغة واحدة، لتبرير نظرية للترجمة. وسواء قبل المرء أفكار "تشومسكي" عن كيفية بناء البنى العقلية أم لم يقبلها، فإن بناء التحتية، المفترض فيها أن تحتوى على كل المعلومات النحوية والدلالية الضرورية أيضاً لحصول التحول الصحيح من البنية التحتية إلى البنية السطحية والتأويل أيضاً، يمكن تكييفها جيداً من قبل ممارس الترجمة الذي يحاول تمثيل الرسالة "التي تحتية" في لغة ثانية.

أود أن أضع على طاولة النقاش موضوع علم الترجمة نفسه الذي يدّعي أنه يسبر أغواره. هل حُدد بدقة؟ يدلي "تايدا" بادعاءات نظرية، ولكن ألا يوجد هناك عامل خفي يؤثر في نظريته؟ ما هي التصورات التحتية؟ هل يمكن أن يكون هناك "علم" للترجمة؟ ووفقاً لشروط أهميته في الحقل لا يمكن التقليل من شأن علم "تايدا" لأن منهجه يُدرّس الآن في قاعات الدرس في كل من ألمانيا والولايات المتحدة. ففي سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين أصبح "علم الترجمة" (übersetzungswissenschaft) في ألمانيا المنهج الذي هيمن على تدريس الترجمة على المستوى الفكري والعملية. وفي الولايات المتحدة الأمريكية، ولدَ ظهور "علم الترجمة" عند "تايدا" كتباً مدرسية، ومعاهد لغوية، ودوريات محكمة تسيطر الآن على المناخ الأكاديمي. يبدو أن ثراء المعلومات اللغوية، والأمثلة العديدة، والأجهزة والحاسبات والصيغ الرياضية المستخدمة قد استخدمت عمداً لإخفاء شيء واهنٍ جداً حول العلم ألا وهو منطلقه النظري. أمل أن يكون بوسعي توضيح أن علم الترجمة هو بحد ذاته نشاط مزدوج: ففي عملية كشف معلومات جديدة وحلّ مشكلات تتعلق بالترجمة، يقوم في ذات الوقت بطمس بعض الجوانب الموروثة في طبيعة الموضوع الذي هو في قيد الدرس. فإذا ما كان ضرورياً أن تهدم الترجمة مبادئ تنظيمها فإن محاولات خلق علم من الحقل ستعزز بالتأكيد جدول أعمال نظرياً مختلفاً عما قصد منه أساساً.

نعوم تشومسكي: البنى "التحتية"

إن قواعد "تشومسكي" أكثر تعقيداً من مجرد حجة تعتمد على بنية تحتية وأخرى سطحية. هناك عدة مستويات في نموذجها تنطلق من مستوى غامض جداً سُمي "العنصر الأولي" (هُجر لاحقاً بعد نشر "البنى النحوية" عام 1957 وإن غيابه لأوضح دليل على وجوده)، يتبعه "المكون الأساسي" المؤلف بدوره من نوعين من قوانين إعادة الكتابة: "قوانين بناء العبارة" الموجودة في كل اللغات، و"قوانين معجمية" مشتقة أيضاً من أبواب نحوية عالمية. تولد قوانين بناء العبارة البنية التحتية للجملة والتي، وفقاً لتشومسكي أثناء كتابة كتابه "مظاهر النظرية النحوية" Aspects of the Theory of Syntax، تحتوي على كل المعلومات النحوية والدلالية التي تقرر معناها. وأخيراً، تحول القوانين التحويلية البنية التحتية مما ينتج عنه البنى السطحية، أي: كل الجمل الموجودة في لغة ما. وهكذا نجد أن هناك حركة مزدوجة في نظرية تشومسكي: من الأساس إلى البنية التحتية بواسطة قوانين بناء العبارة، ومن ثم من البنية التحتية إلى البنية السطحية من خلال القوانين التحويلية. ووفقاً لتشومسكي، تمثل قوانين بناء العبارة الأعمال غير الواعية والمتمثلة داخلياً للعقل البشري؛ إذ تقرر البنية التحتية المعنى الكامن خلف الجمل؛ في حين تقرر البنية السطحية الصوت اللغوي (تشومسكي، 1965:22).

طرح كثيرون اعتراضات فلسفية بخصوص تصورات "تشومسكي" حول العقل البشري وكيفية "تعرفه" على اللغة. إضافة إلى التشكيك بمفاهيم مثل "فطرية"، و"حدس" ومعرفة "ضمنية"، ولم يجد نقاد آخرون دليل "تشومسكي" مقنعاً تماماً. والمثير للغرابة أن دليل "تشومسكي" "العملي" عن بنية اللغة لا يعتمد على اللغة الحية – أي: كيف يستخدم الناس اللغة حقاً في سياق اجتماعي – ولكن على جمل موجودة في حالة مثالية فقط.

تهتم النظرية اللغوية أساساً بمتكلم – مستمع مثالي في تجمع سكاني متجانس تماماً يعرف لغته تماماً ولا يتأثر ببعض الحالات التي لا أهمية قواعدية تناط بها مثل: عجز الذاكرة، وتشتت التركيز، وتحولات في التركيز والاهتمام، وأخطاء... يبدو لي أن ذلك هو موقف مؤسسي علم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

اللغويات العام الحديث، ولم يُقدم أي سبب مقنع لتغييره. (تشومسكي، 1965: 3-4)

بالنسبة لأولئك الذين يقرؤون مثل ذلك القول الآن، فإن المصطلحات المشحونة بافتراضات مثل: "متحدث - مستمع مثالي"، و"تجمع سكاني متجانس"، و"يعرف اللغة تماماً"، و"حالات غير مهمة قواعدياً" تم التشكيك بمدى صِدْقِهَا (أي كونها صادقة) خلال العقدين الماضيين. يقترح "ميشيل فوكو Michel Foucault" أنه لا ينطوي الأمر على اختلافات فلسفية تتعلق بتصورات حول "الطبيعة البشرية" فحسب، ولكن هناك شقة وتبايناً في المشارب والأفكار تتعلق بـ "الكيفية" التي جرى من خلالها فهم "الفرد"، وخاصة "الفرد المتكلم المبدع". (تشومسكي وفوكو، 1974: 164). لقد صور "تشومسكي" الفرد المتكلم بأنه شخص مثالي ومنحه قدرات فريدة بما يتعلق بقدرته الخالقة على استعمال اللغة. ومن خلال العملية المثالية هذه، استبعد "تشومسكي" بعض الاستعمالات المنطوية على بعض الحوادث ويدخل في ذلك: الأخطاء، وزلات اللسان من نموذج؛ وتلك حالات مهمة تماماً شأنها شأن الأشكال "الصحيحة" بالنسبة لفهم فوكو للفرد المتكلم و"طبيعته" الداخلية.

ومع وجود مثل تلك الانتقادات، استخدم علماء الترجمة نموذج "تشومسكي" لتوكيد ادعاءاتهم، وربما فعلوا ذلك في المقام الأول بسبب أجندته الإنسانية والديكارتية، وبسبب نموذج الذي يعتمد البنية التحتية/السطحية. ومع أن "تشومسكي" رفض استغلال عمله بهذه الطريقة فإنه لا يمكن للمرء أن يتجاهل هذا الكم من المعلومات. وشعر "جورج شتاينر George Steiner"، الذي يعتبر كتابه الشامل حول نظرية الترجمة "بعد بابل" After Babel الصادر عام 1957 مثلاً على ذلك، أنه من المهم التعامل بكثافة مع نظرية "تشومسكي" وعلاقتها بفهم للترجمة. وقد تبنى عالماً ترجمة نموذجاً على الطريقة التشومسكية لنظريتهما. ربما بسط "يوجين نايدا"، الذي يقول إن علمه للترجمة يعتمد على نموذج مماثل لنموذج البنية التحتية/السطحية عند "تشومسكي"، عمل "تشومسكي" واستغله لتحقيق أغراضه. أما ولفرام "ويلس" Wolfram Wilss، وهو عالم ترجمة ألماني مشهور فيقول إن نموذج لا يعتمد على نموذج "تشومسكي"، وإنما اعتمد (بطريقة ربما غير مقصودة) من "تشومسكي" أكثر مما هو مستعد للاعتراف به.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تدور القضية الأساسية حول "عمق" الصفات الشكلية/الرسمية، وفيما إذا كانت البنية الأساسية أو قواعد بناء العبارة سمة عامة عند كل اللغات. ومع أن "تشومسكي" ينادي بوجود صفات عالمية رسمية موجودة في كل اللغات، فإنه يقول إن هذه الصفات الرسمية أعمق من أي بنية تحتية بعينها لأي جملة في أي لغة، وأنها ليست خاصة بأية لغة بحد ذاتها (تشومسكي، 1965: 117). ربما اعتقد "تايدا" أنه يمكن للبنية التحتية نفسها أن تكمن خلف جملة في لغتين محدنتين، إلا أن "تشومسكي" لا يدعي أن البنى التحتية بنى عالمية. لا ينبغي لشكل لغة ما، وفقاً لتشومسكي، أن يساوي شكل لغة أخرى بالضرورة. لقد أدرك "تشومسكي" استتبعات فرضيته بالنسبة لنظرية الترجمة ونصح محذراً:

يتضمن وجود صفات عالمية شكلية عميقة... أن جميع اللغات تتمتع بالنمط نفسه، ولكن لا ينطوي ذلك على أنه يوجد تناظر نقطة بنقطة بين لغات محددة. فلا ينطوي ذلك، على سبيل المثال، على أنه يجب أن يوجد إجراء معقول من نوع ما للترجمة بين اللغات (تشومسكي، 1965: 30).

ومع أن "تشومسكي" تصور وجود القوانين التوليدية في قلب المقدرة اللغوية البشرية وافترض إمكان وجود آلية رسمية خلف كل اللغات، فإنه لم يتسرع باعتماد نتائج تعتمد على مجرد تناظرات بين لغتين فقط، ولم يفترض أبداً أنه يمكن لقواعد خاصة بلغة معينة أن تعمل بانتظام في لغة أخرى؛ إذ إنه لا ينبغي للبنى السطحية أن تكون مطابقة لبنائها التحتية. تجاهل "تايدا" هذا التحذير واشتق إجراء ترجمياً يعتمد على مفهوم مبسط جداً لنظرية "تشومسكي"، إجراء يركز أساساً على البنية التحتية، والقواعد التوليدية، والبنى السطحية المتشابهة عبر اللغات بدلاً من الاعتماد على قوانين عميقة لبناء العبارة تسمح في الواقع بتنوع بنيوي حقيقي إضافة لاختلافات في البنية السطحية في اللغات البشرية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

أما من وجهة نظر الممارسين للترجمة، فالمشكلة في النموذج التوليدي التحويلي هي أنه مثالي جداً وبعيد تماماً عن مشكلات الترجمة الحقيقية - من ترجمة الكلمات المستحدثة المعاصرة إلى المصطلحات المهجورة، ومن ترجمة أسماء العلم إلى الاستعارات، ومن ترجمة اللغات البليغة إلى اللهجات الدارجة و"الأخطاء" وكل المشاكل الشائكة التي تجعل من الترجمة عملاً مستحيلاً ومبدعاً في الوقت نفسه. إن لمطالبة "كوين Quine" مناقشة مفهوم الترادف نفسه وقعاً خاصاً، وربما كان أعظم أهمية وعلى صلة بالموضوع بالنسبة لممارسي الترجمة من نظرية لغوية تقترض وجود بنى عالمية. إن منهجية لغوية تعزل نموذجها عن اللغة المحكية لمنهجية مثالية جداً، وربما تكون "نظرية" جداً في نظر كثير من المترجمين. رياضياً، قد يكون ممكناً تطوير نظام يمكن فيه لمجموعة محددة من القوانين أن تولد عدداً غير محدد من الأشكال السطحية، ومع ذلك فإنهم سيقولون إن اللغة تعمل بطريقة تختلف عن الرياضيات؛ وبغض النظر عن مدى دقة اللغوي التوليدي التحويلي في وصف قوانينه التوليدية التي تولد البنى السطحية فإن جوانب أخرى من اللغة ستخلص من بين شقوق أسطر الإنتاج التوليدية. وتسعى حقيقة احتواء اللغة المحكية على أخطاء، ونقلات، وحذف، وفجوات لأنْ نخبرنا بشيء عن المعنى وعن الطبيعة البنيوية للغة. يمكن للمرء القول افتراضاً إنه لا توجد جملة خالية تماماً من الخطأ، وإن ذلك بنفسه شرط من شروط استعمال اللغة، وإن اللغة تستمد طاقتها نفسها من عدم الثبات هذا الموروث فيها. إن نزعة القواعد التوليدية التحويلية لتجاهل كل الأخطاء أو مجرد نعتها بغير المهمة قواعدياً، قد تطمس أو تخفي من بنية اللغة بقدر ما توضح أو تكشف للعيان منها.

ومع أن نظرية "تشومسكي" قد خلقت ثورة في حقل اللغويات، ويعد كثيرون أن عمله النظري واحدٌ من أشهر الإسهامات التي شهدتها الفكر الإنساني في القرن العشرين، تحفظ الكثير من المؤلفين المبدعين، ومنظري الأدب، وممارسي الترجمة على ذلك، إذ ينتقدون أمثلته، ويشككون في افتراضاته، ويشككون بادعائه بأن منهجه علمي، ولا يرتاحون من إجراءاته العملية ويتساءلون خاصة إن كان بوسع نموذج توليدي تحويلي أن يكون مفيداً في دراسة الأدب. وتشير سلسلة من الأسئلة التي طرحتها "باربرا هيرنشتاين سميث Barbra Herrnstein Smith" إلى أن حجج

"تشومسكي" لم تقنع كل شخص:

هل اللغويات حقل علمي متجانس كلياً؟ وهل ذلك مساوٍ للقواعد التوليدية التحويلية؟ وإن كان الأمر غير ذلك، فهل نظرية "تشومسكي" اللغوية وما يقوم به اللغويون التوليديون التحويليون في دراستها هي النموذج الوحيد و/أو الأمثل لنظرية الأدب ومتابعة دراستها؟ وعلى أية حال، هل تصورات علم اللغويات، وإجراءاته، ومفاهيمه، ونتائجه مستقرة تماماً، وخالية من المشكلات الداخلية أو النقد الخارجي، من ثم يُنصح منظرو الأدب باعتمادها وتطبيقها دون المزيد من التمحيص والتفكير. (سميث Smith، 1978: 178).

ومع التحفظات التي أوردتها المؤلفون المبدعون، ومنظرو الأدب ومترجموه، وبالرغم من الحذر الذي طالب به "تشومسكي" نفسه، وجد متخصص بالترجمة تصورات "تشومسكي" ووسائله جذابة جداً، وتقدم لبناء علم ترجمة على شاكلة النموذج الذي قدمه تشومسكي. وكما انضح، أصبحت نظريته المنهج الأكثر تأثيراً في حقل الترجمة في العقود اللاحقة.

يوجين نايدا: تطبيق القواعد التوليدية على الترجمة

إذا كانت قاعدة "تشومسكي" النظرية أفلاطونية فإن قاعدة "نايدا" بروتستانتية. يمكن توضيح تصورات "نايدا" الضمنية التي يعتمد عليها عمله بجلاء، وذلك بتحليل لعمله عام 1960 بعنوان: "رسالة ومهمة Message and Mission"، وتلك نسخة قبل تشومسكية لكتابه "نحو علم للترجمة". كان "نايدا" وقتها مازال يكتب للإرساليات التبشيرية، لا للمترجمين؛ وهكذا فمع أنه كان يتحرك باتجاه تحليل علمي، إذ نجد عبارات مثل "اكتشاف أراض جديدة بأدوات جديدة" (نايدا، 1960: xvii) في نشر الدين المسيحي، فإن مناقشة الأهداف اللاهوتية بقيت واضحة للعيان. كان منطلق الكتاب العام أنه ينبغي لمترجمي الإنجيل ألا يفترضوا جدلاً فهم المتلقون للمعلومة بيسر، بل عليهم تحقيق ذلك بأنفسهم مستغلين كل الموارد اللغوية وتلك التي تقدمها نظرية التواصل لمساعدتهم في ذلك. واعتمد "نايدا" على عمل ميداني مكثف أظهر أن الرسالة الدينية غالباً ما يُخفق توصيلها بسبب السياقات الثقافية المتباينة ووجهات العالم المختلفة. وهكذا فهم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

"نايدا" بأنه لا يمكن عزل المعنى عن التجربة الشخصية والإطار الفكري للشخص الذي يتلقى الرسالة. وانتهى للقول إنه : "ينبغي قولبة" الأفكار كي تتسجم مع الخريطة الفكرية للتجربة في السياق المختلف. (نايدا، 1960: 87).

وهكذا نجد أن الفرق الأول بين فلسفة "تشومسكي" وفلسفة "نايدا" واضح تماماً: تؤكد تجربة "نايدا" العملية في تقديم أفكار جديدة إلى ثقافة بعيدة عن ثقافته، أهمية إدخال السياق الثقافي الذي يحصل فيه التواصل في إطاره النظري، وذلك جانب يفتقر إليه نموذج تشومسكي. ومع أن "نايدا" يدعم حججه لاعتماد مثل ذلك النموذج بالإشارة إلى نظرية التواصل وعلم الضبط، فإن إدخال هذا المكون بعينه مبعثه براغماتي أساساً؛ إنه متجذر أيضاً في تصورات "نايدا" الدينية. ولأسباب براغماتية ولاهوتية يظهر "نايدا" اهتماماً قوياً باستجابة متلقي المعلومة. ووفقاً لنايدا، فإن أهداف الديانة المسيحية سلوكية أكثر من كونها معرفية، وهكذا فإن هدف "نايدا" هو حصول الاستجابة المناسبة وهي استجابة تفضي إلى حوار ليس بين المتلقي ونص أو رموز ولكن بين المتلقي والإله. وبالنسبة للبروتستانتية، التواصل يساوي القوة، ولا تولي نقطة تركيز التواصل الإنجيلي المسألة المعرفية التي تبحث في العلاقة بين الكلمة والحقيقة الكامنة خلفها إلا قليلاً من الأهمية، مقارنة بحدث نقل قوة الكلمة الذي توليه جلّ الأهمية (نايدا، 1960: 224).

وهكذا نجد أن "نايدا" لا يولي الرمز بنفسه أية أهمية خاصة نظرياً، كما يفعل "تشومسكي" والعديد من اللغويين البنويين، ولكنه يولي الاستجابة للرمز أهمية خاصة. ولو استطاعت ترجمته تحفيز الاستجابة التي يريدها الله، عندئذ ستكون الترجمة نجاحاً. الكلمات والرموز مجرد مسميات/ملصقات، وهكذا يحتل شكل الرسالة موقعاً ثانوياً. حُذفت الاعتبارات اللاهوتية من كتاب "نايدا" التالي "نحو علم للترجمة" (1964)، ولكنني أرى أن تلك الاعتبارات ما زالت موجودة ضمناً. ففي حين أهمل "تشومسكي" منهج "سابير/ورف" Sapir/Whorf لدراسة اللغويات معتبره مقيداً جداً بالثقافات التي يتناولها، دمج "نايدا" في إطار منهج أكبر. يبحث "تشومسكي" بالمعنى الموروث للرمز بمعزل عن السياق الثقافي، في حين أن اهتمام "نايدا" الأساسي ليس المعنى الذي يحمله الرمز بنفسه ولكن بكيفية عمل الرمز في أي مجتمع ما. ويدعى "نايدا" أن هذا "التعريف

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الوظيفي للمعنى" يعد خطوة نوعية متقدمة على التعاريف التقليدية العقلية منها والصورية التي صبغت البحوث الفلسفية التقليدية حول المعنى. ولو قبل المرء وصف "تشومسكي" نفسه لمنهجه على أنه عقلاني، تبدو بالقياس اهتمامات "نايدا" البراغماتية على الأقل انحرافاً عن أكثر المفاهيم التقليدية للبنية التحتية.

ومع أنه قد يبدو أن مفهوم "نايدا" عن المعنى مختلف جوهرياً عن ذلك لدى "تشومسكي"، فإنه في الواقع لا يمكن التفريق بين مفهوم البراغماتية عند "نايدا" ومفهوم البنية التحتية عند "تشومسكي"، إنه مجرد إضافات إليه. يجري تحليل الجانب البراغماتي من المعنى في البنية التحتية، ولا في السطحية منها، بل حقيقة في المكون الأساسي؛ والنتيجة أن للمكون الأساسي عند "نايدا" طبيعة مزدوجة: قلب من البنى النحوية وتجربة إنسانية عالمية. ولتحقيق هذه المهمة الصعبة، على "نايدا" بالضرورة أن يوسع طبيعة قلب نظريته كي يضم تجربة "عالمية" من تلقي الرسالة. ولكي يضم مكون تلقي في المكون الأساسي، يعيد "نايدا" الرسالة الأصلية على النحو التالي: "وظيفة الرسالة". ويقول "نايدا" إنه يمكن استنتاج البنية التحتية للغة – المؤلفة من الرمز والسياق – من دراسة اللغة والثقافة، ومن تأويلات هذه الرموز على مر السنين. وعندها فقط يمكن تحديد الاستجابة المناسبة للبنية وتعميمها عالمياً. يبني "نايدا" نظريته على افتراض أن رسالة النص الأصلي لا يمكن تحديدها فحسب، بل ويمكن أيضاً ترجمتها لذا فإن تلقيها سيكون تماماً كذاك الذي تلقاه المتلقون الأصليون. إضافة إلى ذلك، إذ كان المصدر واحداً – الإله – يمكن القول إن قصد التواصل يمكن اعتباره مستقراً. لا تؤكد نظرية "نايدا" التناظر الشكلي بل التكافؤ الوظيفي؛ ولا تؤكد المعنى الحرفي بل التكافؤ الدينامي؛ وليس "ما" توصله اللغة ولكن "كيف" توصله.

أُعتبرت نظرية "نايدا" متقدمة لأنها تتعامل مع سياق الرسالة، ولكن نرى الآن أنها ليست أقل تجريدية من نظرية النحو عند تشومسكي؛ سحبت "الرسالة في السياق" أو "الرسالة وتلقيها" من التاريخ، وفُهمت بأنها موحدة وجوهر بحد ذاتها، وجُعِلت مفهوماً سرمدياً. ينبغي للنص المترجم، وفقاً لنايدا، أن يحفز لدى القارئ في الثقافة المعاصرة استجابة "تشبه أساساً" الاستجابة الأصلية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

عند متلقيها الأوائل؛ وإن لم تتجح في ذلك، يقترح القيام بتعديلات في النص كي تُستحضر الاستجابة الأساسية. (نايدا وتابر Nida & Taber، 1969: 202). ينتج عن هذا التحرك إعادة تعريف للتكافؤ: يسمي "نايدا" الآن الترجمات التي تركز أساساً على نقل الرسالة بـ "التكافؤ الشكلي"؛ في حين يطلق على الترجمات التي تركز على إنتاج التأثير المكافئ لتلك الرسالة على المتلقي بـ "التكافؤ الدينامي". ويكتب: "ففي مثل تلك الترجمة لا يهتم المرء كثيراً بالتساوي بين رسالة اللغة المتلقية وتلك في اللغة المرسل، ولكن بالعلاقة الدينامية، أي إنه ينبغي للعلاقة بين المتلقي والرسالة أن تكون أساساً كذلك التي وجدت بين المتلقين الأصليين والرسالة." (نايدا، 1964: 159)

أرى أن مثل هذه النظرية ليست مستمدة من المبادئ العلمية إلا قليلاً، وأنها بقدر أكبر ثمرة طبيعة ميوله الدينية. يشبه التصور الضمني الموجود إلى حد بعيد ولكن المسقط من علمه التصديق البروتستانتية المتعلق بالتواصل عامة، والترجمة خاصة؛ وهكذا يحتل إعادة تفسير قوة الكلمة (على الناس) المقام الأول بالنسبة لنايدا. تقارن نظريات الترجمة المعاصرة دائماً بنموذج بدهي لا عمر له يحدد فيه المترجم دائماً المعنى والاستجابة تحديداً كاملاً، أو لكي أكون أكثر دقة عالم اللاهوت. وبعدها تسحب من التاريخ وتُترجم في سياق جديد، وتصاغ لتعمل بالطريقة نفسها. الأشكال السطحية لا قيمة كبيرة لها بالنسبة لنايدا، ويُسمح بتغيرات في النص، والكلمات، والاستعارات ما دام ذلك يسهم في أن يعمل نص لغة الهدف بالطريقة نفسها التي عمل فيها النص الأصلي.

ومجرد أن أعاد "نايدا" تعريف المعنى وفق شروط وظيفته، وجرد المفهوم إلى الحد الذي يمكن أن يحتل فيه مكانة بنوية عالمية، يصبح أمر الاستيلاء على نموذج "تشومسكي" بمفهومه عن بني العقل الفطرية، وقوانين تحويلاته "التوليدية"، وتقليص دور الرموز السطحية لتحل موقعاً ثانوياً، أمراً طبيعياً تماماً. وبالدم الذي تلقاه مشروعه نتيجة إضافة المكانة اللغوية لنموذج "تشومسكي" إليه، بوسع "نايدا" الآن القول إن عمله التبشيري قد أسفر عن تحليل "علمي" موضوعي لمسألة الترجمة. ويذهب ليذكر بعض العالميات التي كان بوسعه تحديدها بواسطة

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

"الترجمة العكسية" ويشمل ذلك بنى المسند والمسند إليه، والفروق الرسمية/ الشكلية بين الأسماء والأفعال، والبنى الأساسية التي تعبر الأسماء بها عن الأشياء، والأفعال عن الأحداث (نايدا، 1964: 66-8). وبعد ذكر أوجه التشابه هذه وتصنيفها، يختتم "نايدا" بالقول:

ولذلك يمكن القول، إنه بالمقارنة بالاحتمالات النظرية للبنى المختلفة تظهر اللغات أوجه تشابه مذهلة ويدخل في ذلك: (1) بني أساسية متشابهة تثير الإعجاب يمكن اشتقاق أو تطوير كل البنى الأخرى منها بواسطة التحويلات التبديلية، والإبدال، والإضافات، وأنواع الحذف، و(2) هناك درجة عالية من الموازنة بين فئات الكلمات الشكلية (على سبيل المثال: الأسماء، والأفعال، والصفات، إلخ). والفئات الوظيفية الأساسية في التحويلات: الأشياء، والأحداث، والمجردات، والكلمات الوظيفية في أبسط مستوياتها البنوية. (نايدا، 1964: 68).

ومع أن أهداف "نايدا" واهتماماته تختلف كثيراً عن تلك التي لدى "تشومسكي"، يصل الاثنان إلى نتائج متشابهة حول طبيعة اللغة، حيث يفترضان وجود بنى تحتية تكمن خلف كل البنى السطحية. ثم إن المصطلحات المستخدمة هي نفسها تقريباً حيث نجد "البنى الأساسية" و"التحويلات". ومع أن "نايدا" ليس مستعداً تماماً لترداد ادعاء "تشومسكي" بأن هذه البنى الأساسية بنى عالمية، إذا ما أخذنا المصطلحات التي يستخدمها وقت اكتشافها، أعني: "مثير للإعجاب" و"مدهش"، يبدو أنه يمنح هذه البنى مكانة خارقة ضمن منهجه "العلمي".

وعلى أية حال، هناك فروق جوهرية بين نظرية "تشومسكي" ونظرية "نايدا" توضح أن نموذج "نايدا" ما هو إلا نسخة مبسطة من نموذج "تشومسكي"، وفي الواقع مشوهة تشويهاً قسرياً إلى حد بعيد كي يجري تطبيقها على الترجمة. يقع في قلب نظرية "نايدا" نظام "التراكيب الأساسية" التي يشتق منها كل شيء آخر (نايدا، 1964: 68). ومفهوم الجمل الأساسية مفهوم طرحه "هارس Harris" واعتمده "تشومسكي" في نماذجه المبكرة من القواعد التوليدية التحليلية. فإنه "تشومسكي" شعر أن المفهوم كان مضللاً قليلاً، وسرعان ما اختفى بصدور كتابه "مظاهر النظرية النحوية". ومع أن لمفهوم الجمل الأساسية، وفقاً لتشومسكي "قيمة حدسية هامة" إلا أنه "لا يؤدي دوراً"

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

مميزاً في توليد الجمل أو تفسيرها (تشومسكي، 1965:18). يبدو أن "نايدا" دمج مفهوم الجمل الأساسية في المكون الأساسي المؤلف من بنى العبارات، ولا يستطيع المرء أن يتحقق بدقة مما يعنيه "نايدا" من وراء ذلك. مكن المكون الأساسي "تشومسكي" من توليد تنوع لا حصر له من البنى السطحية، وذلك مفهوم اعتبره جوهرياً بما يتعلق ومفهوم الإبداع الذي يتمتع به المتكلم.

هناك فروق واضحة بين النظريتين أيضاً بخصوص المنهجية. يفضل "نايدا" العمل بطريقة عكسية بحيث يبدأ من بنية النص الأصلي السطحية إلى بنيته التحتية، وتحويل تلك البنية التحتية إلى البنية التحتية في اللغة الجديدة، ومن ثم توليد بنية سطحية في اللغة الثانية. وبعبارة أخرى، يصوغ عملية لفك الرموز وإعادة ترميزها بحيث لا تتغير الرسالة الأصلية فيها أبداً. يلخص "نايدا" منهجيته في الترجمة على النحو التالي:

إنه لأمر أشد فاعلية علمياً وعملياً أن يُحدث: (1) تقليص النص المصدر إلى أبسط جملة بنيوياً وأوضحها دلاليًا؛ و(2) نقل المعنى من اللغة المصدر إلى اللغة الهدف على مستوى بسيط بنيوياً؛ و(3) توليد العبارة المكافئة أسلوبياً ودلاليًا في اللغة الهدف (نايدا، 1964: 68).

إن العمل بطريقة عكسية وتقليص النصوص إلى جمل بسيطة بنيوياً وأكثرها أساسية دلاليًا لا يمثل جزءاً من إجراءات تشومسكي؛ ويعني ذلك تشويه نموذج "تشومسكي" لأغراض نموذج نايدا. نادراً ما تكون بنى "تشومسكي" بسيطة أو واضحة. إن استخدام مفهوم مثل "الترجمة العكسية" للكشف عن عالميات بنيوية ودلالية يطرح أيضاً أسئلة حول مفهوم "نايدا" عن القواعد التحويلية عامة. ومع أن "تشومسكي" يقترح أن القواعد التحويلية ليست خطية، فإن استنتاج وجود عملية فك للرموز وإعادة ترميز يشوه نظريته (تشومسكي). ونايدا، شأنه شأن المترجمين الممارسين الآخرين، يفك الرموز ويعيد ترميزها، وغالباً ما يبرهن على صحة عمله بترجمته إلى لغة هدف ومن ثم يعيد الترجمة في اللغة الهدف ثانية إلى اللغة المصدر (نايدا، 1964: 66-69)، إلا أن القول إن مثل هذه المنهجية مستمدة من نظرية "تشومسكي"، أو صياغة مثل هذه الممارسة بمصطلحات من نظرية "تشومسكي"، يشوه بلا ريب نظرية القواعد التحويلية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

إذاً، كيف يمكن تحديد المعنى وفقاً لنايدا إذا لم يُعتمد على أساليب لغوية مقبولة؟ يكتب "نايدا" في جزء بعنوان: "متطلبات المترجم الأساسية" ما يلي:

ينبغي له ألا يفهم المحتوى الواضح للرسالة فحسب، بل عليه أيضاً أن يفهم ظلال المعنى، والقيم العاطفية الهامة للكلمات، والسمات الأسلوبية التي تقرر "نكهة الرسالة ووقعها" ... وبعبارة أخرى، إضافةً إلى معرفة في اللغتين أو أكثر اللغات التي يترجم فيما بينها (1) ينبغي للمترجم أن تكون لديه معرفة تامة بموضوع الترجمة أيضاً (نايدا، 1964: 1-150).

ومرة أخرى، نجد أن معتقدات "نايدا" الدينية ساعدته جداً في صياغة منهجه العلمي. حقيقة، يبدو أنه يدمج دور المترجم في دور المبشر. في الواقع، يبدو أن الفرق بين التأويلات الدينية والترجمة بدأ يختفي في نظرية "نايدا" لأنه يبدو أن كيفية نقل الرسالة وما يتبقى من الصياغة الأصلية أقل أهمية من الشرح نفسه.

إضافة إلى معرفة تامة بالنص الأصلي يطلب "نايدا" من المترجم أن يكون لديه الروح "التوكيدية" نفسها التي لدى المؤلف، والمقدرة على تقمص طريقة المؤلف وكلامه وأساليبه بـ"أقصى درجات الصدق". ويتابع "نايدا" مناقشته إذ يرى أنه على المترجم أن يُعجب بالمؤلف، وأن تكون لديه القاعدة الثقافية نفسها، والموهبة نفسها (لا أقل ولا أكثر)، ويقدم للقارئ المتعة نفسها التي يقدمها الأصل. تقترب "الروح التوكيدية" عند "نايدا" من وجوب اعتماد المترجم الكامل على قصد المؤلف وثقافته التام في خدمته. وإن لم يحقق المترجم هذه المتطلبات فستقوته الرسالة الأصلية وكيف تعمل أيضاً. تتمثل المشكلة بمثل هذا المطلب بما يسميه نقاد الأدب بمغالطة القصد، أي: ما يفهمه القارئ من النص وما قصد المؤلف منه شيان مختلفان تماماً. إن مثل هذا التوكيد الذي يبدو أن "نايدا" يفضلُه قد يطمس، حقيقةً، ما هو في قيد الترجمة. يبدو أن بواعث نظرية "نايدا" في الترجمة أقل علمية وتؤكد العمل بقوة. هناك مساواة بين الترجمة والوحي، بحيث توضح الترجمة الرسالة الأصلية التي تحتل الآن مكانة الأصل الأولية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

أرى أن العلاقة بين الكاتب والنص علاقة معقدة وخداعة من حيث المبدأ، وأن تقليص العمل إلى "بنى بسيطة" مشوّه بالضرورة، وأن نقل تلك البنى البسيطة من بنية تحتية في لغة إلى أخرى - عبر اللغات وعبر الزمن - ربما كان أمراً مستحيلاً. وحتى في نظريته المبسطة لا يخبرنا "نايدا" كيف يحدث نقل البنى التحتية من لغة إلى أخرى. وإذا ما أخذنا الأهمية التي تتلقاها "قوة العزيمة" في نموذجها في الحساب، عندئذ ينبغي أن يدخل الحدس في المعادلة في مكان ما. بالتأكيد ينبغي أن يصبح الإيمان والإخلاص والثقة المطلقة الوسائل النظرية الأساسية. أرى أن مركز النص، وبنية التحتية، ومعناه قد تكون دائماً غائبة. وقد لا يكون النص بغض النظر عن كثافته، ولا التأويلات بغض النظر عن درجة وضوحها تامة أبداً. ستبقى هناك دائماً ثغرات، ومساحات لتأويلات مختلفة، وتلقٍ متنوع؛ وهنا تكمن طاقة النص. ينكر "نايدا" هذا بوصفه أمراً بدهياً، وينادي بالعكس تماماً، أي: يمكن تحديد محتوى الرسالة الأصلية الذي لا يتبدل أبداً. على أية حال، ولأنه يتعامل بالكلمات، وحتى في هذه الحالة بكلام الله، وبسبب الحقيقة الواضحة تماماً أنه يتعامل مع اللغة، فسيكون هناك دائماً عدم تحديدية مجازية وتغير تاريخي. لا يمكن لنص أبداً أن يشرح كيفية تلقيه. تريد نظرية "نايدا" أن تحلّ شفرة النص وتجهزه للاستهلاك. يريد أن يشرح النص إضافة لوصفه تماماً كما تريد نظرية "تشومسكي" أن تشرح البنى اللغوية إضافة لوصفها. لا يثق "نايدا" بمقدرة القراء على فك رموز النصوص بأنفسهم، ولهذا يطالب بوجود قارئ متمكن، ويفضل أن يكون مترجماً/مبشراً مثالياً، يقوم بالعمل خدمة للقارئ. وهدفه، حتى بالنسبة للإنجيل، توضيح أوجه الغموض، وحل أوجه الالتباس، وتقليص التعقيدات ما أمكن استعداداً للاستهلاك.

وهدف من أهداف كتاب "نحو علم للترجمة" إعادة تعريف الأسس المستخدمة التي تحكم الترجمة والحكم على دقتها. تقليدياً احتفظ بـ"الأمينة" للدلالة على الترجمات الحرفية التي تولي الشكل أهمية كبيرة، في حين احتفظ بـ"الحرّة" للدلالة على تلك الترجمات التي تولي المحتوى أهمية أكبر. يفضل "نايدا" النوع الثاني، وقد عكس الاستخدام التاريخي لمصطلح "الأمينة" بحيث يستخدم المصطلح الآن للدلالة على منهجه الدينامي. ويقول إن المترجمين الشكليين، المهتمين

أساساً بنقل التكافؤات على مستوى الشكل، مثلاً: ينقلون شعراً بشعر، وجملة بجملة، ومفهوماً بمفهوم، عرضة لارتكاب أخطاء بحيث يسيئون إلى "قصد المؤلف"؛ ومن المحتمل جداً أن يختاروا "تأويلاً أقل مناسبة من بين عدة ترجمات محتملة" وأكثر عرضة لـ "تشويه المعنى" (نايدا، 1964: 191-2). وفي سياق عرضه لتفضيل التكافؤ الدينامي، يحدث عكس في استخدام المصطلحات. يشعر "نايدا" أن المترجم الدينامي أكثر قدرة على أن يكون أميناً مقارنة بالمترجم الحرفي لأنه يفهم بطريقة ما "معنى النص الأصلي بعمق أكبر وأكثر قبولاً". (نايدا، 1964: 192)؛ ومن المحتمل جداً أن يحافظ على المعنى سليماً في الوقت الذي يعمل فيه سرّاً لمزيد من التوضيح بالإضافات، والحذف، والتحويلات. أحس فريدريك ويل Frederic Will على الأقل بالتناقض الظاهري الموجود في الترجمة وواجه مشكلة "الخائن الأمين" برؤية جديدة. لم يرَ "نايدا" ذلك ويرغب في القول إن منهجية أفضل من أخرى، مسرماً بذلك المشكلة القديمة أمينة/ حرة التي شعر "شتينر Steiner" أنها ملازمة لكل نظريات الترجمة قبل البنيوية. ينتج عن نظرية "نايدا" التقنية، التي قصد منها أن توضح الرسالة الأصلية والاستجابة لها، بشكل ثابت تشويه للمعنى نفسه الذي يدعي بأنه يرغب الحفاظ عليه، لأن ترجمته بوصفها تأويلاً تزيد من غموض النص الأصلي لدرجة يصبح عسيراً جداً على القارئ المعاصر فهمه.

تكشف محاولة "نايدا" إعادة تعريف المصطلحات، وعرضه إرشادات تقنية للترجمة التي هي أنسب، أولوياته النظرية. نرى أنه يفترض وجود نوع ما من "المعنى التحتي للنص" يمكن الوصول إليه. وبسبب أهمية الحفاظ على هذا المعنى يصبح الشكل الذي تأخذه الرسالة مطاطاً، وهكذا نجد أن الشكل السطحي الذي تأخذه الترجمة يحتل موقعا ثانوياً، لأنها تركز على البنى التحتية الكامنة خلف البنى السطحية، كما أن نظرية "تشومسكي" مبنية بشكل مماثل، مما يجعل منطق النظريتين متماثلًا. إن كلاً من نظريتي "نايدا" وتشومسكي استبطانيتان، والفرق الأساسي أن أشكال عالميات "تشومسكي" موجودة على مستوى أعمق، وأكثر تجريدية (وأقل فهماً) من مستوى الجمل الأساسية لدى نايدا. وتنتهي أوجه التشابه عند هذا الحد. ففي الوقت الذي كان فيه "تشومسكي" يكتب، كانت قواعد التحويلات أولية جداً بشكل لم يوجد أي إجراء ترجمي حقيقي

أكثر من مجرد المقارنة نقطة بنقطة في حقول محدودة، وذلك منهج رفضه علم نايدا.

والخلاصة، مع أن "نحو علم للترجمة" يبدو متجذراً في اللغويات الحديثة، فالشيء غير المصرح به ولكن الموجود دائماً هو السياق البروتستانتية. يعتقد نايدا، كما يقول في "رسالة ومهمة" أن الكلمات مجرد مسميات/ملصقات (نايدا، 1960)؛ وإن كان لابد من تغييرها أو استبدالها كي يحصل التواصل المطلوب، فعندئذ يجب تعديلها وفقاً لذلك. الرموز الكلامية مجرد مسميات/ملصقات ذات أصل إنساني، في حين أن الرسالة من مصدر أعلى؛ والنصوص على القدر نفسه من التكيف، وتكيف نفسها مع الأشكال المتعددة دون أن تغير قصدها الأصلي.

ترجمت كلمة "خروف" إلى "عجل البحر" و"خنزير" و"أشكال" عديدة أخرى أو "مسميات" كي تنتشر كلمة الله. يعتمد العمل التبشيري على تأسيس نقطة تواصل، أي نقطة تواصل، ومن ثم البناء عليها. والتصور هو أن هذه الرسالة العليا، الرسالة الأصلية، ليست موجودة فحسب، ولكن التصور بأنها أبدية وتسبق اللغة تصور يفترضه "نايدا" دائماً وأبداً ويؤثر في علمه. إنه "يعرف" الرسالة من هذا المصدر الأعلى، ويعرف كيف يفترض أن يستجيب البشر لها؛ إلا أنه لا يثق بقرارات البشر؛ ولكي يحقق الاستجابة المقصودة فله الرخصة في أن يبدل، وينظم ويبسط. وقد حُذفت كل الاختلافات الممكنة أو اختصرت مثل أوجه الغموض، والأسرار، وزلات فرويد، للحصول على استجابة موحدة تتجاوز التاريخ. قد تكون هذه المنهجية مفيدة جداً لأولئك الذين يترجمون الدعايات أو مواد إعلانية، ويبدو أنها تعمل جيداً في بعض أنواع الديانات، إلا أن قصورها ومحدوديتها ضمن إطار عام للترجمة واضح. يقدم "نايدا" نموذجاً رائعاً للترجمة ينطوي على ما يقتضي الأمر من تعديلات نصية تخدم في نهاية المطاف اعتقاداً دينياً، إلا أنه يُخفق في تزويدنا بعمل أساسي لما يعتبره الغرب عامة أنه "علم"

ولفرام ويلي: علم الترجمة في ألمانيا

ومع أنه الأكثر تأثيراً وفق مقتضيات ترجمة الإنجيل، فإن عمل "نايدا" في الترجمة يحظى بتأثير أكاديمي مذهل في ميدان اللغويات والترجمة خارج نطاق السياق الإنجيلي. ولم يجر التطبيق المفصل لنظرية "نايدا" لا في بريطانيا ولا أمريكا، ولكن في ألمانيا حيث يهيمن علم الترجمة (übersetzungswissenschaft) على تدريس الترجمة في أمكنة مثل جامعة سارلند Saarland في ساربروكن Saarbrücken. ويمكنني أن أوضح تأثير "نايدا" بأفضل ما يمكن بتحليل عمل "ولفرام ويلي"، الذي يدرس في ساربروكن، وكتابه بعنوان: übersetzungs- wissenschaft. وربما أفضل ما يوضح نظريته وتطبيقها كتابه بعنوان: Probleme und Methoden المنشور في عام (1977)، والذي ظهر بطبعته الإنجليزية بعنوان: "علم الترجمة: المشاكل والمناهج" في عام (1982). ما زال علم "ويلي" في شكله الأولي، يوثق بحثه بقليل من الأمثلة، المستمدة من لغتين فقط (الإنجليزية والألمانية). ومازالت الدراسات تعاني العديد من المتناقضات غير المحلولة؛ ومازال النظام برمته يفتقر إلى معايير تقويمية. ومع ذلك فقد أنجز قدر من العمل وفق شروط التحليل اللغوي ضمن شروط أزواج محددة من لغتين - على مستوى الجملة والنص - تكفي لأن يقوم "ويلي" بصياغة تعميمات واسعة عن أكثر المناهج ملائمة منهجياً وفلسفياً لعلم ترجمة. سأركز على تصورات النظرية، الصريحة والضمنية، وأكشف كيف أن هذه التصورات تعبر إلى حد بعيد عن فرضيات تشبه تلك التي عند "تشومسكي" ونايدا، وسأفحص فهمه للتكافؤ الترجمي الذي يعبر أيضاً عن نزعة إلى العالمية برغم ادعائه بأنه وصفي.

يُقسم علم الترجمة عند "ويلي" إلى ثلاثة فروع من البحث مترابطة، ومع ذلك مستقل بعضها عن بعضها الآخر: (1) وصف لـ "علم ترجمة عام" يشتمل على نظرية ترجمة؛ و(2) "دراسات وصفية" للترجمة تتعلق بالظواهر التجريبية للتكافؤ في الترجمة؛ و(3) "بحث تطبيقي" في الترجمة يشير إلى صعوبات ترجمة محددة وطرق حل مشاكل محددة. تغطي افتراضات اللغويات النصية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التي تُصنف النصوص على أسس وظيفية وموضوعية على "علم الترجمة" (1). ينبغي للمترجمين أن يمتلكوا ما يصفه "ويلس" بمقدرة تحليلية للنصوص؛ أما النصوص نفسها فقد صُنفت "إلى أكثر قابلية للترجمة" أو "أقل قابلية للترجمة". وتميل "الدراسات الوصفية" (2) إلى التركيز على "التكافؤ البراغماتي للنص" أو الأمثلة التي تثير الأفكار والمفاهيم نفسها. يشمل منهج "ويلس" كلاً من الترجمة ضمن اللغة الواحدة - إعادة صياغة معنى الأصل - وترجمة ما بين اللغات، أي: نقل ذلك المعنى إلى لغة هدف - ويولي الاستجابة النفسية أهمية كبيرة. ويقدم "البحث التطبيقي" (3) بصائر عملية حول بعض المصاعب الترجمة المحددة، ويحاول حلها بمنهج يعتمد مبدأ الغاية تبرر الوسيلة. إضافة لذلك، يحاول هذا الفرع تطوير إطار مرجعي لتحليل الأخطاء، وتقديم بنية تفسيرية وتقويمية لتقويم النوعية، أو على الأقل أبدال مقبولة. ويبقى البحث التطبيقي الأقل تحديداً من بين الفروع الثلاثة التي يضمها مشروع ويلس، ويطرح أكثر الأسئلة؛ ويعترف أنه مازال على "علمه" أن يقر بالعديد من صعوبات الترجمة، ويعاني مشاكل بما يتعلق بتأسيس إطار تقويمي موضوعي.

أما الفرعان الآخران وهما الفرع النظري والمنهجي فهما أكثر تطوراً نظرياً، وسأتفحصهما بدقة أكبر الآن. يستفتح "علم الترجمة" بالقول: "يُنظر إلى اللغويات الحديثة بوصفها علماً تواصلياً أساساً؛ ويمكن تتبع بداية هذا التطور إلى الوقت الذي بدأت فيه الانعتاق من برائن اللغويين التوليديين" (ويلس، 1982: 11). وهكذا يرد منهج "ويلس" على نظريتين لغويتين مهممتين: اللغويات الوصفية، والقواعد التوليدية، مع حقيقة أن كلاً منهما تنطلق من أسس مختلفة تماماً عن الأخرى. من السهل فهم رفض المناهج اللغوية كالبنيويات التصنيفية التي تصف فقط البنية السطحية للغات محددة، ولا تبدي اهتماماً كبيراً بالترجمة. أما أسباب رفض "ويلس" للقواعد التوليدية فهي أقل وضوحاً على أية حال. يقول "ويلس" إن هناك مشكلة مشابهة لتلك التي تعانيها اللغويات البنيوية تتسحب على القواعد التوليدية. ويقول إن اللغويين التوليديين يستخدمون الأدوات المنهجية نفسها المتوفرة لدى "العلم التجريبي" ويحاولون تقديم "وصف رياضي واضح للعمليات العقلية التي يمكن التحقق من ثبوت صحتها وتأكيد عملها" (ويلس، 1982: 67). إضافة لذلك،

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

يأخذ "ويلس" على القواعد التوليدية التحويلية اعتمادها الكامل على علم التراكيب؛ فلا تشمل اللغويات النفسية؛ وتدرس فقط أنظمة لغات بعينها؛ ولا توفر نموذجاً بين - لغوي؛ وتتجاهل المشاكل المتعلقة بالتلقي؛ وتتجاهل أيضاً وظيفة الفكرة في سياقها الأصلي. (ويلس، 1982: 68-70). يضع "ويلس" "تشومسكي" في المعسكر نفسه الذي يضع فيه البنيويين والتجريبيين، لأنه لا يرى الجذور المثالية الأفلاطونية لنظرية تشومسكي. وعند مرحلة من البحث يصف "ويلس" نظرية "تشومسكي" بأنه يحكمها "نظام ضبط حركي شبه تلقائي" وأن "المكون التوليدي في نظرية "تشومسكي" اللغوية... في نهاية المطاف ميكانيكي وليس عقلياً" (ويلس، 1982: 15). هاجم العديد من اللغويين نظرية "تشومسكي" لافتقارها إلى مكونات دلالية وبرجماتية؛ ولأنه (ويلس) يحلل وحدات نصية إضافة إلى بنى الجملة، ويبدو أنه لا يدرك تبنيه إطاراً مماثلاً يعتمد على بنية/تحتية/ بنية سطحية وبتعليل نظري مشابه تماماً.

ومن دواعي الغرابة أن يختار "ويلس" صفة "العقلاني" للدلالة على "علمه". يكتب أن علم الترجمة ليس علماً "تشريعياً" مغلقاً، بل علم "إدراكي/تأويلي/ ترابطي"؛ ومن ثم لا يحتاج إلا إلى "درجة محدودة" من المطالب الموضوعية و"المناهج الإجرائية غير المقيدة" التي تتسم بها مناهج بحث العلوم الطبيعية. وهكذا وجد "ويلس" نفسه حراً في البحث عن سوابق تاريخية لمنهجه في تلك النظريات اللغوية قبل البنيوية التي تعتمد على مفهوم إنساني مثالي للفهم، وتبني الفرق بين مفهومي الكفاءة/ الأداء كما وضع معالمهما "تشومسكي"، وقبول تحوير "تايدا" لمفهوم الكفاءة ليشمل مكوناً سياقياً. والترجمة في رأي لويلس مضمونة بوجود بنية تحتية لعالميات - تركيبية، ودلالية، وصيغ عالمية إضافة لقلب من التجربة المشتركة -؛ ويصبح علمه مجرد إيجاد تكافؤات تركيبية ودلالية وعلى مستوى التلقي أيضاً. إن "علم" "ويلس" أقرب كثيراً إلى "تشومسكي" أكثر مما يقر به الأول:

وهكذا فإن قابلية ترجمة نص مضمونة بوجود فئات تركيبية ودلالية عالمية والمنطق "الطبيعي" للتجربة. ولو أخفقت جودة ترجمة في الارتقاء إلى مستوى الأصل، فالسبب لا يتعلق (عادة) بعدم كفاية في الجردة التركيبية والمعجمية في تلك اللغة الهدف؛ بل على الأغلب بمقدرة

المترجم المحدودة على تحليل النص. (ويلس، 1982: 49).

وهكذا، وبالتدريب المناسب في معهده، يستطيع الطلبة تعلم كيفية توسيع جرداتهم من التكافؤات المناسبة، وشحذ حدسهم التأويلي، وتقديم ترجمات عالية الجودة. وذكّرنا موقف "ويلس" التعليمي بمشروع ورشة أ. ريتشاردز I.A. Richards لأن الاثنين يشتملان على تعليم الطلبة التأويل المناسب للنصوص.

يزودنا فحص تاريخ الترجمة عند "ويلس" بإطار يمكن من خلاله فهم تصوراتيه فهماً أفضل. يتحرك "ويلس" مسرعاً مستعرضاً منظري الترجمة الرومانيين والإغريق أمثال "سيسيرو Cicero"، و"جيروم Jerome"، و"لوتر Luther" ملخصاً كل نظرية بأقل من فقرة. ثم يقدم تحليلاً مفصلاً لنظريتين ألمانيتين عند كل من "فريدرك سكليرمacher Friedrich Schleier-macher" و"وليم فون همبولدت" Wilhelm von Humboldt. يكتسب سكليرمacher أهمية في علم "ويلس" لأنه يفرق نوعياً بين الترجمة "الصحيحة" والترجمة "الميكانيكية" مشرعاً الحاجة لعلم ترجمة يمكنه ترجمة الفن؛ ويحث المترجم القادر على التأويل على القفز إلى الرسالة الأساسية والترجمة "المناسبة" (مصطلح سكليرمacher) للمعنى. يعزز مشروع "ويلس" التعليمي الفرق اللغوي في الألمانية الذي لا نجده في الإنجليزية: الفرق بين الترجمة (übersetzen) والترجمة الشفوية (Dolmetschen). وحديثاً فقط، وبعد حض من مدرسة لايبزغ، بدأ استعمال مصطلح "الترجمة" ليشمل كلاً من فعلي الترجمة والترجمة الشفوية.

ثم يؤكد "ويلس" إسهام "همبولدت" لنظرية الترجمة. إنه مدرك للمتناقضات التي تحتوبها مناقشات "همبولدت" بخصوص الترجمة. لم يعتقد "همبولدت" بوجود استنتاج مفترض لأنظمة فكرية عالمية تتجاوز حدود اللغات منفردة. وويلس مدرك أيضاً أن مثل ذلك التفكير ينفي إمكان إيجاد تكافؤ وظيفي أبداً؛ في الوقت الذي يمثل فيه ذلك حجر الزاوية في علم "نايدا" وعلمه على حدٍ سواء. ومع أن وجهة نظر "همبولدت" أن اللغات غير متشابهة أساساً والترجمة مستحيلة، يجده "ويلس" يدلي ببعض الأقوال مثل: "أن القابلية الطبيعية للغة قابلية عالمية وأن على كل

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

[اللغات] أن تحتوي في داخلها المفتاح لفهم كل اللغات" (استشهاد في كلوبفلير Klöpfler، 1967: 55؛ ومستشهد به في ويلس، 1982: 36). ويخلص "ويلس" للقول إن الترجمة ممكنة، لأن عملية التأويل تمكننا من الوصول إلى هذه العالميات، كما تمكننا القوة التوليدية الكامنة للعالميات من تجاوز بعض الحدود الثقافية والاجتماعية المحددة. ويستنتج "ويلس" بفرح أن "القدرات التوليدية لهذه الطاقة الكامنة ضخمة لدرجة أنها تمكن التجمع السكاني من أن يستوعب بكفاءة كل الجوانب فوق اللغوية، ويشمل ذلك تلك التي تقع خارج مدى نطاق تجربتها الاجتماعية الثقافية" (ويلس، 1982: 36). يرى "ويلس" مناقشة مزدوجة مترامنة بدلاً من تناقض في وجهات نظر همبولدت، مستخلصاً أن الموقفين صحيحان، أعني: أن العالميات موجودة على مستوى أعمق في حين أن البنى السطحية يستثني بعضها بعضاً على نحو متبادل. ويرى أن هناك علاقة موجودة - لدى البنى الأساسية القدرة على توليد بنى سطحية - بين الاثنين. وبدلاً من فصم عرى القواعد التوليدية عند "تشومسكي"، يتبنى "ويلس" في الحقيقة الفرق الذي يؤسسه "تشومسكي" بين الكفاءة والأداء وبين البنية التحتية والبنية السطحية.

وهكذا نرى أن نظرية الترجمة عند "ويلس" متجذرة في المثالية الألمانية وتعتمد على ما يلي:

- (1) مفهوم اللغة العالمية المؤلفة من صيغ عالمية وقلب من التجربة المشتركة؛ و(2) اعتقاد بإمكان نقل البنية التحتية بعملية تأويلية؛ و(3) مكون توليدي يترجم ضمن اللغة من القاعدة /البنية التحتية إلى البنية السطحية للغة التي هي في قيد الدرس؛ و(4) وترتيب نوعي للنصوص، من مستوى عالٍ يضم الفن والنصوص العلمية إلى مستوى منخفض يشمل النصوص البراغمية ونصوص الأعمال. تعتمد منهجية بحث "ويلس" على تقليص النص المصدر إلى محتواه الموضوعي ونمط نصه بترجمة عكسية" ضمن اللغة نفسها". وإعادة صياغة المعاني يتخلص "ويلس" من الفروق، والتلاعب الخاص بمعاني الكلمات عن طريق التورية، واستنباعات النصوص كما تقع في التاريخ؛ وتُصنّف النصوص وفق نموذجها الأمثل، وتاريخياً. ويكشف الفرع البحثي لعلمه بوضوح عن مثل تلك المنهجية:

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ينبغي للبحث في الترجمة أن يطور إطاراً مرجعياً ينظر إلى النص بوصفه شكلاً تواصلية الغرض، ومن جانب موضوعي، ووظيفي، وبراغماتي؛ ويمكن اشتقاق جوانب النص الثلاثة هذه من بنية النص السطحية الخاصة به. (ويلس، 1982: 116).

تُصنف النصوص وفقاً لأنماط مثالية وعلاقات معقدة يجري تقليصها إلى صيغ مستمدة "تجريبياً" تقوم بتصنيف النصوص وفقاً لأنواع كلامية ومواضيع عالمية. يعاد وضع هذه المواضيع في لغة وسياق مختلفين؛ ولكن يصمم لتوليد التأثير نفسه الذي ولده الأصل. تقع تصنيفات "ويلس" للنصوص فريسة لما يشير إليه نقاد الأدب بالمغالطة التجريبية: لا يمكن أبداً ملاحظة الفئات المشتقة تجريبياً؛ إنها توجد على هيئة بنية مثالية بعض الشيء في تصور الفرد، تماماً مثل مفهوم الكفاءة عند "تشومسكي" الذي لا يفصح عنه أبداً ولكنه مشتق. والنظام مصمم كي يحدد نتائج نهائية، ويصفها ويجهزها للاستهلاك في زمن ومكان مختلفين. تميل مثل تلك المناهج العالمية إلى حذف الأشياء التي لا يمكن تبويبها في فئات محددة، مثل المتناقضات، وأشكال التهكم والسخرية، وأساليب التقارب والتباعد بين شخصيات النص، أو بين الكاتب وقرائه، التي تشكل دائماً جزءاً من كل نص. ويجري تضعيف الإشارات المتعددة المواضيع أو الأنواع أو حذفها نهائياً. إضافة لذلك، وبشكل لا يدعو للاستغراب، ينهي "ويلس" تاريخه بالقول المتفائل التالي: "يمكن التعبير عن أي شيء في أي لغة"، وأن هذه النظرة "شائعة في اللغويات الحديثة". (ويلس، 1982: 48). ولسوء الحظ فإن ما جرى تقليصه وضغطه لإنجاز هذا النجاح النهائي قد يكون على درجة من الأهمية لمعنى النص بأهمية موضوعه.

يكشف فحصٌ لعمل بعض أولئك اللغويين "الحديثين" الذي يقول عنه "ويلس" إنهم يعتقدون وجهة النظر الشائعة المذكورة آنفاً وإنهم لا ينتمون للحقبة بعد التشومسكية أبداً. ويقف "ويلس" مضاداً لمدرسة سابير/ورف Sapir/Whorf الفكرية التي تنفي أي وجود مفترض سلفاً لفئات فكرية عالمية؛ والتي يشكك أتباعها في إمكان أن تمتلك لغتان قلباً مشتركاً من التجربة. ولرفض هذا النوع من التعليل، يستشهد "ويلس" بتشومسكي أولاً، ثم "بايرك هـ. لينبيرغ Eric H. Lenneberg" الذي يفترض في كتابه: "الأسس الأحيائية للغة" Biological Foundations of

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

Language (1967) وجود عالميات أحيائية للغة. ويقترح "ويلس" أن وجهة نظر "تشومسكي/ لينبيرغ" حول اللغويات العالمية "تتقدم من الفرضية، التي لا منازع لها حتى تاريخه، من أن هناك عالميات نحوية ودلالية، ويشمل ذلك عالميات براغماتية؛ وهذا الأمر صحيح في العديد من اللغات إن لم تكن جميعها" (ويلس، 1982: 39). وبعد ذلك يستشهد "ويلس" بـ "إروين كوشمايدر Erwin Koschmieder" الذي يقول في Beitrage zur allgemeinen Syntax (1965) إنه لا ينبغي للمدلول أن يساوي معنى النص بالضرورة (1982: 43). ويخلص "ويلس" في النهاية إلى القول إن نظرية النسبية عند سابير/ورف "مبالغ فيها وغير مدعومة (هذا إن كان دعمها ممكناً في المقام الأول)" (ويلس، 1982: 43). وفي نقطة من بحثه، يصل سابير إلى حد وصف فرضية سابير/ورف بالعنصرية ضمناً، إشارة إلى مقال كتبه "أوتو كيد" بعنوان: "Ist Otto Kade Otto Kade alles ubersetzbar" (1964) كي يدعم هذه الحجة المثيرة سياسياً:

لو أكدت أن ترجمة كاملة غير ممكنة، فإنني أؤكد أن لغة ما (وبالتحديد اللغة التي أترجم إليها) لا يمكن أن تعبر عما جرى التعبير عنه قبلاً في لغة أخرى... وهذا يستبطن تصنيفاً ما لأولئك الذين يتكلمونها، ونجد أنفسنا في أؤكد طريق إلى إيديولوجية عنصرية رجعية (كيد، 1964: 88؛ يستشهد به "ويلس" في، 1982: 47-48).

والانتقال من فحص للأسس النظرية السائدة في الحقل إلى مثل تلك الاتهامات لا يشير فقط إلى استثمار "ويلس" في "علمه"، ولكن أيضاً إلى خوفه من أن تكون فرضية سابير/ورف أكثر شيوعاً مما هو مستعد للاعتراف به.

وفي النهاية، تعتمد مناقشة "ويلس" على قليل من الحجة العلمية وكثير من الحدس، وخاصة عندما يؤكد أن أي شخص تعامل مع "حقائق الترجمات" سيستوعب حدسياً صدق أقواله. وباستدعاء أقوال قالها منظرون في الترجمة أمثال فريدرك ويل، يرى "ويلس" أن البنية التحتية للغة (التي يضع فيها العلامة/ الرمز في السياق) يمكن تحديدها (بنقطة تأويلية) ونقلها إلى "كل" اللغات في أي سياق معاصر؛ وهكذا فإن البنية التحتية عند "ويلس" ليست أقل تجريداً من البنية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التحتية عند "شومسكي" أو نايدا. يبنى "ويلس" عالميات الشكل من نظرية "شومسكي"، ويضيف إليها المكون التجريبي الموجود عند نايدا. وينهي "ويلس" بابه عن اللغويات الحديثة بالاستشهاد من مقال لنايدا عام (1969) بعنوان: "علم الترجمة" حيث يقول الأخير فيه إن الانطباع بأن التواصل بين اللغات ممكن دائماً يعتمد على عاملين أساسيين: (1) أن أوجه التشابه الدلالية بين اللغات مردها إلى "جوهر التجربة الإنسانية المشترك"؛ و(2) هناك أوجه تشابه أساسية موجودة في "البنى التركيبية للغات، وخاصة في ما يسمى بمستوى البنى الأساسية أو بنى الجوهر" (نايدا، 1969: 483؛ مستشهد به في ويلس، 1982: 49).

وهكذا نجد أن "علوم" الترجمة التي وصفت حتى الآن في هذا الفصل تنزع إلى أن تؤسس نظرياً على تصورٍ عن طبيعة اللغة لا يمكن تحقُّق صحته تجريبياً. منهجياً، تنزع إلى أن تتقدم بعالميات وتعميمات لدرجة تجعل ما هو فريد، ومختلف وجديد عن أفكار كما عبّر عنها في اللغة مطموساً تماماً. وضمن مقتضيات وضع معايير للتقويم، تجد ضرورة أن يكون المترجم هو صاحب الرأي في ذلك، ولا تثق بمقدرة القراء على تأويل النص بمفردهم. أخيراً، بسبب الاستثمار المكثف في مفهوم البنية التحتية، سواء أكانت عالميات نحوية، أو دلالية، أو براغماتية، فإنها تميل إلى الاستخفاف بنتائجها، أي: أعمال الترجمة، والإسهامات التي يمكن لأعمال الترجمة أن تقدمها لحركة النص الأصل وتطويره.

النظريات الوظيفية في الدول الناطقة بالألمانية

تطور عمل "ويلس" على مدى العقدين الماضيين، وخاصة دراساته الوصفية التي تعمل على حالات ترجمة بين زوج من اللغات وتستكشف الاحتمالات المختلفة لترجمتها. وإذا ما أخذنا الأسس النظرية لعلمه بعين الاعتبار، ينبغي ألا نفاجأ إذا ما وجدنا أنه بدأ بتقصي العوامل العقلية التي تفسر أولاً الاستيعاب، ثم الترجمة الفعالة، الحس أولاً، ثم عملية اتخاذ القرار، وهي عوامل ليست بمنسجمة مع ما كان دائماً منهجاً إنسانياً. وأصبح مهتماً بعلم النفس الإدراكي ونظريات السلوك الإنساني أساساً، لأن نتائج الدراسات الوصفية قد أجبرته على إحداث تعديل للفرع المهم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

بالعلم العام. وبذا أصبح واضحاً درجة التنوع الكبيرة في النصوص المترجمة، التي نظر إليها "ويلس" على أنها ليست بسبب خطأ المترجم الممارس بقدر ما هي نتيجة السياقات الثقافية المختلفة التي يجد المترجمون أنفسهم فيها، وقراراتهم المبدعة الذاتية أساساً. لقد كان المكون الثقافي حاضراً دائماً في عمل "تايدا"، إلا أن "ويلس" يوسع الاعتبارات فوق الأدبية لدمج عوامل ثقافية لا تؤثر في النتائج النهائي فحسب، ولكن تزيد من أهمية اتخاذ القرار. وكان العامل "الذاتي" دائماً جزءاً من نموذج "تشومسكي"، الذي يؤكد الكمون الخلاق للغة الإنسانية. إلا أن العامل الذاتي كان غائباً إلى حد بعيد خلال العقد الأول من عمل مجموعة "ويلس" المختصة بفرع "البحث التطبيقي" التي وجّه عملها إلى أفضل حلٍ "موضوعي" إلى مسألة ترجمة مشكلة بين لغتين.

ولم يكن اقتراب "ويلس" من "تايدا" أكثر وضوحاً في أي جانب أكثر مما هو واضح في حججه المضادة لاجترار نماذج الترجمة المعتمدة على فرضية سابير/ورف التي رفضها قبل عامين. ومع أن مادة البحث التي تراكمت على مر العقود الماضية تشير إلى أنه ينبغي لمنظر الترجمة أن يأخذ في حسبانها السياقات الثقافية المتنوعة التي يعمل فيها المترجمون، فإن "ويلس" يصف فرضية "سابير/ورف" بأنها نسخة جذرية من نسبية ثقافية – لغوية. وما زال يدعي أنه "لا يوجد فرد يبحث في دراسات الترجمة يؤيد هذه النسخة الجذرية" (ويلس، 1989: 134). ويستمر في القول: "شخصياً لا أعتقد أن كل شيء مقرر لغوياً – ثقافياً؛ أعتقد جازماً أن هناك عدة جوانب في الترجمة... تتجاوز الحدود الثقافية وهي عالمية، في الواقع". ول يدعم موقفه، يستشهد "ويلس" بنايدا مرة أخرى، وهذه المرة من بحث بعنوان "ترجمة المعنى" (1982) يقول فيه "تايدا" إن أحد الأسباب لإمكان التواصل بين اللغات هو أن "ما ينقسمه شعوب ثقافات مختلفة أكبر بكثير مما يفصل فيما بينهم" وأنه "حتى ضمن ثقافة بعينها هناك عادة مواقف وأنماط سلوك متطرفة جذرياً أكثر مما يجده الباحث فيما يسمى بالسلوك العادي أو القياسي" (نايدا، 1982: 9؛ مستشهد به في ويلس، 1989: 135).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وباعتماده على اللغويات الحديثة واللغويات النفسية، فربما كان عمل "ويلس" في البحث في الحدس الإنساني وتعريفه، والإبداع في الترجمة الجانب الأكثر متعة نظرياً في عمله الحديث. فنصف كتاب ويلس "Kognition und Übersetzen" (1988) مخصص للموضوع، وهناك بوضوح ذببان لبعض المفاهيم الصارمة المحددة ضمن علم الترجمة. ويكتب أن الحدس نقيض المفاهيم النموذجية وأنه ينبغي للمترجمين، مع أن عليهم أن يعودوا أنفسهم العمل بانتظام وفق خطة فكرية، أن يبقوا أيضاً خارج أساليب الترجمة المقبولة ومعاييرها ويتعرفوا حدسياً بعض جوانب النص، وذلك سلوك يجده "مجازفاً" ولكنه يشكل دائماً جزءاً من العملية. ويخلص إلى القول إنه ينبغي لكل من التحليل المنتظم والحدس أن يكمل الواحد الآخر. الإجراء الأساسي منتظم، أعني: تحديد بنية النص المهيمنة من عدد لا متناه من التفاصيل بآلية تعتمد التجريد. إلا أن "ويلس" يقر أن مثل ذلك الإجراء ليس الإجراء الوحيد الذي يمكن تصور وجوده، وغالباً لا يمارس (ويلس، 1989: 142-143). ويقول أيضاً إنه حتى في منهج عقلائي منتظم للترجمة، يؤدي الحدس دوراً في كيفية تفكير المترجم وصياغة للحلول. وهكذا نجد - مع أنه يتمسك بالأسس المؤسسة جيداً في übersetzungswissenschaft - أن عمله الحديث مفتوح النهاية، إذ يحلل كلاً من المكونات الثقافية والعوامل الخلاقة بطريقة تجعل البحث العلمي أكثر تعقيداً.

ومع أن الجوانب الخلاقة في الترجمة اعتبرت خارج نطاق البحث العلمي منذ أمد بعيد، فإن علماء ألمان مثل هانز هونغ Hans Hönig وبول كوسمول Paul Kußmaul قد دأبوا منذ مدة طويلة على تطوير أساليب لتحقيق ذلك بالضبط. وفي مقالة بعنوان "نظرية هولمز للمطابقة وصورة لعمليات الترجمة من الداخل" (1991) يناقش هونغ النتائج من أسلوبه المعروف بـ "فكر بطريقة مسموعة" الذي يتحدث فيه المترجمون بصوت مسموع إلى جهاز تسجيل في الوقت الذي يترجمون فيه نصاً، مما يكشف عن عملياتهم العقلية أثناء العمل. واكتشف أن العديد من الاستراتيجيات التي تلقنها المترجمون أثناء التدريب تعيق في الواقع العملية، وتجبرهم في أغلب الأحيان على التوضيح بالإبداع لمصلحة سلوك قد تعلموه. ويقترح أن الأحكام غير الواعية والحدسية وغير المسيطر عليها بدقة ربما كانت في أغلب الأحيان أكثر أهمية من الخيارات التي

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تجري تحت وطأة شروط مدركة عقلياً ومنضبطة تماماً. وفي "الإبداع في عملية الترجمة: مناهج تجريبية" (1991) يطور كوسمول النموذج بقدر أكبر فيتحدث فيه مترجمان إلى جهاز تسجيل في الوقت الذي يترجمان فيه النص نفسه، ومن ثم يجري خلق حوار للعمليات العقلية قيد العمل. وفي حين يخلق نموذج "فكر بصوت مرتفع" الذي يقوم به مترجم واحد بيئةً اصطناعية - حين يتكلم المترجمون لأنفسهم - من ثم مقيد بأمانة المترجمين أنفسهم، يخلق نموذج الحوار مناحاً أكثر صدقاً وطبيعية. ومرة ثانية يجد "كوسمول" أن الارتباطات غير الواعية على القدر نفسه من الأهمية كالحلول العقلانية. تحدث الانقطاعات غالباً في عملية الترجمة؛ ولكي يتخلص المترجمون من مثل تلك اللحظات عليهم أن يعملوا عقولهم بقوة، ويتخيلوا، وبحولوا انتباههم عن المهمة الآتية التي هي في قيد الترجمة. ويبدو أن الاسترخاء والتحرر من قيود الحالة التعليمية، وفقاً لكوسمول، يساعد المترجمين على إيجاد حلول أكثر ملاءمة. وينتهي باقتراح فحواه أن المقدر على الاستخدام الحر للغة، وتوليد العديد من الارتباطات، والخيارات، والاحتمالات، تمثل جزءاً لا يتجزأ من عملية إنتاج ترجمات جيدة، وتلك نظرية طورت في كتاب عنوانه: "تدريب المترجم" (1995).

وثّع "مدارس" أخرى في ألمانيا منهجاً تجريبياً مماثلاً لدراسة الترجمة وتعليمها؛ فقد تطورت مدرسة لايبزغ، التي بدأت في منتصف الستينيات من القرن العشرين، بقدر كبير. ويختلف عمل أوتو كيد Zufall und Gesetzmässigkeit in der Übersetzung (1968)، وهو نص ربما يستحق إعادة دراسته اليوم، كثيراً عن المنهج الحالي. سمح كيد لطبقة واسعة نسبياً من Textgattungen أنواع النصوص (ليس بالضرورة أنماطاً، ولكن تُصنف نوعياً) التي بأن تُدمج وفقاً للشكل والمحتوى، ربما وفق الخطوط العامة لمفهوم نقدي جديد يتعلق بوحدة النص الأصلي. إلا أن اهتمام "كيد" الأساسي وقتئذٍ كان أكثر تركيزاً على الوحدة أو مستوى الكلمة، إذ اقترح أربعة "أنماط" من التناظر: واحد - إلى - واحد (total Äquivalenz)؛ وواحد - إلى - عدة (fakultative Äquivalenz)؛ وواحد - إلى - جزء من (approximative Äquivalenz)؛ وواحد - إلى - لا شيء (Null_Äquivalenz). وبعد تقسيم النص إلى أطر أو وحدات، على المترجم أن يختار

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

"التكافؤ الأمثل" من بين عدة تكافؤات أو خيارات متنوعة متوفرة؛ ويتقدم بناء الوحدات بعد ذلك لبناء كل متكامل. وباهتمامه بالتفاصيل وتركيزه على الأطر المرجعية الصغرى، يبدو أن هذا المنهج ليس بعيداً أبداً عن منهج اقترحه باوند Pound منذ مدة.

وبعدما أصبحت اللغويات "الحديثة" أوسع انتشاراً عالمياً، تطورت مدرسة لايبزغ، وتحول التركيز من منهج يعتمد على التكافؤ على مستوى الكلمات، إلى نموذج يعتمد التحويل بقدر أكبر. يناقش "ألبرت نيوبيرت" في بحثه بعنوان: "Invarianz und Pragmatik" في عام (1973) "المشكلة الأساسية" لعلم الترجمة. أوجد شيئاً "ثابتاً" للمقارنة في الترجمة يعتمد على النص الأصلي وأعطاه مسمى نمط النص. وكتب أن الشفرات التي تحكم استعمال اللغة تشير إلى أنه يمكن للمرء أن يتوقع في أي موقف تواصل نمط نص مميز، وأن نمط النص هذا ثابت في اللغة الأصلية (نيوبيرت، 1973: 16). وأضاف أن النمط الثابت، الذي تتحدد معالمه من البراغماتية وعلم الدلالة، يسمح أيضاً بتغيرات في النتائج المحدد، وتصبح مشكلة الترجمة عندئذ مسألة مقارنة مثلى (نيوبيرت، 1973: 19). يبدو ذلك أقرب ما يكون للقواعد التحويلية، وعندما سئل كيف تصبح الترجمات ممكنة؟ أجاب "نيوبيرت" أنها تصبح ممكنة بدقة بسبب وحدة بناها التحتية، وأن عملية التأويل في البنية السطحية على مستوى وحداتها القواعدية - المعجمية ووظيفتها البراغماتية تُستمد من تلك البنية التحتية نفسها (نيوبيرت، 1973: 20).

وقادت هذه العودة إلى اللغويات "نيوبيرت" إلى تطوير ما أصبح يُعرف بـ "النموذج من الأعلى إلى الأسفل" في الترجمة. ويكتب في "Translatorische Relativität" أن وحدة الترجمة الأساسية النص برمته، الذي يمكن للمرء من خلاله أن يعود فيه عكسياً للوصول إلى الفكرة الشاملة التي تُقسم بعدها إلى وحدات دلالية منفردة أصغر يمكن نقلها (نيوبيرت، 1986: 101؛ راجع أيضاً نيوبيرت، 1985: 135). ثم إن المصطلحات قد تحولت قليلاً: يُفهم النص الموحد الآن بأنه يمتلك نوعية "فسيفسائية"، أي: مرونة تمكنه من ترجمته إلى تشكيلة منوعة "تسبياً" في اللغة الهدف. ويستقدم "نيوبيرت" مصطلح "النسبية الترجمانية" في عملية إعادة البناء التي تسمح بحدوث عملية نقل "خلاقة" من النص الأصلي إلى النص الهدف. ومع ذلك فإن هذه "النسبية" مفهوم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

خداع إذ لا صلة لها مطلقاً بفرضية سابير/وورف. عوضاً عن ذلك يقول "نيوبرت" إن هذه النسبية مستمدة من تعددية موروثية في الاحتمالات البنيوية للأصل (نيوبرت، 1973: 97). يذكّر النموذج الذي يرسم ملامحه "نيوبرت" المرء بـ"حول رسم الخرائط والمقارنة فيما بينها" لـجيمس هولمز James Holmes (1973: 4): إذ إنه بمجرد أن يقوم المترجم باختيارٍ لكلمة ما، أعني: بنية محددة، فإن بقية النص تتبع بوضوح نمطاً محدد المعالم، أي: تتبنى شبكة من الوحدات – من الكلمات، والجمل، ومقاطع من النص – بشكل متماسك تماماً. إلا أن اللغة التي يقدمها "نيوبرت" في نموذجها، على غير ما هو موجود في هولمز، على أية حال، تمتد من الخطاب اللغوي إلى مفاهيم خيالية تتجاوز الخبرة الإنسانية في أغلب الأحيان. فتارة، يتحدث عن التكافؤ النصي وفق مقتضيات قضية (دلالية) كبرى، تتناظر مع محتوى النص المصدر الدلالي، يجري تقسيمها إلى نسيج من الكلمات تلبسه البنى النحوية (نيوبرت، 1986: 95). وفي أحيان أخرى تتخذ حججه معايير أقل مما تتطلبه المعايير العلمية. يتخيل النص المصدر على أنه "جزيرة من اللامتعيرية"، ويتحدث ضمن شروط وثيقة أو قفزة من النص المصدر؛ ويرى أن "التلاحم الحقيقي" (لأنه يميزه عن التماسك في المستوى السطحي) هو في الحقيقة المعيار لأقسام أكبر من النص، وأن الخيارات التي تُقدم للمترجم "مقررة" سلفاً. (نيوبرت، 1986: 92؛ وراجع أيضاً "نيوبرت"، 1985: الملاحظة 81).

ومع سقوط الجدار الذي كان يقسم ألمانيا والنظام السياسي القديم في جمهورية ألمانيا الديمقراطية السابقة، تفرق علماء مدرسة لايبزغ في أصقاع متفرقة من العالم. ولحسن الحظ، حطت الأقدار بنيوبرت في جامعة كينت الحكومية، حيث يعمل عدد من العلماء المتخصصين في الترجمة، ومنهم "غريغوري شريف"، و"كارول ماير"، وآخرون. وألف "شريف ونيوبرت" كتاباً بعنوان: "الترجمة وعلوم النص" (ترجمه إلى العربية مترجم هذا البحث، ونشرته جامعة الملك سعود عام 2002) ضمّناه العديد من الأفكار التي تتعلق بالمناهج اللغوية الاجتماعية، ولغويات النص، واللغوية – النفسية التي يناقشها. ويطبق المؤلفان البحث الإدراكي في عملية الترجمة على نماذج لغويات النص دون التخلي عن النموذج الذي يعتمد على حل المعضلة أو اللغز.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ومع أن قسماً كبيراً من الكتاب يركز على البنى القواعدية وعملية الوصول إلى "المعنى الفكري" وإعادة بناء تلك الأفكار في لغة ثانية، فإنه ينظر إلى المترجم بوصفه وسيطاً في عملية التواصل بين اللغتين، واستُخدمت مفاهيم مثل "إدارة الموقف" "تيوبرت" وشريف، 1992: 85-6؛ وقارن ذلك بما ورد في بيوغراند ودرسلر، 1981: 168). وهكذا، فالنظرية عملية التوجه، تحاول وصف عملية الترجمة، وتوضيح كيف يمكن لنظرية الترجمة أن تكون ذات فائدة عملية لطلبة الترجمة.

وعلى صلة وثيقة بمدرسة ساربروكن ومدرسة لايبزغ، كان هناك ما أصبح يُعرف بالمنهج الوظيفي، الذي مارسه في الدول الناطقة بالألمانية العديد من العلماء ومنهم "كاثرينا ريس"، و"هانز فيرمر"، و"ماري سنيل هورنباي"، و"كريستينا نورد"، و"جوستا مانتاري". وترى "كاثرينا ريس" في Möglichkeiten und Grenzen der Übersetzungskritik (1971) أن هذا النوع من المنهج الخطي الذي تبناه علماء أمثال "أوتو كيد" قد أعاق بدلاً من أن يساعد على تطوير "تصنيف نصوص مهم لعملية الترجمة" (ريس، 1971: 28). يعتمد عمل "ريس" على التطور الذي حصل في فرع البراغماوية من اللغويات، وتؤسس أنماطها على وظيفة اللغة في النص. وباستخدامها عملاً قام به "كارل بوهلر" Carl Bühler بعنوان Sprachtheorie (1965) تقسم اللغة المدروسة إلى وظائفها التمثيلية، والتعبيرية والاستجابية. ومع أنها تعترف أنه نادراً ما يقتصر تمثيل نص على إحدى هذه الوظائف بمفردها، فإنها تقترح أنه حتى في الأشكال المزججة لا بد أن تكون إحدى هذه الوظائف هي المسيطرة (ريس، 1971: 32). وبعد ذلك تنتقل إلى إعطاء أمثلة على أنماط النصوص بالتتالي مبتدئة بـ inhaltsbetonte (تلك التي تؤكد المحتوى أو المعلومة)، و formbetonte (تلك التي تؤكد شكل اللغة)، و appellbetonte (تلك التي تؤكد استجابة القارئ).

ووصل عمل "ريس" إلى ذروته في العمل المشترك مع "هانز ج. فيرمر" بعنوان: Grundlegung einer allgemeinen Translationstheorie (1984) الذي أصبح النص الأساسي للمنهج الوظيفي في الترجمة. ويتوسيع مفهوم التكافؤ الدينامي عند "نايدا" ليتسع لمستويات جديدة من المرونة والتكيف، استطاع منظرو المنهج الوظيفي، وهو أشد المجموعات

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

تأثيراً في ألمانيا، والنمسا، وأجزاء من فنلندا خلال العقد الماضي، أن يتكيفوا جيداً مع السوق العالمية الجديدة. ومع أن معظم العمل متوفر بالألمانية فقط فإن نسخاً مختصرة من Grundlegung موجودة بالفلندية (1985)، والإسبانية (1996). وكتب فيرمير بحثاً في الإنجليزية يوضح فيه ملامح نظريته بعنوان: "نظرية السكوبس Skopos والتفويض في الفعل الترجمي" (1989). والأكثر فائدة للعالم الناطق بالإنجليزية كان بحث كريستينا نورد الذي تلخص فيه النظرية بعنوان: Translation as a Purposeful activity; Functionalist "approaches Explained" الترجمة بوصفها نشاطاً ذا معنى: شرح للمناهج الوظيفية" (1997).

والتحولان الأكثران أهمية في ميدان التطورات النظرية في مجال نظرية الترجمة على مر العقدين الماضيين كانا: (1) التحول من نظريات منطلقها الأساسي النص المصدر، إلى نظريات توجهها الأساسي النص الهدف؛ و(2) والتحول لضم عوامل ثقافية إضافة لعوامل لغوية في نماذج التدريب على الترجمة. وكان أولئك الذين يعتنقون مناهج وظيفية رواداً في كلا الحقلين. يتصور منظرو المناهج الوظيفية أن الترجمة عمل يقوم به شخص يسعى لتحقيق هدف تواصلية محدد، يشير إليه كل من "ريس" و"فيرمير" بغرض النص ووظيفته Skopos¹ (عن اليونانية بمعنى: قصد، غرض، هدف؛ ريس وفيرمير، 1984: 96). ولأن ملائمة وسيلة التواصل تؤدي دوراً هاماً في تحقيق الهدف المقصود، تكتسي الثقافة الهدف أهمية خاصة. ويكتب فيرمير: "يمكن قراءة قاعدة الـ Skopos على النحو التالي: ترجم/ترجم شفويّاً/ تكلم /اكتب بطريقة تمكن

¹ الـ Skopos: تعني باختصار، معرفة الغاية الدقيقة من الترجمة، والوظيفة التي ستقوم بها في اللغة الهدف كما يعرفه مولها والتعديلات التي يقترحها المترجم لتحقيق ذلك، ومن ثم اعتماد أفضل أسلوب لإنجاز المهمة. والكلمة مشتقة من اليونانية scopus وهو اسم إغريقي لجبل يقع شمال بيت المقدس كان يؤمه حجاج القرون الوسطى النصراني الذي كان بوسعهم أن يروا من قمته هدفهم النهائي وأفضل السبل للوصول لذلك. وتصبح الاستعارة واضحة الآن، أي إنه ينبغي للمترجم أن يعرف الهدف النهائي لترجمته، ووظيفتها في اللغة الهدف وأفضل السبل لتحقيق ذلك تماماً كما كانت وظيفة قمة الجبل المذكور آنفاً بالنسبة للحجاج. أشهر أعلام هذه النظرية فيرمير الألماني، المترجم.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

نصك/ترجمتك من أن تحقق وظيفة المقام الذي تستخدم فيه وبالناس الذين سيستخدمونه، وبالطريقة التي يريدونها أن تعمل فيها بدقة" (فيرمير، 1989:20؛ تم اقتباسها وترجمتها في نورد، 1997: 29). وتلخص "نورد" قاعدة الـ Skopos على النحو التالي: "الغاية تبرر الوسيلة" (1997: 29). ودون الإصرار على ترجمة واحدة كاملة بوصفها هدفاً بعينه، أو الإصرار على أي استراتيجية خاصة، يحث الوظيفيون المترجمين على أن يبذلوا أقصى ما عندهم للوصول إلى حلول مثالية ضمن الشروط الموجودة. قد يختار المترجمون أن يكونوا أمينين لروح النص المصدر، أو قد يختارون استراتيجية ترجمة كلمة بكلمة، أو قد يضيفون، أو يحذفون، أو يغيرون بعض المعلومات بما يروونه مناسباً، اعتماداً على الشروط الثقافية وحاجات الجمهور/ الزبون. في الحقيقة ينزع المنظرون الوظيفيون إلى جعل الحدود التعريفية للترجمة ذاتها باهتة. يتحدث "فيرمير" أنفاً ضمن شروط "ترجم/ترجم شفويًا/تكلم/اكتب" بوصفها مفهوماً واحداً مستمراً. وتتجنب "جوستا - مانناري"، وهي منظرة ترجمة وظيفية تُعلم في فنلندا، استعمال مصطلح "مترجم" أبداً، حيث تجده ضيقاً جداً في مفهومه. وفي (Transla-torisches handeln: Theorie und Methode 1984)، تستعمل كلمة Botschaftsträger (موصولو الرسالة)، التي تشعر أنها تتطوي على تنوع من أجناس التواصل عبر الثقافات، ويدخل في ذلك نصوص متحدة مع وسائل تواصل أخرى كالصور، والأصوات، وحركات الجسم.

إن ولادة نظرية ترجمة وظيفية تمثل لحظة حاسمة في تطور نظرية الترجمة بكسرها قيود سلسلة استمرت أكثر من ألفي عام، تدور حول محور الترجمة الحرة مقابل الترجمة الحرفية. يمكن للمناهج الوظيفية أن تكون حرة أو حرفية وما زالت صحيحة نظرياً، ما دام المنهج المختار مناسباً لهدف التواصل. فعلى سبيل المثال، قد تتطلب بعض النصوص المتعلقة بوصف المنتجات ترجمة كلمة بكلمة؛ في حين قد تتطلب ترجمة نصوص أخرى كما في نصوص الدعاية منهجاً حراً. يمنح المنهج الوظيفي المترجم المرونة الكافية كي يقرر أي منهج هو الأفضل لترجمة نص ما. وهكذا يتمتع المترجم/ العامل الثقافي بالحرية الكافية كي يساهم بفعالية في إنتاج النص النهائي. وفي الحقيقة ينظر المنهج الوظيفي للمترجم بوصفه عاملاً عبر الثقافات وليس مجرد

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ناسخ ثانوي يحتل موقعاً ثانوياً. ينظر هولز مانتاري إلى المترجمين بوصفهم خبراء في التواصل بين الثقافات وشركاء مسؤولين في الأحداث التواصلية. وبالمقارنة بمنظري الترجمة الآخرين الذين استشهدنا بأقوالهم في هذا الكتاب، فقد عمل المنظرون الوظيفيون ما بوسعهم لتعزيز مكانة المترجمين، بحيث رفعوا من مكانتهم ليصبحوا في مقام المؤلفين، والمحررين، والزبائن بحيث وثقوا بهم لاتخاذ قرارات مناسبة وعقلانية تحقق على أكمل وجه التواصل المقصود عبر الثقافات.

والشيء الوحيد الذي يبدو أن الوظيفيين يصرون عليه هو أنه ينبغي للنص المتلقى أن يكون متلاحماً دلاليّاً، وسلساً، وطبيعياً، وتلك صفات أصر عليها "نايدا" في مفهومه للتكافؤ الدينامي. ويعتمد هذا التلاحم وفقاً لريس وفيرمر على مفهوم المترجم لـ "الغاية النهائية من ترجمة النص" Skopos للنص الذي هو في قيد الترجمة (1984: 114). يضع "ريس" و"فيرمر" ما يسميانه "التلاحم النصي" بين النصوص المصدر والنصوص الهدف. ويجري الحكم على الخيارات بـ"صح" و"خطأ" وفقاً لانسجامها وثباتها مع فهم المترجم للنص بوصفه وحدة متكاملة. وقد جرى تحفيز مفهوم تقليدي للوفاء للأصل، يجري بناء على مقتضياته التحليل: فإذا كان النقل منسجماً مع "الغاية النهائية" للأصل، توصف الترجمة بالترجمة الآمنة، والجيدة والمقبولة. يهدف معظم عمل "ريس" إلى تطوير معايير للتقويم يمكن بواسطتها الحكم على جودة النص المترجم أكثر من هدفها تطوير نظرية للترجمة.

وهنا تكمن إحدى مشكلات كتاب Grundlegun الذي ألف مناصفة؛ حيث كان "فيرمر"، الذي ألف الجزء الأول، أكثر معيارية ونظرية؛ في حين بدت "ريس"، مؤلفة الجزء الثاني، أكثر اهتماماً بالنتائج والتقويم. يبدو أن لدى كل منهما مفاهيم مختلفة تماماً عن الآخر بما يتعلق بمفهوم المصطلح الأساسي "الغاية النهائية من الترجمة Skopos" الذي أصيب معتقوه بالإرباك. يصل "فيرمر" إلى حد القول إن العنصر المؤسسي في "الغاية النهائية للترجمة" موجود دائماً في الثقافة المستقبلية، في حين يبدو أن "ريس" تعتمد في جزئها المهتم بالتقويم على تحديد تصنيفات النص الأصلي، ويشمل ذلك الاستجابة للنص أو الهدف، وتعيد بناء تلك العناصر في الثقافة المستقبلية. وتتحدث "ريس" في قسمها من الكتاب عن قيام النص المترجم بخدمة الوظيفة أو

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الوظائف التواصلية نفسها للنص المصدر، من ثم الحفاظ على "ثبات الوظيفة بين النص المصدر والنص الهدف (ريس وفيرمر، 1984: 140، اقتباس وترجمة نورد Nord، 1997: 36). ومع ذلك تبقى أسئلة بخصوص نظرية تدعي ثباتاً تاريخياً، وثقافياً و/أو تشير إلى الوظيفة التواصلية نفسها في كل من النص المصدر أو النص الهدف. إضافة لذلك، فإن منظرين أمثال فينوتي Venuti، الذي يفضل إدراج وسائل تعيق تلاحم النص وسلاسته، يناون بأنفسهم عن المنهج الوظيفي.

يبدو أن نورد نفسها غير قلقة مما يتعلق بعدم الثبات في مصدر "الغاية النهائية skopos" للنص المترجم. ففي فصل بعنوان: "النقد" لمؤلفها "الترجمة بوصفها نشاطاً هادفاً" (1997)، تكتب ما يلي:

"إن كنت فهمته على الوجه الصحيح، فإن وجهة نظر فيرمير هي أن "الغاية النهائية للترجمة skopos" (مفهوم ساكن) يقع حقيقة في الثقافة الهدف، إذ يحدد الموقف الذي سيجري تلقي النص الهدف فيه. ومن الناحية الأخرى، فإن جنور الغرض (مفهوم دينامي) موجودة في المقام الأصلي؛ إنه يمثل "الدافع" الذي يوجه الشيء المراد نقله نحو هدفه. وفي معظم الحالات، لا يمثل هذا الاختلاف الصغير أهمية حيوية، مما يفسر استعمال فيرمير للمصطلحين كمترادفين (نورد، 1997: 115).

يوضح مثل هذا القول الطبيعة البراغماتية لموقف المنظر الوظيفي، إذ إنه ببساطة لا يكثرث كثيراً بالمتناقضات النظرية التي غالبيتها لغوية. لا يتعامل فيرمير مع "الهدف النهائي للترجمة" Skopos و"الغرض" Zweck كمترادفين فحسب، ولكنه يخلط بين مفاهيم مثل: "الهدف" Ziel، و"الوظيفة" Funktion، و"القصد" Absicht بطريقة متداخلة، يزيد من تعقيد الترجمة لغير مستعملي الألمانية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ومع ذلك، تمثل المكونات البراغماتية التي أدرجها المنادون بالمنهج الوظيفي إضافة مشكورة لدراسات الترجمة. فمع أن العديد من المنظرين اقترحوا أنه ينبغي لنظرية الترجمة أن تدرج عوامل فوق لغوية في المعادلات الترجمة، فإن القليل منهم أوجد نماذج مناسبة للقيام بالمهمة. يضيف الوظيفيون العوامل الثقافية على نحو جيد ويسير. قد تبدو بعض إضافاتهم واضحة: فلدَى الزبون الذي يطلب ترجمة نص من مترجم أهداف محددة ينبغي مراعاتها؛ ولدى الجمهور المتلقي توقعات محددة ينبغي مخاطبتها؛ والترجمة شكل من أشكال الفعل؛ وإنها تفاعل تواصل. ربما كانت أكثر إضافة مبتكرة للنموذج هي ما يدعوه الوظيفيون بـ "راعي" عملية الترجمة - وقد يكون شخص، أو مجموعة، أو مؤسسة قد تكون أهدافه/م مختلفة تماماً عن مؤلف النص الأصلي، ومستقبل النص الهدف، والمترجم. ويكون الراعي في الغالب مسؤولاً عن تحديد الترجمة بقدر كبير وغالباً ما يدفع تكاليفها. وفي كل نموذج تقريباً، يضم المنظرون الوظيفيون ما أصبح يُعرف بـ "ملخص أهداف الترجمة" (übersetzung-sauftrag، راجع نورد، 1997: 30؛ ويطلق عليه منظرون مختلفون أيضاً مسميات مختلفة مثل: "تعليمات" أو "وظيفة" أو "تقرير") التي يقررها الزبون إلى حد بعيد. يزود ملخص الأهداف المترجم بما أمكن من التفاصيل بخصوص الغرض، والمخاطب، والزمان، والمكان، والمناسبة، والوسيلة التي ستأخذها الترجمة. وهكذا يقرر الراعي في الغالب هدف الترجمة، وليس المؤلف، أو المتلقي أو المترجم. في الواقع، يشبه المفهوم إلى حد بعيد مفهوم "الراعي" عند "أندريه ليفيفر Andre Lefevere".

وهكذا يقع "الغرض النهائي للترجمة Skopos" بالنسبة لأكثر الأغراض العملية، لا في نص ثقافة النص الأصلي ولا في ثقافة النص الهدف، بل يجري التفاوض عليه بين الزبون والمترجم، مع الأخذ بعين الاعتبار النص الأصلي والجمهور المتلقي. وحتى عندما لا يكون هناك ملخص بأهداف الترجمة بشكل رسمي، دائماً ما يوجد بشكل ثابت ملخص كامن يكون بوسع المترجمين المحترفين استنتاجه اعتماداً على خبرتهم. ونجاح النظرية الوظيفية بقدر كبير خلال العقد الماضي ينبغي ألا يدهش أحداً؛ إذ إنها كانت صالحة تماماً وبوجه خاص لترجمة نصوص الأعمال اليومية، ويشمل ذلك الدعايات، والمطويات (البروشورات)، ووصف المنتجات، والبضائع

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

المسوقة. كما أنها صالحة تماماً لترجمة النصوص السياسية. يود متابعوها الحاليون أن يوضحوا كيف يمكن لهذا الشكل من الترجمة أن يؤدي دوراً حاسماً في التشكيل الثقافي. وتستشهد "كرستينا نورد" بالوضع في جنوب أفريقيا حيث أدت الترجمة دوراً حيوياً في خلق أمة جنوب أفريقيا الجديدة. فلم تؤدّ الترجمة دوراً حيوياً فقط في الحملة الانتخابية الناجحة التي قام بها حزب المؤتمر الوطني الأفريقي في أول انتخابات ديمقراطية – إذ تُرجمت كل شعاراته في الحملة الانتخابية إلى تسع لغات إفريقية – ولكنها أدت دوراً في إدارة الحكومة الجديدة في مجالات مثل: المالية، والقانون، والتأمين، والصحة، والتربية، والمصلحة العامة. وتستشهد "نورد" ب.أ.ك. ووكر، A.K.Walker وألبرت كرجر Alert Kruger، وأ.س. أندروز I.c. Andrews الذين يكتبون في بحث بعنوان: "الترجمة بوصفها تحويل: عملية تكيف لغوي وثقافي" ما يلي:

ولكي نخرّج مترجمين مستقبليين قادرين على إنتاج ترجمات يمكن فهمها، علينا أن نكون قادرين على الاعتماد على نمط محدد الإطار، لا يعتمد على تعاريف جامدة صارمة من الأمانة، [ولكن عوضاً عن ذلك] بل مرّن بما يكفي لأن يستخدم في أي مهمة ترجمة يمكن أن تحصل، سواء أكان ذلك عبر ترجمة تقليدية أم إعادة صياغة. (ووكر وآخرون، 1995:106؛ مستشهد به في نورد، 1997: 136-7).

وإذا ما أخذنا نفعية مثل هذا المنهج في عالم الأعمال وعلم السياسة، يبدو أن مستقبل المنهج الوظيفي زاهر بالتأكيد. لقد أدى المنهج سلفاً إلى توسيع برامج التدريب، من ثم يكتسب المترجمون الوسائل الثقافية والحاسوبية التي تمكنهم من ممارسة مثل ذلك الشكل من فعل التواصل عبر الثقافات. أما بالنسبة لأولئك القلقين من الانتشار الواسع وغير الدقيق غالباً لقيم الشركات المعاصرة، فقد يبقى المنهج الوظيفي مثيراً للقلق بعض الشيء. وكما كان لنايذا قيم تبشيرية خلف مناداته بالتكافؤ الدينامي وفي "علمه" للترجمة، فكذلك يبدو أن هناك في المنهج الوظيفي قيم مبيعات وراء مناداته بالتكافؤ الوظيفي. وغير المعلن خلف المنهج الوظيفي شيء يتصل بدرجة كبيرة بالمصالح الاقتصادية لمؤسسات اجتماعية قوية جداً، وفي عالم الأعمال. وفي الوقت الذي يتمتع فيه المترجمون الممارسون ضمن ذلك الإطار بمكانة مميزة وأجور متزايدة، فقد يجدون

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

أنفسهم أيضاً يضحون باستقلالهم، ويصبحون أكثر تبعاً للممولين، وكتبته أهداف ملخصات الترجمة، والوسطاء وفق الغاية العامة Skopos للنص المترجم.

تُفتح النماذج الوظيفية باستمرار وتوسع لتتعاظم تعاملاً أفضل مع التقدم الحاصل في اللغويات والعلوم الأخرى. وتجد ماري سنيل هورنباي، مؤلفة "دراسات الترجمة: منهج متكامل" Translation Studies: An Integrated approach (1988) منهج تصنيف النصوص عند ريس جافاً وتقنياً كثيراً، وتقتراح "تصنيفاً" أكثر مرونة. وتقدم نموذج تصنيف معقداً جداً وبمستويات عمودية وأفقية متعددة، بحيث تبدأ من المستوى الأكثر عمومية إلى مستويات أكثر خصوصية (سنيل هورنباي، 1988). وباستدعاء استشهاد "ولس" لتصور تشومسكي/ لينينبرغ، تبني سنيل هورنباي مقولاتها على ما يمكن تسميته بـ مؤسسة/ رورش/ برلين، أساساً، "لا توافق" نظرية رورش التي أثرت في مدارس علم الدلالة في أمريكا الشمالية، على النظريات الكلاسيكية للتصنيف، وأدت إلى المناداة بنظرية تعتمد على التصنيف "الطبيعي"، أي: على شكل أنماط أساسية، نظام يشبه النظام المتكامل الذي يحتوي على "جوهر موحد" بحافاتٍ ضبابية المعالم. (رورش، 1973، مستشهد به في سنيل هورنباي، 1988: 27).

وفي الوقت الذي يجد فيه بعض العلماء مشكلات بخصوص طمس سنيل هورنباي لمعالم بعض المفاهيم الأساسية المحددة، يمكنها منهجها الأكثر مرونة من مواجهة مشاكل تتجاوز غالباً مدى النماذج التقليدية لتحليل النصوص. فعلى سبيل المثال، تتحدى الاستعارات، والتوريث، واللعب بالكلمات غالباً "قواعد" الوصف اللغوي المؤسس والنماذج التحويلية. غالباً ما يُشار إلى الاستعارات بوصفها "لغة منحرفة" لأنها لا تتبع قواعد قيود الانتقاء. يمكن نموذج "سنيل هورنباي" العلماء من تحليل الجانب الإبداعي من الترجمة و"العلاقات المتنوعة المتعبة جداً الموجودة بين القاعدة، والمعيار، والتحقيق الخاص بشكل أو بآخر" (1988: 51). ويمكنها نموذجها أيضاً من مناقشة عوامل ثقافية وفوق لغوية لم يستطع العلماء التقليديون من إدراجها في نماذجهم لأنها شديدة التعقيد، ومتنوعة جداً. والوحدات المنفردة مثل وحدات الكلمات، والعبارات، والجمل، والفقرات، والنصوص مهمة فقط بقدر ما لها علاقة بالسياق الأوسع لمقام التواصل والثقافة. في

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

الحقيقة، إن "سنيل هورنباي" أحد رواد "دور الثقافة" في دراسات الترجمة، وتطرح في "نقل رموز لغوية أم نقل ثقافي؟: نقد لنظرية الترجمة في ألمانيا" (1990) أنه ينبغي لعلماء الترجمة أن يتخلوا عن موقفهم "العلمي" وينتقلوا من النص بوصفه وحدة ترجمة إلى الثقافة.

المشكلة مع كل "علوم" الترجمة هذه، والنماذج الوظيفية أنها موجهة أساساً إلى تدريب المترجمين أو تقويم الترجمات، ومن ثم لا يمكنها أن تتخلص من طبيعتها التقنية. وتنزع إلى أن تعتمد بقدر كبير على تقسيمات ثنائية تقليدية يقترح شتاينر Steiner أن مناهج اللغويات البنوية الحديثة قد نسختها تماماً. وإذا ما كان بالإمكان تتبع كل فروع اللغويات الحديثة إلى "تشومسكي"، فلن يبقى لدينا أساساً سوى نظرية ديكرتية، على الرغم من القيام بتقنيات غرضها إيجاد مكان للعناصر الدلالية والبراغماتية. وبعبارة أخرى، مازالت "علوم" الترجمة الحالية، وبرامج التدريب الوظيفية تعتمد بقدر كبير على مفاهيم متجذرة في الدين، والمثالية الألمانية، والأنماط الأساسية، واللغة العالمية، وحديثاً جداً عوامل اقتصادية. يبدو أن المنهج الذي يعتمد على البنية التحتية/السطحية ينزع دائماً إلى افتراض شيء مفترض ثابت من نوع ما، قد يكون في النحو، أو علم الدلالة، أو الوظيفة وهو ثابت وموحد، والذي يبدو أن المترجمين المتمكنين والنقاد الأذكياء يصلون إليه. وعلى الرغم من التقدم الذي حققته هذه المناهج مقارنة بتلك التي تعتمد على الجدل المتعلق بالترجمة الحرة مقارنة بالترجمة الحرفية، فإن هذه المناهج مازالت تنزع عند نقطة ما إلى أن تكون متوجهة نحو المصدر بطبيعتها وتنزع في الأصل بنية من نوع ما ومعلومات يمكن لاحقاً ترميزها في لغة أخرى، ينبغي للمترجم أن يبقى وفياً لها. وبما أنها بعيدة تماماً عن الصبغة العلمية، تميل هذه المناهج إلى أن تعتنق مفهوماً أفلاطونياً يتجاوز المعرفة التجريبية الإنسانية عن الترجمة. إنها تبحث أساساً في الذي لا يمكن التحقق منه - أي: الصندوق الأسود للعقل البشري - وتطرح مقولات كبيرة ليس بما يتعلق بالقابلية للترجمة، ولكن أيضاً بالكيفية التي ينبغي أن تحدث بها تلك القابلية. وهذا بالضبط ما حذر منه "تشومسكي"، ولكن قد حدث برغم ذلك.

هناك مجموعة من العلماء تشكك بمثل هذه المناهج المعيارية والتقنية، وهي موجودة في المقام الأول في بلجيكا وهولندا. فلم يقتنع أعضاء هذه المجموعة بعد بمصطلحات اللغويات

الحديثة المعقدة وبالرسوم، ولا أيضاً بالتعاريف المطاطة للتكافؤ الدينامي أو الوظيفة. فبدلاً من صرف مزيد من الجهد في تأمل العمليات العقلية والبنى الفطرية، فقد قرروا البحث في "الواقع"، أي: البحث في النصوص الحقيقية في الثقافة الهدف التي تُطلق عليها مجموعات ثقافية محددة مسمى ترجمات، وبدؤوا تحليلاتهم من هناك. وتمثّل هدفهم منذ ثلاثة عقود حتى الآن بتأسيس مثال جديد أقلّ تقنيّة لدراسة الترجمة. نظرياً، حولوا محط الدراسة من ترجمات مثالية مفترضة إلى نصوص حقيقية، بغض النظر عن عدم دقتها، تعمل بوصفها ترجمة في أي مجتمع ما. ومع أن "دراسات الترجمة" و"النظرية المتعددة الأنظمة" قد تطورتا مستقلّتين في أصقاع مختلفة من العالم، فإنهما اندمجتا بحيث يصعب فيه الفصل بينهما.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

من أعلام الحضارة العربية والإسلامية

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

مصطفى نظيف (1893-1971)

المعجب بابن الهيثم

أ. د. أبو بكر خالد سعد الله

المدرسة العليا للأستاذة

القبة - الجزائر

" ... ما كنت أظن أن للعرب أثرا في كشف الطريقة العلمية أو التمهيد إلى كشفها حتى بحثت في مآثر ابن الهيثم في الطبيعة، واطلعت على كتاب الحسن بن الهيثم بحوثه وكشوفه، لمصطفى نظيف الذي ظهر سنة 1942م".

قديري حافظ طوقان، كتاب تراث العرب العلمي

مصطفى نظيف واحد من العلماء العرب الذين عايشوا حركة النهضة العلمية خلال القرن العشرين. كان نظيف رائداً في نشر الثقافة العلمية وتعريب التدريس، والتعريف بتاريخنا العلمي المجيد، وكانت له مواقف علمية مشرفة. اكتشف مصطفى نظيف حسن بن الهيثم فأعجب به أيما إعجاب، فدرس أعماله، وحقق منها ما استطاع، ولاسيما تلك الخاصة بعلم الضوء، ونشرها لإطلاع العرب والمسلمين على بعض أمجاد تراثهم العلمي. نودّ هنا التعرف بمصطفى نظيف وما قدمه من خلال دراسته لابن الهيثم، مشيرين إلى مروره من الكرام على مآثر علم آخر من أعلام علم الضوء، وهو كمال الدين الفارسي الذي صال فيه وجال كما فعل ابن الهيثم.

مصطفى نظيف العالم المتواضع

ولد مصطفى نظيف في مدينة الإسكندرية المصرية يوم 13 جمادى الآخرة 1310 هـ الموافق لـ 12 يناير 1893م. وتوفي يوم 14 ذي القعدة 1390 هـ الموافق لـ 11 يناير 1971م. زاول نظيف دراسته الابتدائية والثانوية بمسقط رأسه، ثم أوفدته وزارة المعارف ضمن بعثة طلابية إلى جامعة برستول بإنكلترا لمواصلة دراسته. وهناك تخصص في الفيزياء (الطبيعة) والرياضيات، ومكث ببريطانيا إلى أن تحصل على شهادة التخصص في الفيزياء سنة 1914. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى قفل راجعاً إلى مصر. وقد ذاع صيته بين الناس بفضل سعة ثقافته وعلمه وشدة تواضعه وشجاعته وتغفله وزهده في المال.

عين مصطفى نظيف أستاذاً في التعليم الثانوي عقب عودته إلى بلده. وفي عام 1920 أصبح مدرساً لمادة الفيزياء بمدرسة المعلمين العليا، التي ظل يعمل فيها حتى سنة 1930. ثم أصبح مفتشاً بوزارة المعارف، فناظرراً لمدرسة الفنون والصنائع. وبعد ذلك عين أستاذاً مساعداً للفيزياء بمدرسة الهندسة، ولما تحولت هذه المدرسة إلى كلية وضمت إلى الجامعة سنة 1935 عين مصطفى نظيف أستاذاً ورئيساً للقسم. وما زال نظيف يتولى المناصب العلمية حتى عين عام 1950 وكيلاً لجامعة عين شمس، ثم مديراً لها في سنة 1954م. ولم تمض سنتان حتى قدم مصطفى نظيف استقالته من منصب إدارة الجامعة نظراً للضغوط السياسية التي كانت تمارس على العمل الجامعي، وفضل إعفائه من العمل سنة 1956. فعين عضواً بمجلس الجامعة وأستاذاً غير متفرغ للفيزياء بكلية العلوم، لكنه استقال من منصبه أستاذاً غير متفرغ في يونيو 1958.

وقد عاش مصطفى نظيف خلال حقبة شهدت فيها مصر نهضة في مختلف المجالات العلمية (طب، فيزياء، كيمياء، بيولوجيا، ...) فأسهل في دعم هذه الحركة بكل ما أوتي من قوة. وكان اللافت في جلّ علماء ذلك الوقت أنهم جمعوا بين التمكن من العلم واللغة العربية معاً. فكان فريق منهم يدعو إلى نشر الثقافة العلمية وتدريس العلوم في الجامعة باللغة العربية. بل أقدم

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

بعضهم على ذلك، فألقوا وحاضروا بالعربية، إلا أن النجاح لم يكن حليفهم لعدم توفر الدعم الكافي من الجهات الرسمية.

وفي هذا السياق كان مصطفى نظيف من هؤلاء الرواد الغيورين على لغتهم، فبذل الجهد في البحث عن المصطلحات والتأليف وتدريس الفيزياء باللغة العربية، سواء في مدرسة المعلمين العليا أو كلية الهندسة. وكان مصطفى يرى بأنه لا ينبغي لنا الانتظار حتى ننتهي من ترجمة كل المصطلحات وتوحيدها لكي نشرع في التدريس باللغة العربية. ومن المعلوم أن الفضل في إصدار مجمع اللغة العربية المصري لمعجم الفيزياء النووية عام 1976 يعود معظمه إلى مصطفى نظيف.

ومن المناشط العلمية التي قام بها مصطفى نظيف نذكر:

- تأسيس الجمعية المصرية لتاريخ العلم وإصدار مجلة باسمها. وقد أشرف على نشر ستة أعداد منها.
- تنظيم سلسلة من المحاضرات ابتداء من سنة 1939 تخليداً لذكرى ابن الهيثم¹. وكان ذلك خلال مدة رئاسة مصطفى نظيف لقسم الطبيعة بكلية الهندسة. وقد توالى تنظيم هذه المحاضرات عدة سنوات.
- كتابة العديد من المقالات في تاريخ العلوم العربية الإسلامية، وقد نشرت في مجلة "رسالة العلم".
- محاولة إنشاء قسم لتاريخ العلوم في الجامعة غير أن مشروعه لم يتحقق.

¹ يوجد نص محاضرة مصطفى نظيف "ابن الهيثم كعالم طبيعي" الملقاة في الاجتماع الذي أقامته الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية في 21 ديسمبر 1939 ضمن منشورات الجمعية المصرية للعلوم الرياضية والطبيعية، مطبعة مصر، القاهرة، 1940. وقد ألقى مصطفى نظيف أيضاً ثلاث محاضرات أخرى حول ابن الهيثم عام 1943 في سلسلة "محاضرات ابن الهيثم التذكارية" (وهي المحاضرات 1، 4، 5).

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وقد انتسب مصطفى نظيف إلى العديد من الهيئات العلمية، منها:

- مجمع اللغة العربية في القاهرة، حيث عيّن عضوا في هذه الهيئة عام 1946².
- المجمع العلمي العراقي،
- المجمع العلمي المصري،
- الأكاديمية المصرية للعلوم،
- الجمعية المصرية لتاريخ العلوم،
- الاتحاد العلمي المصري،
- الشعبة القومية للاتحاد الدولي لعلم الطبيعة،
- المجلس الأعلى للعلوم،
- لجنة الطاقة الذرية.

كما أحرز مصطفى نظيف عدة جوائز مصرية، منها جائزة الدولة في الطبعة سنة 1947. وكان أول من نال جائزة الدولة التقديرية في العلوم سنة 1958 ووسام الجمهورية عام 1955 ووسام الاستحقاق عام 1959.

مصطفى نظيف ناشر الثقافة العلمية وتاريخ العلوم

كان مصطفى نظيف يهتم بنشر الثقافة العلمية بين أفراد المجتمع. وبالموازاة مع ذلك كان يؤكد باستمرار ضرورة الاهتمام بتاريخ العلوم، وبما أنتجه أسلافنا من أعمال رفيعة المستوى في مختلف حقول المعرفة. ولم يهمل مصطفى التآليف في مجال اختصاصه، فألف عام 1927 أول كتاب من نوعه باللغة العربية سماه "علم الطبيعة، ورقيه وتقدمه الحديث". ويستعرض هذا الكتاب

² صدر مرسوم ملكي عام 1946 يقضي بتعيين عشرة أعضاء عاملين في المجمع، وبذلك بلغ العدد الإجمالي للأعضاء آنذاك أربعين عضواً. وهؤلاء الأعضاء الجدد هم، إضافةً إلى مصطفى نظيف: عبد الرازق السنهوري، عبد الوهاب عزام، أحمد زكي، محمد شرف، محمد فريد أبو حديد، عبد الوهاب خلاف، زكي المهندس، محمود شلتوت، إبراهيم مذكور.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

نشأة هذا العلم وتاريخه مركزاً على ما جادت به الحضارة العربية الإسلامية من أعمال قيمة. كما تناول علم الفلك العربي وخصائص الصوت والضوء والحرارة والمغناطيسية، مقدماً أحدث النظريات في هذا المجال. وكان مصطفى نظيف قد سعى من وراء إصدار هذا الكتاب لتأكيد دور العرب والمسلمين في المجال العلمي، عندما لاحظ تجاهل علماء الغرب وإغفالهم لمآثر علمائنا الأوائل.

وعلى سبيل المثال استخلص مصطفى نظيف من دراسته لآراء العلماء العرب والمسلمين في علم الحركة أنهم ساهموا في التمهيد لبعض مفاهيم علم الديناميكا الحديث، وأنهم أدركوا الخطوط العريضة للقانون الأول في الحركة من قوانين نيوتن الثلاثة. وقد يكون مصطفى نظيف أول عربي أشار إلى بعض محتويات كتاب "ميزان الحكمة" في كتابه "علم الطبيعة نشوءه ورقبه وتقدمه الحديث" ... ولكنه لم يذكر شيئاً عن مؤلفه عبد الرحمن أبو جعفر الخازن (القرن 7هـ/13م)، الذائع الصيت في الفيزياء والميكانيكا والفلك. ويبدو أن نظيف لم يكن يعلم اسم المؤلف حيث يقول "... والكتاب لا يُعلم مؤلفه ...". ثم يضيف أن بعضهم يرجّح أن مؤلفه هو الحسن بن الهيثم (354هـ/965م-430هـ/1039م). ومن المعلوم أن محتوى كتاب الخازن قد مهّد الطريق أمام الأوروبيين لصناعة أجهزة قياس مختلفة مثل مقياس درجة الحرارة ومقياس الضغط.

يقول حافظ طوقان بشأن ريادة مصطفى نظيف في التعريف بابن الهيثم: "ولعل الأستاذ مصطفى نظيف أول عربي في هذا العصر أنصف ابن الهيثم بعض الإنصاف ووقف على التراث الضخم الذي خلفه في الطبيعة، ولاسيما فيما يتعلق ببحث الضوء". وقد جاء في مقدمة مصطفى نظيف لكتابه "البصريات" ما يلي: "والذي جعلني أبدأ بعلم الضوء دون فروع الطبيعة الأخرى، أن علما ازدهر في عصر التمدن الإسلامي وكان من أعظم مؤسسيه شأناً ورفعة وأثراً الحسن بن الهيثم الذي كانت مؤلفاته ومباحثه المرجع المعتمد عند أهل أوروبا حتى القرن السادس عشر للميلاد".

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ومن المعلوم أن هناك كتيباً ظهر عام 1939 بعنوان "ابن الهيثم وأثره المطبوع في الضوء" يتضمن أولى المحاضرات التي ألقاها الأستاذ مصطفى نظيف في كلية الهندسة. يقول حافظ طوقان بشأن هذه المحاضرة أنها قدمت "تحليلاً رائعاً للنظرية التي كان يسير عليها ابن الهيثم... وقد طبعها الأستاذ بطابع الإخلاص للحق والحقيقة، وأبان بعضاً من بحوث الضوء التي أثارها ابن الهيثم، والتي تكفي لتجعل له مقاماً ممتازاً في مقدمة علماء الطبيعة في جميع عصور التاريخ".

يعتبر كتاب "البصريات" عملاً ضخماً قام به مصطفى نظيف، إذ يقع في نحو 800 صفحة، وكان قد نشره عام 1930. وعلى كل حال فهو أول كتاب جامعي في علم الضوء ألف باللغة العربية. ويبرز مصطفى نظيف اختياره لهذا الموضوع بكونه يمثل العلم الذي نما وازدهر في عصر رقي الحضارة الإسلامية وتأثرت به أوروبا تأثراً بالغاً. ولذا أولى نظيف عناية خاصة لأعمال ابن الهيثم وبذل جهداً معتبراً لقراءة مخطوطاتها والاطلاع على مراجعها. فحاضر بها ودرسها وكتب عنها مجلدين كبيرين نشرتهما جامعة القاهرة.

واستخلص نظيف أن ابن الهيثم هو واضع أسس علم الضوء بالمفهوم الحديث، مؤكداً أن أبرز إسهام في الضوء لابن الهيثم يتمثل في إبطاله لنظرية قديمة شائعة توارثتها الأجيال من عصر اليونان إلى عصر ابن الهيثم. وتتمثل هذه النظرية الباطلة في القول إن الإبصار يكون بإشعاع أو بحزمة من الأشعة - حسب التعبير الحديث - تخرج من البصر إلى المبصر. وقد أثبت ابن الهيثم أن للضوء حقيقة وجوداً ذاتياً، فهو يدخل إلى شبكية العين، ومنها إلى المخ وتحديث الرؤية بعد ذلك.

ويمضي مصطفى نظيف في إبراز أهمية عمل ابن الهيثم فأكد أن هذا الأخير سبق روجير بيكون³ (قُرابة 1214-1294م) Roger Bacon في وضع المنهج التجريبي القائم على المشاهدة

³ روجير بيكون: راهب إنكليزي عاش في القرن 13م وتعرض للاضطهاد وقضى قرابة ربع قرن في السجن بسبب أفكاره العلمية التي لم ترض فيما يبدو رجال الدين آنذاك. ويعتقد أنه اطلع على بعض ما كتبه ابن الهيثم. ويعتبر

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتجربة والاستقراء، مستنتجاً أنه ينبغي لنا استبدال أسماء عربية بالأسماء الغربية الشهيرة مثل الإنكليزي روجير بيكون والألماني جوهانس كبلر (1571-1630) Johannes Kepler والإيطالي جمباتيستا دلابورتا (1535-1615) Giambattista Della Porta ومن هذه الأسماء العربية اسم الحسن بن الهيثم. وكان الأستاذ نظيف يهدف من وراء هذه الدراسة إلى تصحيح أخطاء تاريخية موجودة في بعض البحوث والدراسات العلمية المتصلة بعلم الضوء. ومن ثم إعادة الاعتبار لابن الهيثم ليعتد مجدداً في الكتب التي تُؤلف لطلبة المدارس. وقد لقيت هذه الدراسة العميقة ثناء العلماء وتقديرهم.

ونجد هذا الرأي لمصطفى نظيف في تصديره لكتاب "الخالدون العرب"⁴ لقدري حافظ طوقان حيث يقول: "لقد قلب ابن الهيثم الأوضاع القديمة، وأنشأ علماً جديداً أبطل فيه علم المناظر، الذي أنشأه اليونان، كما أنشأ علم الضوء الحديث. وإن أثره في الضوء لا يقل عن أثر نيوتن في الميكانيكا. فإن عدّ نيوتن (1642-1727) Newton بحق، رائد علم الميكانيكا في القرن السابع عشر، فإن ابن الهيثم، خليف بأن يُعد بحق، رائد علم الضوء، في مستهل القرن الحادي عشر".

هل اطلع مصطفى نظيف على أعمال الفارسي؟

حتى نكون منصفين لا بد أن نذكر أن الدكتور نظيف لم يطلع فيما يبدو على عمل كمال الدين الفارسي (توفي 718هـ/1319م) الذي تناول أيضاً موضوع الضوء. وحتى إن اطلع عليه فلا شك أنه لم يطلع عليه عن كثب. ولعله من المفيد في هذا المقام أن نتعرف قليلاً بالفارسي وإسهامه في حقل الضوء، انطلاقاً مما اكتشفه مؤرخو العلوم حديثاً بخصوص نظرياته، حتى تتبين لنا مكانته في المجال الذي برع فيه الحسن بن الهيثم.

يكون لدى الغرب صاحب المنهج العلمي الصحيح في الاعتماد على التجربة. والواضح أن ابن الهيثم قد سبقه في هذا المنهج الرائد بمئتي سنة. انظر: سيمون الحايك : ابن الهيثم وروجير بيكون، مجلة تاريخ العلوم العربية، معهد التراث العلمي العربي، حلب، المجلد 12، العدد 1، 2، 2001، ص. 5-36.

⁴ طوقان، قدري حافظ : الخالدون العرب. دار العلم للملايين، بيروت، 1954.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

ولد الفارسي حسب بعض المؤرخين في شيراز نحو عام 665هـ/1266م، على حين يؤكد آخرون أنه ولد بأصفهان، وتوفى في تبريز عام 718 هـ/1319م عن عمر يناهز 53 سنة، وهكذا يتضح أنه عاش بعد ابن الهيثم بأكثر من ثلاثة قرون. وقد تنقل كثيراً طلباً للعلم، وهكذا التقى في أصفهان الرياضي والطبيب عبد الله بن محمد الخوام البغدادي (المولود عام 643هـ/1245م)، المعروف بابن الخوام وتلمذ له.

كما رحل الفارسي إلى تبريز والتقى الفلكي والرياضي قطب الدين الشيرازي (634هـ/1236م - 710هـ/1311م) الذي درّس على نصير الدين الطوسي (597هـ/1201م - 672هـ/1274). وكتب في مقدمة كتابه "تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر" أن أستاذه الشيرازي أشار عليه بكتاب المناظر لابن الهيثم. وبعد دراسة مضمون هذا الكتاب ألف الفارسي كتابه "تنقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر".

وقد عنى كمال الدين الفارسي بدراسة علم الضوء، فاهتم بكيفية إدراك صور المبصرات فلم يجد - حسب قوله - في كتاب إقليدس في المناظر، ولا في المؤلفات الأخرى معلومات كافية في هذا الموضوع، فسأل أستاذه نصير الدين الطوسي عن رأيه في هذا الموضوع.

ويعتبر قوس قزح من غرائب ما نشاهده في الطبيعة بعد تساقط الأمطار. لماذا تظهر أقواس ملونة في بعض الأماكن عند انتشار أشعة الشمس بسبب قطرات الأمطار؟ ذلك هو السؤال الذي حير الفارسي وأمثاله. وللدرد على هذا السؤال كان من اللازم استخدام كل المصادر والمعلومات الفيزيائية. هناك مشكلان حسب الفارسي، وهما:

- هل ينبغي اعتبار المسافة التي يقطعها الضوء عبر كل قطرة ماء أو عبر المجموعة كلها (الرذاذ أو الرش)؟

- هل ينبغي النظر في انكسار الضوء⁵ refraction أو في حيوده⁶ diffraction أو في

⁵ يعود الفضل لابن سهل (القرن 10م) في اكتشاف انكسار الضوء أول مرة. ذلك ما يذكره نفسه في مؤلفه "كتاب الحراقات".

الظاهرين معاً؟

والقضية الجوهرية هنا ليست الضوء في حد ذاته، بل تكمن في الدراسة التي أدت إلى ظهور مبدأ فيزيائي بالغ الأهمية. إنه إدخال الرياضيات في وضعية تجريبية حيث استبدل بقطرة الماء إناء كروي الشكل ملآن بالماء وتمكّن الفارسي من الحل المطلوب، وهو الحل الذي لم يتفطن إليه سابقوه منذ قديم الزمان.

درس الفارسي "كتاب المناظر" لابن الهيثم وتعمّق في مفاهيمه، فجاء مؤلفه "تتقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر" مكملاً لما كتبه ابن الهيثم. والواقع أن محتوى هذا الكتاب يتجاوز دور الشرح والمراجعة، إذ ذهب إلى حدّ إثبات أن بعضاً مما أقرّه ابن الهيثم من نظريات في البصريات خاطئ، مقدّماً نظريات بديلة. ذلك أن الفارسي كان من مؤيدي ما يسمى اليوم بالنظرية الموجية wave theory للضوء، خلافاً لابن الهيثم، وهو يقول بهذا الصدد إن حركة الضوء شبيهة بحركة الصوت وليست شبيهة بحركة الأجسام.

وقد قدّم الفارسي نظرية تفسّر ظهور قوس قزح، يراها المختصون أكثر إقناعاً من الناحية الرياضية مقارنة بما جاء في عمل ابن الهيثم وابن سينا. بل يؤكد المؤرخون المعاصرون أن أول الأعمال المتناسقة علمياً للظواهر الضوئية هي أعمال الفارسي التي جاءت في خاتمة كتاب "تتقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر". والملاحظ أن أعمال ابن الهيثم حول البصريات ظلت شبه مجهولة من قبل العلماء العرب القدماء حتى مجيء الفارسي بعد ثلاثة قرون. وشاء القدر أن يقوم الغربيون في تلك الحِقبة نفسها بدراسة مؤلف ابن الهيثم وترجمته إلى اللاتينية.

⁶ الحيود يعني انحراف موجة ضوئية من خلال سطح كائن غير شفاف. لذا فهو سلوك من سلوكات الأمواج عند اصطدامها بحواجز غير شفافة تماماً. إن تأثير هذه الحافة يكون مهملاً عندما يكون الكائن ضخماً، علماً أن مدى التأثير يتعلق بالضوء النافذ. ويتميز الحيود بأن الموجة المصدمة بالحاجز غير الشفاف لا تحافظ على كثافتها وفق قوانين الضوء الهندسي. نلاحظ أخيراً أن الحيود يلاحظ في الضوء والصوت والأمواج والنترونات والأشعة السينية والمادة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وكان ابن الهيثم قد رأى أن الضوء الذي يصلنا من الشمس ينعكس عبر الغيوم قبل بلوغه أعيننا. فاقترح الفارسي نموذجاً يستخدم كرة زجاجية شفافة ملئت ماء، مبيّناً أن قوس قزح من أبرز المظاهر التي يبدو فيها انكسار الضوء. وحتى يدرس الفارسي وجود الألوان في قوس قزح، كان عليه التوصل إلى معرفة كيف تتشكل الألوان. غير أن الفكرة التي كانت سائدة قبل الفارسي لم تكن قادرة على تفسير هذه الظاهرة إذ كانت ترى أن اللون يتشكل من مزج النور والظلام.

وهكذا تبين للفارسي من تجربته أن الشعاع الضوئي القادم من الشمس ينكسر مرتين فينجم عن ذلك انعكاس أو أكثر يحدث بين الانكسارين. وكان يرى أنه يمكن استخلاص كل مميزات قوس قزح بدراسة مرور أشعة الضوء عبر قطرة ماء موجودة في محيط رطب مثلها الفارسي في تجربته بالكرة المليئة بالماء. ولاحظ أن لون القطرة يتغير بتغير سمكها عندما اكتشف أن الشعاع الضوئي المنكسر على السطح الخارجي للكرة ينطبق على شعاع آخر منعكس على السطح الداخلي ثم يصل الشعاعان متداخلين إلى العين. وأشار إلى أن الظاهرة نفسها تحدث للصوت وتتعدد التداخلات بتعدد الأشعة. وهكذا اتضح للفارسي، خلافاً لسابقه، كيف تتسبب كل قطرة ماء طائفة في انكسار وانعكاس الضوء القادم من الشمس. وفي هذا الإطار تميّز الفارسي باستغلال الهندسة أداة لتجربته الفيزيائية. ومن ثم استطاع أن يقدم قبل ثلاثة قرون النتائج التي توصل إليها ديكارت Descartes (1596-1650) ونيوتن Newton (1642-1727) في الغرب.

وقد تبين لمحققي كتاب "تفقيح المناظر لذوي الأبصار والبصائر" أن الخاصية الموجية للضوء والصوت كانت حاضرة في ذهن كمال الدين الفارسي؛ وهو من رواد هذه الفكرة القائلة إن الضوء يتكوّن من أمواج كروية تنتشر في الجو وأن الألوان ناجمة من أشعة انكسرت بأشكال مختلفة. واكتشف الفارسي أن الألوان تظهر لأسباب عديدة، لكنها تتولد دائماً من تداخل الضوء والمادة.

لقد كانت ظاهرة التداخل من أهم مشاغل علماء القرن العشرين، ولا تزال تشغل بالهم إلى يومنا هذا. ومن جهة أخرى لاحظ الفارسي أنه لا يوجد فاصل بين لون ولون في طيف الألوان،

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

وأنه يمكن اعتبار عدد الألوان غير منته، ذلك أنه يرى أن الضوء يتلون بالانعكاس والانكسار، لهذا فإن التغيرات التي تطرأ على الضوء هي العنصر الوحيد المشترك في عالم الألوان وهو ما عبّر عنه بعد ذلك العصر بطول (سعة) الموجة wave amplitude.

ومن ثم فلا نستغرب أن يتساءل المؤرخون الغربيون اليوم عن صاحب هذه النظريات وعن أعماله التي لم تصلهم بعد وأن يدرسوا ما عثروا عليه من مؤلفاته، خاصة في حقل الفيزياء وعلم الفلك. ولا غرابة أيضاً أن يطالب بعضهم بأن يسجل اسم كمال الدين الفارسي إلى جانب أسماء العلماء الأوروبيين اللامعين الذين عملوا في الحقل نفسه الذي اهتم به الفارسي، أمثال الإنكليزي نيوتن (1642-1727) والعالم الهولندي هيوغنس Huygens (1629-1695)⁷.

وإذا ما عدنا إلى مصطفى نظيف ودوره الرائد في نشر التراث العلمي العربي والثقافة العلمية والعمل على إرساء قواعد تعريب تدريس العلوم فإننا نجده في المقام الأول إلى جانب قلة ممن حملوا هذه الراية التي ما زالت بحاجة إلى من يرفعها عالياً.

⁷ ما زال الغرب إلى اليوم يعتبر أن اكتشاف ظاهرة الحيود قد تمت على يد غريمالدي Grimaldi عام 1665، وأنه تم تفسيرها تفسيراً صحيحاً كسلوك موجي من قبل هيوغنس، وأن الظاهرة درست في ما بعد من قبل فريزل Fresnel وفرونهوفر Fraunhofer على إثر التجربة التي قام بها يونغ Young والمسماة بثقوب يونغ. انظر أيضاً كتاب هيوغنس الصادر عام 1678 الذي عارض فيه فكرة نيوتن الخاصة بطبيعة الضوء: Ch. Huygens, *Traité de la lumière*, Ed. 1920, Gauthier Villars, Paris

بعض المراجع

1. الحوفي، أحمد: مصطفى نظيف (كلمة في التعريف به)، مجلة مجمع اللغة العربية، العدد 32 ، شوال 1393هـ/1973م.
2. تمام أحمد: مصطفى نظيف... رائد النهضة العلمية، مقال صادر في الموقع <http://www.islamonline.net/Arabic/history/1422/09/article11.shtml>
3. علام محمد مهدي: المجمعيون في خمسين عاماً، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، 1986.
4. راشد، رشدي: تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1989.
5. راشد، رشدي: نصوص لتاريخ الأعداد المتحابية وحساب التوافقات، مجلة تاريخ العلوم العربية، مجلد 6، معهد التراث العلمي العربي، حلب، 1982.
6. الموالدي، مصطفى: طريقنا التحليل والتركيب في حلّ المسائل الرياضية من خلال بعض المخطوطات والمؤلفات العربية، مجلة تاريخ العلوم العربية، المجلد 12، العددان 1، 2، 2001.
7. الموالدي، مصطفى: كمال الدين الفارسي وكتابه أساس القواعد في أصول الفوائد، وقائع الملتقى المغاربي الثالث حول تاريخ الرياضيات العربية، الجزائر 1-3 ديسمبر 1990، نشر الجمعية الجزائرية لتاريخ الرياضيات، 1991، ص. 93-101.
8. منتصر، عبد الحليم: مصطفى نظيف (كلمة في تأيينه)، محاضر جلسات مجمع اللغة العربية، الدورة السابعة والثلاثون. نظيف، مصطفى: علم الطبيعة نشوءه ورفقه وتقدمه الحديث، مطبعة مصر، القاهرة، 1927.
9. قدرى حافظ طوقان، تراث العرب العلمي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ودار الشروق، بيروت، (دون تاريخ، صدرت الطبعة الأولى عام 1941).
10. Agargün A. G. & Fletcher C. R.: Al-Farisi and the fundamental theorem of arithmetic, Historia Math., 21, 2, 1994, pp. 162-173.
11. Mawaldi M. : L'Algèbre de Kamal Al-Din Al-Farisi, Edition critique, analyse mathématique et étude historique, Thèse de doctorat, Université La Sorbonne nouvelle, 1989.
12. Megri K. : L'Optique de Kamil al-Din al-Farisi, Ed. Septentrion Presses Universitaires de Lille, France, 1998.
13. Megri K. : Les premiers pas d'une conception moderne de l'hypothèse ondulatoire dans l'œuvre optique de Kamal al-Din al-Farisi, 6ème Colloque Maghrébin sur l'Histoire des Mathématiques Arabes, Ecole Normale Supérieure de Kouba, Alger, 20-22 November 2000.
14. O'Connor J.J. & Robertson E.F. : Kamal al-Din Abu'l Hasan Muhammad Al-Farisi, In <http://www-history.mcs.st-andrews.ac.uk/history/Mathematicians/Al-Farisi.html>
15. Rached R. : Nombres amiables, parties aliquots et nombres figures aux XIIIème et XIVème

التحريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

siècles, Arch. Hist. Exact Sciences, 28, 2, 1983, pp. 107-147.

16. Wiedemann E : Zur Ibn al-Haitam Optik, Archiv. Fur die Geschichte der Arabischen Naturwissenschaften und der Teechnik, 3, 1912.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

من أنشطة المركز

خلال النصف الثاني من عام 2006

تميّز النصف الثاني من عام 2006 بالعديد من الأنشطة:

فعلى مستوى تنفيذ البرامج والمشروعات:

- 1- ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي: عقدت ندوة المسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي في سلطنة عُمان، في رحاب جامعة السلطان قابوس في المدة ما بين 4-2006/11/6، وخرج المؤتمر بالتقرير الختامي والتوصيات التالية:

التقرير الختامي والتوصيات

للندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي

مقدمة:

بدعوة من المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وبالتعاون مع اللجنة الوطنية العُمانية للتربية والثقافة والعلوم، وباستضافة كريمة من جامعة السلطان قابوس بسلطنة عُمان، عُقدت الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي برعاية الدكتورة راوية بنت سعود البوسعيدية، وزيرة التعليم العالي ورئيسة مجلس الجامعة، وذلك في قاعة المؤتمرات لجامعة السلطان قابوس، خلال المدة ما بين 4-2006/11/6. وقد جرت وقائع الندوة على النحو الآتي:

أولاً: حفل الافتتاح

افتتحت فعاليات الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي بتلاوة آيات بينات من القرآن الكريم، ثم ألقى الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

والتأليف والنشر بدمشق، كلمة المدير العام للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الأستاذ الدكتور المنجي بوسنية. وقد تضمنت كلمة معالي المدير العام توجيه الشكر إلى جلالة السلطان قابوس بن سعيد، باني نهضة عُمان الحديثة، وإلى سلطنة عُمان، وإلى جامعتها، وإلى اللجنة الوطنية العُمانية للتربية والثقافة والعلوم، على حفاوة الاستقبال وكرم الضيافة. وركزت الكلمة على أهمية التعريب، وقدرة اللغة العربية على مواكبة المستجدات واستيعابها، وضرورة توفير الكتاب المرجع باللغة العربية للباحثين والدارسين، والحاجة إلى إغناء المكتبة العربية بكل جديد في مختلف ميادين المعرفة المختلفة. ووضحت الكلمة دور المركز العربي للتعريب بدمشق، والجهود التي بذلها منذ تأسيسه بغية تحقيق التواصل بين الدارس والباحث ولغته العربية.

وتناول الكلمة بعد ذلك الأستاذ الدكتور عصام بن علي الرواس، عميد كلية الآداب في جامعة السلطان قابوس ورئيس اللجنة التحضيرية للندوة، فرحب بالمشاركين في أعمال هذه الندوة وأشاد بالدور الذي يؤديه المركز العربي للتعريب بدمشق في هذا الميدان، وتمنى للمشاركين النجاح في أعمالهم وتحقيق الأهداف المرجوة من عقد هذه الندوة.

ثانياً: الجلسة الإجرائية الأولى

وبعد استراحة قصيرة بدأت أعمال الجلسة الإجرائية الأولى التي كُوتت فيها هيئة المكتب ولجنة الصياغة واختير رؤساء الجلسات وذلك وفق الآتي:

1- هيئة المكتب:

أ. د. عصام بن علي العريان	رئيساً
أ. د. دفع الله الترابي	نائباً للرئيس
د. لطوف العبد الله	مقرراً

2- لجنة الصياغة:

أ. د. محمد بلغازي	رئيساً
أ. د. عبد اللطيف عبيد	عضواً
أ. د. صالح بلعيد	عضواً

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

أ. د. الحواس المسعودي	عضواً
أ. د. سليمان الحميدان	عضواً
أ. شحادة الخوري	عضواً
د. لطوف العبد الله	عضواً

ثالثاً: وقائع الجلسات العلمية:

اليوم الأول: السبت 4 نوفمبر 2006

الجلسة العلمية الأولى:

ترأس هذه الجلسة الدكتور سعيد الكيتاني أمين اللجنة الوطنية العُمانية للتربية والثقافة والعلوم بسلطنة عُمان وقد تضمنت أربعة أبحاث:

البحث الأول: سياسة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر للأستاذ الدكتور عادل نوفل.

تضمن البحث أهداف المركز وخططه المستقبلية وإنجازاته منذ إنشائه حتى اليوم، والإصدارات التي أصدرها ترجمة وتأليفاً.

البحث الثاني: دور اللغة العربية في تحصين الهوية القومية في مواجهة الآثار السلبية للعولمة، للأستاذ شحادة الخوري:

أشار الباحث إلى أهمية تحصين الهوية الثقافية والقومية للأمة العربية، وذلك بتعزيز الدور القومي للغة العربية، لتجنب ما أفرزته العولمة من جوانب سلبية تهدف إلى إذابة الخصوصيات الثقافية والهويات القومية.

البحث الثالث: قدرة اللغة العربية على الأداء العلمي في التعليم العالي، للدكتور الحواس المسعودي.

تضمن البحث خصائص اللغة العربية وتفرداها وغزارة مفرداتها ومترادفاتها، وقدرتها على استيعاب العلم الحديث، وكفايتها في الأداء العلمي بوصفها لغةً علمية قابلة للاستعمال في التعليم العالي.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

البحث الرابع: دور اللغة العربية في البحث العلمي والكتابة العلمية للأستاذ الدكتور صالح بلعيد.

اعتبر الباحث أن الحفاظ على هوية الأمة العربية في عصر العولمة لا يتأتى إلا إذا تمكنا من لغتنا العربية الفصحى تمكناً تاماً، وحرصنا على استعمالها وتوظيفها في المجالات التعليمية والعلمية والحياتية المختلفة.

اليوم الثاني: الأحد 5 نوفمبر 2006

الجلسة العلمية الأولى:

ترأس هذه الجلسة الأستاذ الدكتور دفع الله الترابي، وتضمنت ثلاثة أبحاث:

البحث الأول: تعريب العلوم الاجتماعية والإنسانية ، للأستاذ الدكتور محمد بلغازي.

حدد الباحث هدفين أساسيين لتعريب العلوم الإنسانية ، يتمثل الهدف الأول في ضرورة تدريس العلوم الاجتماعية والإنسانية باللغة العربية السليمة، الخالية من الشوائب والألفاظ الدخيلة، أما الهدف الثاني فيتجه نحو تنقية مواد العلوم الإنسانية من المعطيات أو المفاهيم التي تسهم في التغريب الثقافي.

البحث الثاني: تعريب العلوم الطبية وأثرها في تعريب العلوم الأخرى ، للأستاذ الدكتور مفيد الجوخدار:

تضمن البحث أهداف تعليم العلوم وخاصة الطبية منها باللغة العربية ، وكذلك واقع كليات الطب وعلاقتها باللغة العربية، ومساهمة المجلس العربي للاختصاصات الطبية في تعليم الطب باللغة العربية ، مستشهداً بعدد من الأمثلة على الإنجازات التي تمت في ميدان الطب وترجمته وتعريبه.

البحث الثالث: تعريب العلوم الأساسية - الرياضيات والفيزياء ، للأستاذ الدكتور سليمان حميدان:

تعرض البحث لأهمية الترجمة العلمية وحاجة العرب الملحة إليها ، والمشاكل التي تعترضها، وعرض لتجربة جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في ترجمة بعض المساقات الدراسية في كلية

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

العلوم.

الأحد 5 نوفمبر 2006

الجلسة العلمية الثانية:

ترأس هذه الجلسة الدكتور عبد الله الحراسي ، وتضمنت أربعة أبحاث:
البحث الأول: المراجع العلمية المؤلفة والمترجمة ودورها في نقل المعرفة العلمية ، للأستاذ الدكتور يعقوب الشراح:

أضاء البحث الدور العام الذي يمكن أن تؤديه الكتب المرجعية، سواء منها المترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، أو الكتب المؤلفة باللغة العربية في مجال نقل المعرفة العلمية وخلق التواصل بين الدارسين والباحثين، وما يظهر في حقل المعرفة العلمية ودور ذلك في خلق نهضة علمية متميزة. وقد استشهد المحاضر بأعمال مركز تعريب العلوم الصحية في الكويت التابع لمجلس وزراء الصحة العرب.

البحث الثاني: المعاجم المحوسبة ودورها في خدمة التعريب، للأستاذ الدكتور محمد يونس عبد السميع الحملاوي:

أكد البحث أهمية المعاجم المحوسبة بوصفها نقطة الانطلاق نحو العديد من آليات التعامل مع اللغة العربية وحوسبتها، بغية إصلاح ما اتضح من ممارسات خاطئة في مختلف أوجه الحياة.

البحث الثالث: دور الترجمة الآلية في نقل المراجع العلمية إلى العربية وتجاربها الرائدة ، للأستاذ الدكتور حسام الخطيب:

عرض الباحث التجارب الرائدة في مجال الترجمة الآلية، وأكد ضرورتها في نقل المراجع العلمية إلى العربية وردم الفجوة بين عالم متقدم وآخر نام، والاستفادة من الجهود المبذولة في حقل الترجمة الآلية لتسهيل قنوات التواصل والاتصال.

البحث الرابع: الرموز والمعادلات في الكتابات العلمية ، للأستاذ الدكتور دفع الله الترابي:
أشار الباحث إلى أهمية الرموز في الكتابة العلمية وتعليم العلوم باللغة العربية ، كما أكد أن

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

هذا الموضوع لا يقل أهمية عن موضوع توحيد المصطلح العربي. ودعا المركز إلى عقد ندوة لهذا الغرض بقصد الخروج بنظام موحد للرموز العلمية العربية ييسر مهام التعريب.

اليوم الثالث: الاثنين 6 نوفمبر 2006

الجلسة الأولى: ترأست هذه الجلسة د. أمل سلمان ، وتضمنت بحثين:

البحث الأول: أهمية توفير الكتاب المرجع في التعليم العالي باللغة العربية ، للأستاذ الدكتور

عبد اللطيف عبيد:

تضمن البحث أهمية التدريس باللغة العربية في التعليم العالي، وتوفير الكتب المرجعية المعربة للدارسين والباحثين وتيسير تداولها سواء بصورة ورقية أو إلكترونية.

البحث الثاني: مقومات التعريب وأثره في تحقيق الجودة ، للدكتور مسلم المعني:

حث الباحث على استعمال اللغة العربية في التدريس، وعلى توفير مقومات التعريب من الكتاب المرجع وغيره من الوسائل، لما لذلك من أثر إيجابي في تحقيق الجودة في التعليم العالي.

اليوم الثالث: الاثنين 6 نوفمبر 2006

الجلسة الختامية:

ترأس أعمال هذه الجلسة كل من الأستاذ الدكتور عصام بن علي الرواس عميد كلية الآداب في جامعة السلطان قابوس، والأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب بدمشق. وجرت أعمال هذه الجلسة على النحو الآتي:

أولاً: قدم الدكتور لطوف العبد الله التقرير الختامي لأعمال هذه الندوة، متضمناً مشروع التوصيات النهائية، وتولى السادة الخبراء مناقشتها وإقرارها.

ثانياً: كلمة الدكتور عصام بن علي الرواس عميد كلية الآداب، الذي توجه فيها بالشكر والتقدير إلى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ممثلة بالمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر بدمشق، وذلك على الجهود المبذولة لعقد هذه الندوة في سلطنة عُمان، وتشجيع التعريب في جامعات الوطن العربي، وتعزيز دور اللغة العربية، والعمل على جعلها لغة للتعليم والتدريس في كل المراحل، ويشمل ذلك التعليم العالي. كما توجه بالشكر إلى السادة المشاركين

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

على ما قدموه من أبحاث ومساهموا به من نقاشات ساعدت على التوصل إلى توصيات هامة متصلة بالتعريب.

ثالثاً: وتناول الكلمة مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر الأستاذ الدكتور عادل نوفل فتوجه بالشكر والتقدير إلى سلطنة عُمان وشعبها العظيم على حسن الوفادة وكرم الضيافة، مثمناً الدور العربي الكبير الذي تقوم به سلطنة عُمان في دعم القضايا العربية المصيرية، وأشاد باللجنة الوطنية وكلية الآداب على حسن التنظيم والتعاون المثمر، وتوجه كذلك بالشكر إلى السادة الخبراء على تجشّمهم عناء السفر، وعلى الجهود التي بذلوها في إعداد الأبحاث وتقديم الآراء الجادة التي أسهمت في تحقيق أهداف الندوة.

واختتمت الندوة أعمالها في تمام الساعة الواحدة ظهراً من يوم الاثنين 2006/11/6 .

التوصيات

1. دعوة جميع الجهات من حكومات ومجتمع مدني وأفراد ومنظمات قومية إلى غرس المزيد من الاعتزاز باللغة العربية، والعمل على الإغلاء من شأنها والمحافظة على سلامتها ومزيد تطويرها ، وكذلك إلى استعمالها استعمالاً شاملاً في التعليم بجميع أنواعه ومراحلها ، ويشمل التعليم العالي بمختلف تخصصاته، وفي مقدمتها التخصصات العلمية الطبية والهندسية، مع مواصلة الاهتمام الجاد باللغات الأجنبية، على ألا تكون هذه اللغات، بأي حال من الأحوال ، بديلاً عن اللغة العربية.

2. دعوة الدول والحكومات العربية وجامعة الدول العربية ومنظماتها، إلى اعتبار القضية اللغوية في الوطن العربي قضية أمن قومي لاتقل شأناً عن الأمن العسكري والغذائي والمائي، وإلى استصدار القرار الملزم بجعل اللغة العربية اللغة الرسمية قولاً وفعللاً ، نصاً وتطبيقاً، ووضع استراتيجية قومية للتعريب الشامل تساعد على تحقيق التنمية الشاملة المنشودة التي لا تتم بغير اللغة القومية.

3. دعوة الجامعات العربية وسائر المؤسسات المعنية بالتعريب إلى الاستفادة من الجهود الكبيرة

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

التي يبذلها المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر (التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم) في مجال تعريب الكتاب الجامعي المنهجي والمرجعي.

4. دعوة المركز العربي لتعريب العلوم الصحية بالكويت (التابع لمجلس وزراء الصحة العرب) إلى تزويد كليات الطب والمعاهد الصحية في الأقطار العربية بما أصدره من كتب مرجعية وأدلة صحية، ومعجمات مصطلحية مؤلفة بالعربية أو مترجمة إليها، لتكون في متناول الهيئات التدريسية والباحثين، على أن يخصص لهذه الوثائق في كل كلية أو معهد ركن ييسر الوصول إليها.

5. دعوة مجامع اللغة العربية والجامعات ومراكز البحوث العلمية واللغوية ومكتب تنسيق التعريب بالرباط، إلى مواصلة جهود وضع المصطلحات العربية وتنسيقها وحوسبتها ونشرها، وإنشاء بنك مصطلحات عربي يساعد على المضي قدماً في جهود التوحيد والتعميم، وتكون مصطلحاته متاحة مجاناً على الشبكة العالمية (الإنترنت).

6. دعوة الجامعات ومراكز البحوث العربية وسائر المؤسسات والجهات المعنية إلى إيلاء البحوث النظرية والتطبيقية في مجال المعالجة الحاسوبية للغة العربية عامة والترجمة الآلية خاصة، العناية الفائقة بما يساعد على مواكبة الحركة العلمية العالمية ويهيئ لغتنا لاقتحام مجتمع المعلومات والمعرفة.

7. إيلاء مزيد العناية لتأهيل المترجمين وتدريبهم وتزويدهم بالمعارف العلمية والخبرات التقنية وفي مقدمتها القدرة على التعامل مع تقانات المعلومات والاتصال الحديثة.

8. دعوة كل الجهات العاملة في مجال الترجمة العلمية والتقنية العربية، من جامعات ومراكز بحوث ودور نشر ومؤسسات ثقافية إلى الحرص على الدقة العلمية والمصطلحية واللغوية عبر وضع نظام للجودة وإخضاع المترجمات للمراجعة العلمية والتدقيق اللغوي.

9. دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى تنظيم ندوة عن توحيد الرموز العلمية، وذلك بالتعاون مع كل الجهات المعنية وفي مقدمتها الجامعات ومجامع اللغة العربية.

10. دعوة المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر، وسائر المؤسسات والهيئات المعنية،

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

القومية منها والوطنية، إلى مواصلة جهود التيسير بضرورة التعريب وفوائده التربوية والعلمية والاقتصادية والحضارية، وتنظيم المهرجانات وتخصيص الجوائز تشجيعاً للمبادرات الرائدة والإنجازات الجادة التي تتحقق في هذا المجال.

11. إحداث مرصد عربي للمصطلحات الجديدة الدالة على المفاهيم والمستحدثات التي تدخل ساحة المعرفة في العالم، بغية إيجاد مقابلات عربية لها في الإبان، منعاً للارتجال وتعدد المقابلات العربية للمصطلح الأجنبي الواحد.

12. دعوة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم إلى إدراج موضوع تعريب التعليم العالي وصلته بجودة التحصيل العلمي ورفع مستواه، في جدول أعمال مؤتمر وزراء التعليم العالي والبحث العلمي العرب في اجتماعاتهم الدورية المقبلة، كيما يتخذوا بشأنه الحل العاجل والناجح.

2- **انعقاد المجلس العلمي للمركز:** عقد المجلس العلمي الاستشاري للمركز اجتماعه الدوري بالتزامن مع أشغال الندوة السادسة للمسؤولين عن تعريب التعليم العالي في الوطن العربي. وقد تداول السادة أعضاء المجلس العلمي في جدول الأعمال الذي تضمن:

1. أهداف المركز ومهامه

2. تقرير مدير المركز عن أنشطة المركز وإنجازاته للدورة المالية 2005-2006

3. تقرير مدير المركز عن الخطة المستقبلية للمركز ومشروعات الدولة المالية 2007-2008

4. إصدارات المركز

5. الكتب والمراجع المرشحة للترجمة

6. الخبراء المتعاملون مع المركز

اطلع السادة الأعضاء بعد ذلك على تقرير مدير المركز عن أنشطة المركز وإنجازاته خلال الدورة المالية 2005-2006، وأعربوا عن ارتياحهم لما بُذل من جهد نحو بلوغ الأهداف المتوخاة، وأثنوا في سياق هذه الجهود الملموسة، على الجائزة التي حصل عليها المركز، وهي

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

جائزة معرض الكويت التاسع والعشرين للكتاب لعام 2004 في مجال أفضل كتاب مترجم إلى اللغة العربية في العلوم لكتاب (علم العقاقير).

كما أثنى السادة الأعضاء على الجهود التي بذلها المركز في مجال توقيع الاتفاقيات مع الهيئة العليا للتعريب في السودان، وكذلك مذكرة التفاهم مع المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط في القاهرة، وكذلك مع بعض دور التوزيع والنشر في بعض الدول العربية. وفي الجلسة الختامية أصدر المجلس التوصيات الخاصة بأنشطة المركز.

3. تأليف وترجمة الكتب والمراجع الهامة في مجال التعليم العالي.

أصدر المركز الكتب والمراجع التالية:

آ. أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

ب. التصميم الرقمي

ج. علم الأدوية السريري (في طور الطباعة)

ويجري حالياً مراجعة والتدقيق فيهما الكتابين المرجعيين (اللذين أتى ترشيح ترجمتهما من

الهيئة العليا للتعريب في السودان):

أ. طب النساء، النسائيات

ب. طب التوليد

4. دعم الجامعات والهيئات التي تعمل في مجال التعريب

في هذا الإطار جرى دعم اللجان الوطنية والجامعات والهيئات التعليمية في الوطن العربي في

كل من سورية واليمن والإمارات العربية المتحدة وسلطنة عُمان.

5. مجلة المركز:

يجري حالياً تَسْلُمُ الدراسات الخاصة بالعدد 32 الذي يُتَوَقَّع صدوره في حزيران/يونيو 2007

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

6. أما في مستوى الأنشطة الخارجية فقد:

- أ. شارك المركز في معرض مكتبة الأسد بدمشق الذي جرى في شهر أغسطس/آب 2006.
- ب. شارك المركز في معرض الكويت للكتاب لعام 2006.
- ج. شارك المركز في معرض الخرطوم الدولي الذي جرى في المدة 1-12/12/2006.
- د. شارك المركز في مؤتمر مناهج التعليم العالي وحماية الطفل من سوء المعاملة والإهمال الذي عقد في رحاب جامعة دمشق في المدة 26-31/10/2006.
- هـ. شارك المركز في المؤتمر الخامس لمجمع اللغة العربية بدمشق الذي عقد برعاية السيد رئيس الجمهورية العربية السورية في المدة 20-22/11/2006.
- و. تابع المركز الاتصال مع الأمناء العامين للجمعيات العلمية الممثلة في اتحاد الجامعات العربية لإجراء اتفاقيات علمية مشتركة في الترجمة والتعريب.
- ز. تابع المركز تنفيذ اتفاقياته مع المكتب الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق المتوسط وترجمة بعض المخطوطات والكتب الطبية بغرض تعريب العلوم الصحية.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

قواعد النشر في المجلة

تنشر المجلة المواد المتعلقة بأحد مجالات اهتمامها من دراسات وبحوث وترجمات وفق القواعد التالية:

- 1 - ألا يكون البحث أو المادة المقدمة للنشر في مجلة التعريب قد سبق لهما أن نشرا أو قدما للنشر في أي من أوعية النشر، وعلى الباحث أن يرفق ببحثه تصريحاً خطياً يفيد بأنه لم يسبق له أن نشر أو أرسل بحثه للنشر لدى أي جهة أخرى.
- 2 - أن تتسم المادة المقدمة للنشر بالمنهجية العلمية في العرض والمعالجة والاستنباط، وأن تتميز بالمتانة في الأسلوب والدقة في الإسناد والتوثيق.
- 3 - ترسل المادة المراد نشرها مرقونة بالحاسوب باستخدام برنامج مايكروسوفت word بمسافات مزدوجة بين الأسطر، وترسل نسخة إلكترونية (قرص مرن أو قرص مكتنز CD) أو بواسطة البريد الإلكتروني إلى عنوان المركز acatap@net.sy، ويراعى في حجمها ألا يتجاوز عدد صفحاتها 20/ صفحة/ من الحجم العادي (6000 كلمة).
- 4 - تتلقى المجلة المواد المقدمة للنشر من الرعايا العرب من داخل الوطن العربي ومن خارجه، مكتوبة باللغة العربية، على أن ترفق المادة بملخص واف ودقيق لها بحدود 20/1 من عدد صفحاتها.
- 5 - ترفق المادة المقدمة للنشر بنبذة من سيرة المؤلف متضمنة اسمه بالعربية وبالحروف اللاتينية مع عنوانه البريدي الكامل.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

6 - تُستهل المادة بمقدمة في سطور تبين أهميتها والنتائج والاستنتاجات المستفادة منها، كما تُذيل بثبت للمصادر والمراجع المستخدمة بحيث يكتب اسم المؤلف أولاً، فاسم المصدر أو المرجع، يليه مكان النشر، فاسم الناشر (دار النشر)، وأخيراً تاريخ الصدور فرقم الصفحة.

7 - تقدم الرسوم والأشكال، في حال وجودها، على أوراق منفصلة بحيث تتضمن جميع الشروح والإيضاحات اللازمة، ويقدم كل شكل أو رسم على ورقة منفصلة بحجم الورق المستخدم في كتابة نص المادة على أن يشار إشارة واضحة إلى أمكنتها في متن النص.

8 - تُعرَّب المقالات والبحوث الصادرة بلغات أجنبية وفقاً لـ "تعليمات تعريب البحوث والمقالات" المعمول بها في المركز، والتي تقوم رئاسة التحرير بتزويد المعرَّب بها في حال الموافقة المبدئية على تعريب البحث أو المقالة المقترحة من قبله، وعلى المعربين الالتزام التام بهذه التعليمات.

9 - تنشر المجلة عروضاً للكتب والبحوث والرسائل الجامعية الحديثة، التي لا يتعدى الفاصل الزمني بين ظهور المادة المعروضة ووصول العرض إلى المجلة أكثر من عام، هذا ومن الضروري عند تقديم العروض مراعاة التعليمات التالية:

- أن يتضمن العرض ملخصاً يتسم بالإيجاز المحكم للمادة المعروضة.
- أن يكون تركيز العارض على رأيه في المادة المعروضة وتقويمه لها.
- ألا يتجاوز عدد صفحات العرض 7 صفحات /2000 كلمة/.
- أن يصحَّب العرض معلوماتٌ ببيوغرافية دقيقة عن المادة المعروضة.

10 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بتسلُّم موادهم وبالموافقة المبدئية أو عدمها على

النشر، وذلك خلال شهرين من تاريخ تسلم المجلة لها.

11 - تعرض المواد المقدمة للنشر في حال قبولها مبدئياً على محكم أو أكثر من ذوي الاختصاص، وذلك على نحو سري، لبيان مدى أصالتها وقيمتها العلمية وسلامة منهجيتها، ومن ثم صلاحيتها للنشر، وللمجلة أن تأخذ بتقرير المحكمين أو أن تعرض المادة مرة أخرى على محكم آخر، ولها أيضاً أن تتخذ قراراً بالنشر أو عدمه إذا رأت خلاف ما يراه المحكم.

12 - يحق للمجلة - إذا رأت ضرورة لذلك - إجراء بعض التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها، أما إذا رأت المجلة أو المحكم وجوب إجراء تعديلات جوهرية عليها حتى تصبح صالحة للنشر، فإنها تعيدها إلى صاحبها للقيام بهذه التعديلات اللازمة.

13 - يبلغ أصحاب المواد المقدمة للنشر بالقرار النهائي بالموافقة على النشر أو عدمها وذلك خلال ستة أشهر من تاريخ تسلمها، علماً بأن المجلة ليست ملزمة بإبداء أسباب عدم النشر، كما أنها ليست ملزمة برد المواد التي لا تنشر لأصحابها.

14 - تراعي المجلة في أولوية النشر عدة اعتبارات أهمها: تاريخ التسلم والأهمية العلمية للمادة المقدمة، ومدى صلاحيتها وجاهزيتها للنشر، وكذلك تنوع مادة العدد والتوزيع الجغرافي لمصدرها من مختلف الدول العربية.

15 - لا يحق لصاحب المادة المنشورة في مجلة التعريب، ولا لأي جهة أخرى، إعادة نشرها في أي وعاء آخر للنشر إلا بعد مرور ستة أشهر على تاريخ نشرها في المجلة، وبموافقة خطية من رئيس التحرير، مع ضرورة الإشارة إلى هذه الموافقة، وإلى رقم وتاريخ العدد الذي نشرت فيه من المجلة.

التعريب العدد الحادي والثلاثون . كانون الأول / ذو القعدة 2006

16 - إن مضامين المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها، ولا تمثل بالضرورة رأي المركز أو المجلة.

17 - تقدم المجلة مكافأة مالية رمزية عن كل مادة تنشر فيها تصل إلى /200/ دولار أمريكي.

18 - ترسل المواد وتوجه المراسلات باسم الأستاذ الدكتور عادل نوفل مدير المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر إلى العنوان:

المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

دمشق . ص.ب: 3752

هاتف: 3334876 (11. 963+)

فاكس: 3330998 (11 . 963+)

البريد الإلكتروني: E-mail: acatap@net.sy

الموقع على الإنترنت: www.acatap.org



إصدارات المركز من الكتب

1 . هندسة الفيزياء النووية

1 - Nuclear Physics Engineering

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 232 - السعر 12 دولاراً

2 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الأول

2 - Nuclear Reactors Engineering - Part 1

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 208 - السعر 12 دولاراً

3 . هندسة المفاعلات النووية . الجزء الثاني

3 - Nuclear Reactors Engineering - Part 2

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 186 - السعر 12 دولاراً

4 . الإشعاع النووي والوقاية من الإشعاع والتلوث

4 - Nuclear Radiation and Protection

تأليف: أ.د. مطاوع الأشهب - تاريخ الإصدار: 1991 - عدد الصفحات: 448 - السعر 20 دولاراً

5 . دليل التنمية المائية في الوطن العربي

5 - Water Development guide in Arab World

تأليف: د. محمد شفيق الصفي - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 78 - السعر 3 دولارات

6 . الاتصالات بالألياف البصرية

6 - Fiber Optic Communications

تأليف: جوزيف باليه - ترجمة: أ.د. جورج صنيح - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 608 - السعر 18 دولاراً

7 . معالجة الصور الرقمية

7 - Digital Image Processing

تأليف: ر. غونزاليز & ب. وينتزر - ترجمة: د. معن عمار - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 728 - السعر 20 دولاراً

8 . الجيوفيزياء التطبيقية

8 - Applied Geophysics

تأليف: فريق من المختصين الألمان - ترجمة: أ.د. فارس شقير - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 384 - السعر 21 دولاراً

9 . عروبة البربر

9 - The Berbers are Arab in Origin (the Ignored Fact)

تأليف: أ. محمد علي مادون - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

10 . الأسس الفيزيائية لليزرز التقنية

10 - Physical Fundamentals of Technological Lasers

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 224 - السعر 12 دولاراً

11 . الأسس الهندسية لإنشاء الليزرز التقنية

11 - Engineering Fundamentals of Technological Lasers Buildup

تأليف: ف. غولوبيف & ف. ليبيديف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 240 - السعر 12 دولاراً

12 . طرائق المعالجة السطحية بالليزر

12 - Methods of Surfaces Treatment by Lasers

تأليف: آ. غريغوريانتس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1992 - عدد الصفحات: 264 - السعر 12 دولاراً

13 . معالجة المواد غير المعدنية بالليزر

13 - Treatment of Non-metallic Materials by Lasers

تأليف: آ. غريغورياننيس & آ. سافونوف - ترجمة: أ.د. محمد غانم - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 256 - السعر 12 دولاراً

14 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الأول

14 - Methods of Social Sciences-Book 1

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 454 - السعر 14 دولاراً

15 . مناهج العلوم الاجتماعية . الكتاب الثاني

15 - Methods of Social Sciences-Book 2

تأليف: مادلين غراويتز - ترجمة: د. سام عمار - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 200 - السعر 10 دولارات

16 . نظم التصوير الطبي

16 - Medical Imaging Systems

تأليف: ألبيرت ماكوفسكي - ترجمة: د. محمد موسى - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 336 - السعر 18 دولاراً

17 . المدخل إلى ميكانيك الكم

17 - Introduction to Quantum Mechanics

تأليف: ر.ديكه & ج. ويتكه - ترجمة: د. آخو يوسف - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 474 - السعر 15 دولاراً

18 . الاتصالات الراديوية المتنقلة . أسس التصميم

18 - Mobile Communications Design Fundamentals

تأليف: وليم لي - ترجمة: د. زياد سيد سليمان - تاريخ الإصدار: 1993 - عدد الصفحات: 480 - السعر 20 دولاراً

19 . أنظمة الاتصالات الالكترونية المتقدمة – نفذ –

19 - Advanced Electronic Communications Systems

تأليف: وين توماسي - ترجمة: د. عمر شابسيغ - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 448 - السعر 15 دولاراً

20 . كهربة الريف

20 - Electrification of Rural Areas

تأليف: كشيشتوف مايكا - ترجمة: أ.د. عبد الله سعيد - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 576 - السعر 15 دولاراً

21 . الاستشعار عن بعد وتفسير المرئيات

21 - Remote Sensing and Image Interpretation

تأليف: ت. ليليساند & ر. كيپر - ترجمة: أ.د. حسن حلمي خاروف - تاريخ الإصدار: 1994 - عدد الصفحات: 984 - السعر 30 دولاراً

22 . طب الأمراض المعدية والتغذية – نفذ –

22 - Tropical and Geographical Medicine

تأليف: وارن & محمود - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية الطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 1200 - السعر 32 دولاراً

23 . المعالجات الراهنة في الممارسة السنية

23 - Current Treatment in Dental Practice

تأليف: نورمان ليفين - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 624 - السعر 25 دولاراً

24 . الآلات الكهربائية والميكروية – نفذ –

24 - Electric Machines and Micromachines

تأليف: د. بروسكين - ترجمة: د. عبد المطلب أبو سيف - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 480 - السعر 18 دولاراً

25 . التجارب المغناطيسية النووية

25 - Magneto - nuclear Resonance

تأليف: د. سهام طرابيشي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 232 - السعر 8 دولارات

26 . حفظ اللحوم بالتبريد والتجميد - نفذ -

26 - Meat Conservation

تأليف: د. عبد العزيز عروانة - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 128 - السعر 4 دولارات

27 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الأول - نفذ -

27 - Differential Equations - Part I

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 288 - السعر 12 دولاراً

28 . المعادلات التفاضلية . الكتاب الثاني - نفذ -

28 - Differential Equations - Part II

تأليف: د. قيصر فيازمينسكي - تاريخ الإصدار: 1995 - عدد الصفحات: 176 - السعر 8 دولارات

29 . الكيمياء التحليلية - نفذ -

29 - Analytical Chemistry

تأليف: ج.د. كريستيان - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 760 - السعر 30 دولاراً

30 . الكيمياء الفيزيائية - نفذ -

30 - Physical Chemistry

تأليف: ألبيرتي & سيلبي - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 1136 - السعر 36 دولاراً

31 . الكيمياء الحيوية المصورة

31 - Biochemistry Illustrated

تأليف: كاميل & سميث - ترجمة: أ.د. أبو سمرة & د. حمود - تاريخ الإصدار: 1996 - عدد الصفحات: 304 - السعر 15 دولاراً

32 . علم البيولوجيا . الجزء الأول - نفذ -

32 - Biological Science - Part I

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 620 - السعر 25 دولاراً

33 . علم البيولوجيا . الجزء الثاني - نفذ -

33 - Biological Science - Part II

تأليف: سوير وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي العلوم والطب بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1997
عدد الصفحات: 704 - السعر 25 دولاراً

34 . الفيزياء المتقدمة - نفذ -

34 - Advanced Physics

تأليف: ك. جيبس - ترجمة: لفيف من أساتذة كلية العلوم بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 616 - السعر 20 دولاراً

35 . بحوث العمليات

35 - Operations Research

تأليف: رافيندران وآخرون - ترجمة: لفيف من أساتذة كليتي الهندسة والاقتصاد بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 640 - السعر 25 دولاراً

36 . كيمياء تحليل الأغذية

36 - Analytical Chemistry of Food

تأليف: سيروين س. جيمس - ترجمة: أ.د. العودة & أ.د. سمينة - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 208 - السعر 8 دولارات

37 . الكيمياويات الزراعية والبيئة

37 - Agricultural Chemicals and the Environment

تأليف: هيستر & هاريسون - ترجمة: د. عبيدو & د. حجار - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 184 - السعر 7 دولارات

38 . معالجة الاضطرابات الفكية والإطباق

38 - Management of Temporomandibular Disorders and Occlusion

تأليف: جيفري ب. أوكسون - ترجمة: لفيف من أستاذة كلية طب الأسنان بجامعة دمشق - تاريخ الإصدار: 1999
- عدد الصفحات: 616 - السعر 25 دولاراً

39 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الأول

39 - Advanced Chemistry – Volume 1

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: د. توفيق ياسين . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 952 - السعر: 35 دولاراً

40 . الكيمياء المتقدمة . الجزء الثاني

40 - Advanced Chemistry – Volume 2

تأليف: فيليب ماتهيو - ترجمة: أ.د. هيام بيرقدار . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 700 - السعر: 28 دولاراً

41 . توليد الطاقة الكهربائية بالديناميك الهيدروطيسي

41 – Magnetohydrodynamic Electrical Power Generation

تأليف: هوغو ميسيرل - ترجمة: أ.د. محمد هاشم أبو الخير & د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 268 - السعر 10 دولارات

42 . الكيمياء العضوية

42 - Organic Chemistry

تأليف: موريسون & بويد - ترجمة: لفيف من كبار أساتذة كليات العلوم في الجامعات السورية - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 1416 - السعر 50 دولاراً

43 . الكيمياء العامة في سؤال وجواب

43 – General Chemistry – Questions and Answers

تأليف: أ.د. عبد الحليم منصور - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 452 - السعر 12 دولاراً

44 . الطاقة وسلامة البيئة

44 – Umweltschonende Energietechnik

تأليف: نيكولاي خارتشينكو – ترجمة: د. بسام حمود . تاريخ الإصدار: 2000 . عدد الصفحات: 476 – السعر: 18 دولاراً

45 . التطبيقات العملية في معالجة اللثة

45 – Periodontal Instrumentation

تأليف: باتيسون & باتيسون – ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

46 . المدخل إلى الإحصاء الطبي

46 – An Introduction to Medical Statistics

تأليف: مارتن بلاند – ترجمة: أ.د. أحمد ديب دشاش & أ. شفيق ياسين & د. وائل الإمام – تاريخ الإصدار: 2000 – عدد الصفحات: 516 – السعر: 15 دولاراً

47 – حقن البنزين وتقانة الحفازات

47 – Benzineinspritzung und Katalysatortechnik

تأليف: يورجن كازيدورف – ترجمة: د. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 392 – السعر: 12 دولاراً

48 – الأتمتة الصناعية والمؤتمتات القابلة للبرمجة PLC

48 – Industrial Automation and PLCs

تأليف: د. نور الدين شيخ عبيد – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 224 – السعر: 6 دولارات

49 – الوجيز في الصرف الصحي في المدن

49 - Taschenbuch der Stadtentwässerung

تأليف: كارل وكلاوس إمهوف – ترجمة: د. غسان دره الحداد ود. جورج زهر – تاريخ الإصدار: 2001 – عدد الصفحات: 456 – السعر: 15 دولاراً

50 - الأشكال الصيدلانية الجرعية ونظم إيتاء الدواء

50 - Pharmaceutical Dosage Forms and Drug Delivery Systems

تأليف: هاوارد آنسل وآخرون - ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 896 - السعر 25 دولاراً

51 - التركيب - دليل تدبير المريض

51 - SEDATION - A Guide to Patient Management

تأليف: ستانلي مالاميد - ترجمة: د. محمد كامل التيناوي - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 920 - السعر 27 دولاراً

52 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الأول

52 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part I

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 364 - السعر 10 دولارات

53 - الشبكات العصبونية الصناعية بين النظرية والتطبيق - الجزء الثاني

53 - Artificial Neural Networks: Theory and Applications - Part II

تأليف: د. أحمد الكرمو - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 424 - السعر 12 دولاراً

54 - منشآت تجميع مياه الأمطار - إرشادات تنفيذية

54 - Regenwasser Sammelanlage

تأليف: فولفجانج بريدوف - ترجمة: أ. نزيه يانس - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 160 - السعر 5 دولارات

55 - الهندسة

55 - Geometry

تأليف: ديفيد برانان وآخرون - ترجمة: د. مها النبهان و د. محمود باكير - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 628 - السعر 20 دولاراً

56 - الأمراض حيوانية المصدر - الأمراض الخمجية التي تنتقل من الحيوان إلى الإنسان

56 - Zoonosen Von Tier zu Mensch übertragbare Infektionskrankheiten

تأليف: ه. كراوس وآخرون - ترجمة: د. مروان الوزه و د. رضوان حاغور - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 688 - السعر 15 دولاراً

57 – مواد البناء واختباراتها – شروح ومسائل وتمارين

57 – Building Materials Testing

تأليف: د. أسامة صالح ميرو – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 272 – السعر 6 دولارات

58 – أساسيات ضبط الجودة الإحصائي

58 - Fundamentals of Statistical Quality Control

تأليف: روبرت بوند – ترجمة: د. حسن السيد و أ. شفيق ياسين – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 432 – السعر 14 دولاراً

59 – جيوتقنية مكبات النفايات ومطامرها

59 – GDA-Empfehlungen Geotechnik der Deponien und Altablaster

تأليف: مجموعة من الخبراء الألمان التابعين للمؤسسة الجيوتقنية الألمانية – ترجمة: د. منذر عمران و د. سعيد العاقل – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 864 – السعر 25 دولاراً

60 – التنمية الزراعية المستدامة

60 – Agricultural Sustainable Development

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 264 – السعر 7 دولارات

61 – تنظيم الحاسوب وبنائه

61 – Computer Organization and Architecture: Designing for Performance

تأليف: ويليام ستولنغر – ترجمة: د. محمد نوار العوا ود. جورج صنيح ود. فيصل العباس – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 748 – السعر 21 دولاراً

62 – أسس الاتصالات اللاسلكية لـ لي

62 – Lee's Essentials of Wireless Communications

تأليف: ويليام لي – ترجمة: م. محمد موفق العوا – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 344 – السعر 12 دولاراً

63 – التطبيب والرعاية الصحية عن بُعد

63 – Telemedicine and Telehealth

تأليف: داركنز وكيري – ترجمة: د. محمد فراس الحناوي ود. مروان الوزه – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 424 – السعر 14 دولاراً

64 – طب العيون العام

64 – General Ophthalmology

تأليف: فاوغهان وآسبوري وريوردان – ترجمة: لفيف من أطباء العيون السوريين – تاريخ الإصدار: 2002 –
عدد الصفحات: 696 – السعر 18 دولاراً

65 – اقتصاديات البيئة والزراعة والغذاء

65 – Economics of Environment, Agriculture and Food

تأليف: أ.د. محمود الأشرم – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 640 – السعر 14 دولاراً

66 – مبادئ تحلية المياه المالحة

66 – Principles of Salt Water Desalination

تأليف: أ.د. معن العظمة – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 232 – السعر 5 دولارات

67 – التقانات العالية والمجتمعات ذات الدخل المنخفض

67 – High Technology and Low-Income Communities

تأليف: دونالد سشون وآخرون – ترجمة: د. راكان رزوق – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 428 –
السعر 9 دولارات

68 – علم العقاقير لـ تريز وإيفانز

68 - Trease and Evans Pharmacognosy

تأليف: و.س. إيفانز – ترجمة: نخبة من أساتذة كليات الصيدلة في الجامعات العربية – تاريخ الإصدار: 2003 –
عدد الصفحات: 1044 – السعر 28 دولاراً

69 – محاضرات في الطب الجزيئي

69 – Lecture Notes on Molecular Medicine

تأليف: جون برادلي وآخرون – ترجمة: أ.د. وفيقة زرزور – تاريخ الإصدار: 2003 – عدد الصفحات: 244 –
السعر 6 دولارات

70 – نظم الطاقات المتجددة – التكنولوجيا – الحسابات

70 – Regenerative Energiesystem

تأليف: فولكار كاشنينغ – ترجمة: د.م. بسام حمود – تاريخ الإصدار: 2004 – عدد الصفحات: 414 – السعر
7 دولارات

71 – الاقتصاد الهندسي

71 – Engineering Economy

تأليف: وليام ج. سوليفان & جيمس ت. لوكسوج ويكس - ترجمة: د. محمد نايفة ود. محمد جلالى و د. لبانة مشوح و د. محمد نوار العوا - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 744 - السعر 19 دولاراً

72 – التقانات الحيوية من الألف إلى الياء

72 – Biotechnology from A to Z

تأليف: وليامز بنز - ترجمة: أ.د. عبد العزيز محمد البوني - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 544 - السعر 13 دولاراً

73 – تكنولوجيا تنفيذ وتنظيم الأعمال الترابية في المشاريع الهندسية

تأليف: د.م. محمد بشار الحفار و د.م. نبيل غازي الهزيم - مراجعة: د.م. رياض الحسين - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 267 - السعر 6 دولارات

74 – الأساليب المتغيرة لدراسة تعليم الكبار

74 - Changing Approaches to Studying Adult Education

تأليف: هوي ب. لونغ وآخرون - ترجمة: الدكتور عبد العزيز بن عبد الله السنبل - تاريخ الإصدار: 2004 - عدد الصفحات: 170 - السعر 5 دولارات.

75 – طب الأسنان الوقائي الأولي

75 – Primary Preventive Dentistry

تأليف: نورمان هاريس وآخرون - ترجمة: د. ميسون صيداوي خوري - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 653 - السعر 19 دولاراً.

76 – الوجيز في الفيضانات . التأثيرات والحماية

76 - Hochwasser-Handbuch: Auswirkungen und Schutz

تأليف: هاينز بات - ترجمة: أ.د. عز الدين درويش حسن - تاريخ الإصدار: 2005 - عدد الصفحات: 723 - السعر 23 دولاراً.

77 – علم الجنين الطبي لِ لانغمان

77 – Langman's Medical Embryology

تأليف: ت. و. سادلر – ترجمة: أ.د. الطاهر عثمان علي & أ.د. ضياء الدين الجمّاس & د. محمد فريد السباعي
- تاريخ الاصدار: 2005 - عدد الصفحات: 606 - السعر 17 دولاراً.

78 – التصميم الرقمي

78 – Digital Design

تأليف: م. موريس مانو – ترجمة: أ.د. جبر راجح الرمحين - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 552 -
السعر 30 دولاراً.

79 – أن تغدو مدرساً في التعليم العالي

79 – Devenir Enseignant Du Supérieur

تأليف: آلان كولون وآخرون - ترجمة: أ.د. سام عمار - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 190 - السعر
6 دولاراً.

80 – علم الأدوية السريري

80 – Clinical Pharmacology

تأليف: ب.ن. بينيت - م.ج. براون - ترجمة: أ.د. الأمين إبراهيم النعمة - د. عبد الناصر عمرين - د. خالد
حسن - تاريخ الاصدار: 2006 - عدد الصفحات: 880 - السعر 30 دولاراً.

الكتب قيد الإصدار

1 – طب النساء، النسائيات Gynaecology by 10 Teachers

2 – طب التوليد Obstetrics by 10 Teachers

3 – المعلومات الطبية من الإنترنت Medical Information on the Internet

الكتب التربوية

T1 - تكوين معلمين مهنيين . الاستراتيجيات والكفايات

T1 - Former Des Enseignants Professionnels: Quelles stratégies? Quelles Compétences?

تأليف: ليوبولد باكي وآخرون - ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 276 - السعر 10 دولارات

T2 - تدخلات الصحة النفسية في أطفال ما قبل المدرسة

T2 - Mental Health Interventions with Preschool Children

تأليف: ليمان & كيجن - ترجمة: أ.د. سليمان ربحاني وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 340 - السعر 12 دولاراً

T3 - إعداد التلاميذ للقرن الحادي والعشرين

T3 - Preparing Students for the 21st Century

تأليف: دونا أوتشيدا وآخرون - ترجمة: أ.د. محمد نبيل نوفل - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 112 - السعر 4 دولارات

T4 - تطوير نظم الجودة في التربية

T4 - Developing Quality Systems in Education

تأليف: جيفري دوهيرتي - ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 388 - السعر 12 دولاراً

T5 - صعوبات القراءة . منظور لغوي تطوري

T5 - Reading Disabilities: A Developmental Language Perspective

تأليف: كامحي & كاتس - ترجمة: أ.د. حمدان علي نصر وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 408 - السعر 13 دولاراً

T6 – تعليم العلوم لجميع الأطفال

T6 - Teaching Science for all Children

تأليف: مارتن وآخرون - ترجمة: أ.د. هاشم إبراهيم وآخرون - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 608 - السعر 20 دولاراً

T7 – التصميم المنظم للتعليم

T7 - The Systematic Design of Instruction

تأليف: ديك & كيري - ترجمة: أ.د. محمد ذيبان غزاوي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 392 - السعر 15 دولاراً

T8 – التربية الأساسية النخبة . تطوير الكفاءات

T8 - Quality Basic Education: The Development of Competence

تأليف: جوان فريمان - ترجمة: أ.د. صالحة سنقر - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 288 - السعر 9 دولارات

T9 – إدارة نظم التعلم عن بعد

T9 - The Management of Distance Learning Systems

تأليف: غريفييل رامبل - ترجمة: أ.د. فاطمة الجبوشي - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 100 - السعر 3 دولارات

T10 – المرجع في جهود محو الأمية

T10 - A Source Book for Literacy Work

تأليف: ه. س. بولا - ترجمة: أ.د. صالح عزب - تاريخ الإصدار: 1998 - عدد الصفحات: 220 - السعر 8 دولارات

T11 – الانترنت للمعلمين واختصاصيي المكتبات المدرسية

T11 – The Internet for Teachers and School Library media Specialists

تأليف: إدوارد فاللاوسكاس & مونیکا إرثل - ترجمة: د. عبد الرزاق يونس - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 280 - السعر 8 دولارات

T12 – تشكيل المستقبلات . التعلم من أجل الكفاية والمواطنة

T12 – Shaping Futures: Learning for Competence and Citizenship

تأليف: كارين إيفانس - ترجمة: أ.د. خميس بنحميده - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 208 - السعر 6 دولارات

T13 – سيكولوجيا التربية والتكوين

T13 – Manuel de Psychologie de L'Éducation et de la Formation

تأليف: ألان ليوري وزملاؤه - ترجمة: أ.د. وجيه أسعد - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 484 - السعر 14 دولاراً

T14 – الدافعية والنجاح المدرسي

T14 – Motivation et Réussite Scolaire

تأليف: ألان ليوري & فابيان فونوييه - ترجمة: أ.د. محمد الطيب سعداني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 132 - السعر 5 دولارات

T15 – تنمية التفكير المنطقي عند الأطفال

T15 – Developing Logical Thinkers

تأليف: داريل فيلبس & ديل فيلبس - ترجمة: د. إبراهيم المومني - تاريخ الإصدار: 2000 - عدد الصفحات: 540 - السعر 15 دولاراً

T16 – تعليم الموهوبين والمتفوقين

T16 - Education of the Gifted and Talented

تأليف: كيري ديفيز وسيلفيا ريم - ترجمة: د. عطوف ياسين - تاريخ الإصدار: 2001 - عدد الصفحات: 704 - السعر 15 دولاراً

T17 – التقويم الصفّي والتعلم

T17 – Classroom Assessment and Learning

تأليف: مارغريت غريدلر - ترجمة: أ.د. كمال رفيق الجراح - تاريخ الإصدار: 2002 - عدد الصفحات: 340 - السعر 8 دولارات

T18 – من أجل نظرية في البيداغوجيا

T18 – Pour une theorie de la Pedagogie: Recherches Contemporaines sur le savoir des enseignants

تأليف: كليروا غوتيه وآخرون – ترجمة: أ. وجيه أسعد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 380 – السعر 8 دولارات

T19 – تكوين المعلمين المستمر وجدواه

T19 – La formation continue des enseignants est elle utile?

تأليف: ماري – ميشيل كوترمان وآخرون – ترجمة: أ.د. نور الدين ساسي – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 240 – السعر 6 دولارات

T20 – المتعلم الكبير – الأثر الكلاسيكي المتميز في تعليم الكبار وتطوير الموارد البشرية

T20 - The Adult Learner: The Definitive Classic in Adult Education and Human Resource Development

تأليف: مالكوم نوليس وآخرون – ترجمة: أ.د. عدنان الأحمد – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 336 – السعر 8 دولارات

T21 – نحو فهم لقيادة المناهج الديمقراطية

T21 – Understanding Democratic Curriculum Leadership

تأليف: هندرسن وكيسون – ترجمة: أ.د. خميس بنحميده – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 192 – السعر 5 دولارات

T22 – التعليم التحويلي – رؤية تربوية للقرن الحادي والعشرين

T22 – Transformative Learning - Educational Vision for the 21st Century

تأليف: ادموند او سيلفان – ترجمة: أ.د. عبد الله العابد أبو جعفر – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 400 – السعر 9 دولارات

T23 – تكيف مناهج الطفولة المبكرة في بيئات شاملة

T23 – Adapting Early Childhood Curricula for Children in Inclusive Settings

تأليف: كوك وآخرون – ترجمة: د. مطانيوس مخائيل ود. علي سعود حسن – تاريخ الإصدار: 2002 – عدد الصفحات: 720 – السعر 18 دولاراً